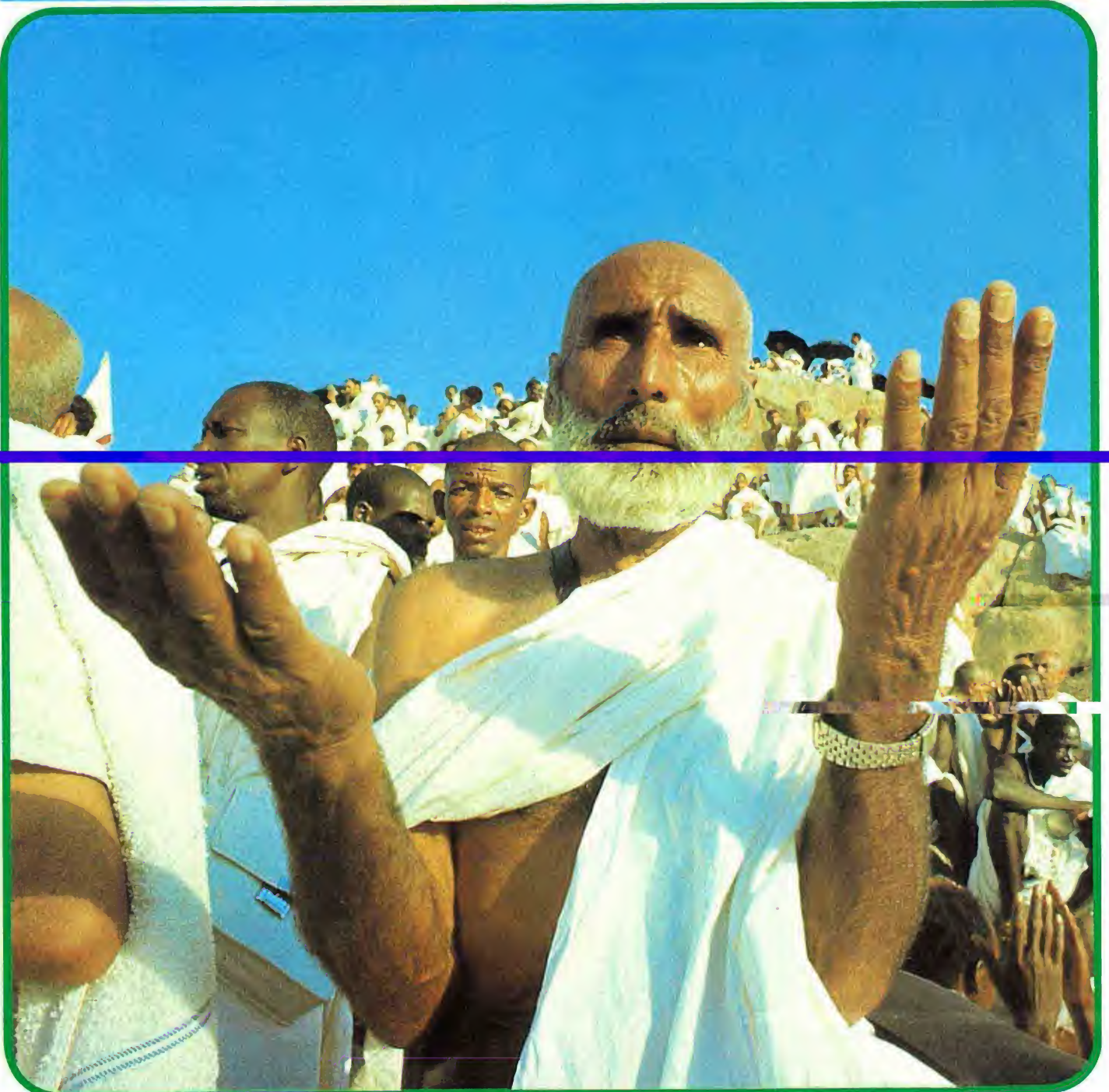


# الفصل

مجلة ثقافية شهرية  
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 30 NOVEMBER 1979





# الفصل

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

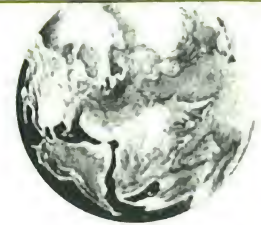
مجلة ثقافية شهرية  
تصدر عن  
دار الفیصل الثقافية

## فخذ العدد

- من كتاب هذا العدد ..... ٤
- الحركة الثقافية في شهر ..... ٥
- الحج .. والهجرة السكانية ..... د. السيد خالد المطري ١٥
- تجديد في المسلمين .. لا تجديد في الإسلام ..... د. عمر فروخ ٢٤
- مكة .. (قصيدة) ..... مصطفى عكرمة ٢٩
- فقه مالك بن أنس «إمام دار الهجرة» ..... د. محمد سلام مذكور ٣٠
- الفسطاط .. المدينة والعاصمة والأثر (مدينة وتاريخ) ..... د. حسين فوزي النجار ٣٥
- مطافئ الحريق ... (الإنسان والعلم) ..... ٤٤
- الملاقة بين الأم وطفلها (بمناسبة عام الطفل) ..... د. مصطفى الديواني ٤٧
- قالوا .. (عن العدالة) ..... ٥١
- المنجزات الرياضية الإسلامية عبر التاريخ ..... د. أحمد سعيدان ٥٢
- الحط الثلث (رحلة مع الحط العربي) ..... ٥٨
- جوته والإسلام ..... د. مصطفى ماهر ٦٠
- الإسلام والعصر .. (لقاء مع) ..... إعداد: محمد مبارك ٦٧
- تشع بنور الله أنشئ تلفتت (قصيدة) ..... رضوان الشيخ محمد ٧٢
- «علي أحمد باكثير» والمسرح الشعري في الأدب العربي ..... د. عبد العزيز شرف ٧٣
- الإسلام .. وعلم النفس المعاصر (ندوة الشهر) ..... ٧٨
- تاريخ طب الأطفال عند العرب (بمناسبة عام الطفل) (رحلة في كتاب) ..... عرض: د. محمد سعد الشويمر ٨٣
- المساجد .. وفن العمارة الإسلامية (موضوع خاص) .. شريف يوسف ٩١
- ٤٠ عاماً في خدمة الطفل العربي (بمناسبة عام الطفل) إعداد: مصطفى عبد الله ١٠٨
- عشية مات أبو بكر ..... أحمد عادل كمال ١١٢
- جو الأرض .. هل تحمل به كارثة؟ ..... د. عبد المحسن صالح ١١٥
- قرويات ... (لوحة وفنان) ..... عبد الله الشلطي ١٢٠
- ذبابة «التي تسي» .. هل يستطيع الإنسان التغلب عليها؟ ..... د. أحمد محمد غندور ١٢٣
- العقم .. ما هو؟ .. أسبابه .. أنواعه .. وعلاجه ..... د. عبد الله حسين ياسلما ١٢٦
- علم اللغة والمعل الإلكتروني ..... أحمد فارس ١٣٠
- طالب عراقي .. ورسالة ماجستير عن شاعر من المدينة المنورة ..... ١٣٤
- أوراق متناثرة ..... ١٣٦
- طيف .. (قصيدة) ..... عبد الله الأنصاري ١٣٨
- يوم الرضع .. محارب بكتيبة (قصة من التاريخ الإسلامي) ..... د. عبد المجيد وافي ١٣٩
- جنون أم ... (قصة) ..... عبد الله حسين بغدادي ١٤٢
- النافذة .. (قصة قصيرة من الأدب اليوناني) ..... ترجمة: د. نعيم عطية ١٤٤
- محمد فريد أبو حديد كاتب الرواية (مطالعات في الكتب) عرض وتعليق: عبد العليم القباني ١٤٧
- دائرة المعارف ..... ١٥٠
- مناقشات وتعليقات ..... ١٥٣
- كتب وردت إلى المجلة ..... ١٥٦
- ردود قصيرة ..... ١٥٨
- مسابقة مجلة الفيصل ..... ١٥٩



● بقيت الفسطاط مقراً للحكم طوال مئة وثلاثة عشر عاماً وسبعة أشهر، أولها يوم الجمعة مستهل الحرم سنة عشرين من الهجرة. وليها القائد عمرو بن العاص من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، وكان آخر أمرائها صالح بن علي بن عبد الله من قبل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح. طالع ص (٣٥)



● الخلق كله .. من أوله إلى آخره ومن بدايته إلى نهايته، يسير بموازين حساسة .. صحيح أن كفتي الميزان قد تتأرجحان قليلاً ذات اليمين وذات الشمال لكنها لا بد إلى التوازن عائدتان .. حقيقة يعيش فيها العلماء ليل نهار، فكل شيء قد جاء بحساب ومقدار. طالع ص (١١٥)



● الهجرة عنصر من عناصر حركة السكان وانتقالهم لها صور مختلفة، والحج صورة منها. لكنه يختلف عن الهجرة السكانية العادية في دوافعه وفي تركيبه النوعي والعمرى. إنه هجرة من نوع خاص لم تتناولها الدراسات السكانية من قبل. طالع ص (١٥)



### مصطفى عكرمة

- من مواليد « الحفة » - سورية عام ١٩٤٣ م .
- « جند الكرامة » مسرحية ، « هنا الأوائيل » قصيدتان ، « طمأ » ، ديوان
- « خير نبي في الإرسال » إلى الله « الجزء الأول » ، « عبر
- « الشوق » ديوان . هذا إلى جانب عدد
- أعماله الشعرية المطبوعة من الأعمال المخطوطة .



### د. حسين فوزي النجار

- أول دكتوراه في تاريخ الصحافة من جامعة القاهرة .
- درجة الزمالة في العلوم السياسية من جامعة هارفارد .
- زميل المركز الدولي للتربية بواشنطن .
- زميل أكاديمية العلوم السياسية بجامعة كولومبيا .
- عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر .
- رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية .
- يعمل الآن أستاذاً غير متفرغ بجامعة أسيوط ، ومشرفاً على قسم الصحافة بكلية الآداب .
- أول كتبه « السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط » ١٩٥٠ م . وآخر كتبه « الإسلام والسياسة » ١٩٧٨ م .
- له أربعون كتاباً في التاريخ والتراجم والعلوم السياسية والتربية والتعليم ، وعدد من البحوث بالعربية والإنجليزية .
- عمل أستاذاً زائراً بالجامعات الأميركية ، ويقوم بالتدريس بجامعة مصر .

### د. عبد المجيد وافي

- من مواليد مصر .
- العالمية ، مع الإجازة - كلية اللغة العربية .
- دبلوم الفنون الجميلة العليا .
- عمل في التدريس السديني بمعاهد الأزهر ، كما عمل محاضراً في الحضارة الإسلامية .
- له مجموعة من البحوث الإسلامية ، والفنية .
- عمل بالصحافة .. وما زال .
- يعمل حالياً رئيساً لقسم البحوث والإشراف الفني بمجلة « منار الإسلام » التي تصدر في ( أبو ظبي ) .

- الآداب في الجامعة اللبنانية ( للإشراف على رسائل الماجستير ) ، ورئيساً لجمعية البر والإحسان في لبنان .
- له عدد كبير من الكتب تأليف ، وترجمة في الفلسفة ، والدين ، والتاريخ ، والسيرة ، واللغة ، والحضارة ... وغيرها . ( كافة المعلومات عن هذه الكتب صدرت في كتب بقلمه بعنوان : عمر فروخ .. وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ١٩٣١ - ١٩٧١ م ) اصدار دار العلم للملايين - بيروت .



### د. عبد الله حسين باسلامة

- من مواليد مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٧ م .
- بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة عين شمس بالقاهرة .
- الدكتوراه والتخصص بمدينة دسولدوف بألمانيا .
- حصل على شهادة الزمالة البريطانية في أمراض النساء والولادة .
- شهادة زمالة الجراحين الأميركية ( فخرية ) .
- عمل أخصائي أمراض النساء والولادة بمستشفيات المملكة .
- عمل وكيلاً لكلية الطب بجامعة الرياض .
- يعمل حالياً عميداً لكلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وأستاذ مشارك أمراض النساء والولادة بالكلية .



### د. عمر فروخ

- من مواليد ١٩٠٦/٥/٨ في بيروت - لبنان .
- بكالوريوس علوم - الجامعة الأميركية - بيروت .
- عمل مدرساً فترة من الزمن ثم تهاجر إلى ألمانيا .
- درس في جامعة برلين ، وجامعة ليبزغ ، وجامعة أولنجن ، وتخرج فيها برتبة دكتوراه في الفلسفة ، ثم عاد ليعمل في بلاده في التدريس .
- اشترك في عدد كبير من المؤتمرات الثقافية .
- عضو في عدد من الجمعيات والمجالس ، والجامع العربية .
- حصل على وسام نجم باكستان رتبة قائد عظيم ، كما حصل على جائزة رئيس الجمهورية التي تمنحها جمعية أصدقاء الكتاب - بيروت ، ووسام الأرز الوطني ( لبنان ) رتبة فارس ، ووسام الاستحقاق ( موريتانية ) رتبة ضابط .
- يعمل حالياً أستاذاً بكلية



## ● في الوطن العربي :

- المملكة تحتفل باليوم العالمي لغو الأمية .
- موسوعة للأحاديث النبوية الصحيحة .
- معرض للكتاب العربي في السودان .
- ندوة لمناقشة قضية الوثائق ، والتوثيق في الجزائر .
- معرض للفن التشكيلي القطري في تونس .
- انعقاد مؤتمر للطب النووي في أبو ظبي .

## ● في العالم :

- وفاة الشيخ أبو الأعلى المودودي .
- ندوة إسلامية عن القدس في فرنسا .
- إنشاء مركز ثقافي إسلامي ومسجد في إسبانيا .
- ندوة إسلامية عن السيرة النبوية في أميركا .
- معرض للفن المعاصر في باريس .





★ عبدالله جفري ★



★ د. عبد الحادي التازي ★

## السعودية :

### \* كتب جديدة \*

- «شموخ القرية»، الديوان الثاني للشاعر معيض علي البختيان .
- «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، تأليف عبد الكريم حمد الحقييل .
- «الصمت والجدران»، مجموعة قصص (قصيرة) لسباعي عثمان، صدرت عن نادي الطائف الأدبي .
- «الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي»، تأليف الشيخ الأمين عوض الله، صدر عن دار المجمع العلمي بجدة .

### الاحتفال باليوم العالمي لحو الأمية

احتفلت المملكة مع دول العالم باليوم العالمي لحو الأمية، وذلك في إطار الجهود التي تبذلها من أجل القضاء على الأمية بمختلف الوسائل، وقد شملت الاحتفالات حملات توعية بمشكلة الأمية ومدى خطورتها على المجتمع، وأهمية القضاء عليها خلال العشرين عاماً القادمة كما حددتها استراتيجية المملكة لحو الأمية .

### تدعيم المكتبات

قررت الإدارة العامة للمكتبات تزويد هذه المكتبات بـ (١٠) آلاف كتاب وذلك رغبة في تطويرها وتشتمل على الكتب المتعددة خدمة للقارئ وطلاب العلم في جميع أنحاء المملكة .

## المغرب :

### مسابقات أدبية على مستوى المملكة

نظم مكتب رعاية الشباب بالأحساء ثلاث مسابقات أدبية على مستوى المملكة في مجال ( الشعر المنظوم المقي - والمقال - والقصة ) .

### معرض للكتاب بمركز الرّس الصيبي

أقام المركز الصيبي لرعاية الطلاب بثانوية الرّس أكبر معرض للكتاب الإسلامي بمنطقة القصيم، احتوى على حوالي سبعة آلاف كتاب ومجلد في مختلف العلوم الدينية والأدبية وقضايا الفكر المعاصر وموقف الإسلام منها، وقد تم بيع الكتب التي ضمها المعرض بأسعار مخفضة عن المكتبات .

### الرسالة الجديدة

أصبح من المؤكد صدور أول عدد من المجلة الأدبية «الرسالة الجديدة» التي سترأس تحريرها الأديب السعودي المعروف الأستاذ عبد الله جفري، وذلك بعد أن تمت الاستعدادات الفنية والأدبية لصدورها في شهر محرم ١٤٠٠ هـ . . المجلة سوف تطبع وتصدر من لندن . . وقد استقطب القارئون عليها عدداً كبيراً من الكتاب البارزين في الوطن العربي .

### الفكر الإسلامي والعلوم الأوروبية

نظمت جمعية الثقافة بالتعاون مع سفارة إيطاليا أسبوعاً ثقافياً تحت شعار «مساهمة الفكر الإسلامي في تطور العلوم والآداب الأوروبية»، كما نظم (بالجديدة) ملتقى ثقافي تضمن قراءات شعرية وقصصية ومعارض تشكيلية ومحاضرات وندوات، ومعرض للكتاب الفلسطيني والمغربي .

### ندوة حول التأليف في المسرح المغربي

نظم فرع اتحاد كتاب المغرب (بالدار البيضاء) ندوة حول التأليف في المسرح المغربي بمشاركة عدد من الكتاب والمخرجين المسرحيين .

### محمد القباچ إلى رحمة الله

انتقل إلى رحمة الله حافظ الخزانة بالرباط والكاتب المغربي محمد ابن العباس القباچ، وقد كان لوفاته رنة أسى وحزن في الأوساط العلمية والأدبية بالمغرب، لأنها بوفاته خسرت رائداً من رواد النهضة





★ خالد بن فهد ★

## كلمة

رسالة تقدير .. وعام الطفل

سعادة رئيس تحرير مجلة الفيصل الثقافية المحترم .  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أكتب إليكم معبراً عن خالص التقدير لما تحويه مجلتكم الغراء  
من بحوث ودراسات وموضوعات تتسم بالإثراء للفكر الإنساني .  
وأغتنم هذه الفرصة لأعرب لكم عن شكر اللجنة الوطنية  
السعودية لرعاية الطفولة لما لمست من اهتمامكم البالغ بالطفل  
عامة ، وبالعالم الدولي للطفل بخاصة ، ونشر المقالات التي تتناول  
مختلف ألوان النشاط في مجال الطفولة .  
وفقكم الله وسدد خطاكم .

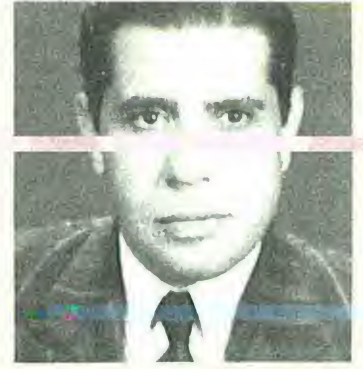
وكيل وزارة المعارف

نائب رئيس اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة  
خالد بن فهد بن خالد

●● المجلة : إذا كنا قد أخذنا على عاتقنا مسؤولية المساهمة في عام  
الطفل العالمي منذ بدايته بتقديم الدراسات التربوية والصحية  
والثقافية والتاريخية والاجتماعية والتراثية والنفسية ، بحيث لا يخلو  
أي عدد من أعداد المجلة من دراستين أو أكثر ، فإننا نشعر أننا نقوم بواجب  
عربي وإسلامي وإنساني . فالطفولة هي مستقبل البشرية ، فإن أحسننا توجيهها  
وتوعيتها وتربيتها فقد نساعد على إيجاد أجيال قادمة لا تعرف الحقد والكراهية ،  
أجيال لا تعاني الجوع والمرض ، والفقر والتشرد ، أجيال سليمة الأجسام  
والعقول لتكوين مجتمعات يسودها التكافل والتضامن ، والتواد ، وهذا ما يدعو  
إليه ديننا الإسلامي الحنيف .

وحين نتلقى تقدير سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد كمسؤول له  
مكانته القيادية في حقل التربية ورعاية الطفولة من خلال هذه الرسالة  
الكرمية القليلة في سطورها ، الكبيرة في مضامينها ، حين نتلقى هذا  
التقدير نشعر بضخامة المسؤولية التي تقع على عاتق الصحافة ، كما تجسد الدور  
الكبير الذي يجب أن تقوم به الصحافة في عملية التنمية .  
والاهتمام بالطفولة من أبرز عناصر التنمية في المجتمعات  
الإنسانية .

ورسالة الأمير خالد - مع شكرنا العميق لما جاء فيها - تعكس متابعته لجهود  
المجلة المتواضعة ، وهو ما نتمنى أن يدركه الجميع لا ليكون مصدر فخر  
واعتراف ، وإنما لما يتركه مثل هذا التقدير من شعور بأن الإنسان استطاع أن  
يقدم شيئاً ولو بسيطاً - لبلاده وأمتة وإنسانيته ، وأن في وسط المسؤوليات  
الكبيرة رجال يتابعون ، ويقدرون . وفق الله الجميع لما فيه الخير .



★ د. نعيم عطية ★

الأدبية والصحافية بالمغرب ، وقد كان له مكانة علمية ودور أدبي كبير ،  
وكان رحمه الله قد ألف كتابه المعروف بـ « تاريخ الأدب العربي في  
المغرب الأقصى » الذي يعد كنزاً تعتز به المكتبة العربية .

### \* كتب جديدة \*

● « بيوت واطئة » ، مجموعة قصصية لمحمد زقراف ، صدرت  
عن دار النشر المغربية .  
● « يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين » ، دراسة  
صدرت عن الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر  
والصحافة .

● « دخان من الأزمنة المحترقة » ، المجموعة الشعرية الثانية  
لمحمد الحبيب الفرقاني ، صدرت عن دار النشر المغربية .  
● « كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب من القرن ٨ قبل  
الهجرة إلى القرن ١٤ الهجري » ، تأليف الدكتور عبد الهادي  
التازي .

● « تمزقات » ، مجموعة قصصية للفاصل محمد صوف ، وتضم  
ثمان قصص .

### العراق

### \* كتب جديدة \*

● « الحصار » ، مجموعة قصص للكاتب محمود جنداري ،  
صدرت عن وزارة الثقافة والفنون .

● « الرجال والشمس » ، مجموعة قصص قصيرة للفاصل ضياء  
خضير ، صدرت عن وزارة الثقافة والفنون العراقية .

● « ديوان عبد المحسن الكاظمي » ، صدرت عن وزارة  
الثقافة والفنون العراقية المجموعة الثالثة والرابعة من هذا الديوان ،  
من جمع رباب الكاظمي .

● « ابن الأرض » ، مسرحية جديدة صدرت في بغداد للكاتب



## منشورات صلاح الدين .

من منشورات دار الكاتب العربي بالقدس :

١ - «صمت البحر» ، رواية من نوع أدب المقاومة .

٢ - «الحركة العمالية في فلسطين» ، للدكتور موسى البديري .

٣ - «الاحتلال والمناهج التعليمية» ، لعلي عثمان وآخرين .

● «أقار في دروب الليل» ، ديوان شعري لجمال قعوار ، من منشورات الأسواربكا .

غياث السحراني ، ومن منشورات وزارة الثقافة والفنون .

● «ملوك كندة من بني آكل المرار» ، تأليف المستشرق

الإنجليزي جوفار أولندر ، ترجمة وتحقيق الدكتور عبد الجبار

المطلبي ، صدر عن جامعة بغداد .

## مصر

### موسوعة الأحاديث النبوية الصحيحة

قرر الأزهر تقديم هدية ثمينة للمسلمين بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ، وهي موسوعة السنة النبوية التي تضم كل الأحاديث الصحيحة التي رويت عن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

## فلسطين

### \* كتب جديدة \*

● «أغنية الأطفالي» ، فلسطين ، لـ: نيفيد الحنيدي ، صدر عن:

القاضي عياض ويترجم له في استفاضة واستيعاب ، فإننا نجد في ثنايا الكتاب بأجزائه الأربعة المطبوعة صورة للحياة العقلية والثقافية في المغرب والأندلس وإفريقيا بالفهم العربي القديم ، أو بلدان المغرب العربي باصطلاح اليوم .

ذلك أن المؤلف بأسلوبه المتميز ، كثيراً ما يستطرد ويتشعب به الحديث ، فيعرج على ذكر أمور ومساائل إن كانت تخرج عن الموضوع ، كما نقول اليوم ، فإنها تبرز لنا مظاهر مختلفة من الحياة والأدب والعلوم والفنون في تلك العهود الزاهرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .

لهذا ، وكعادة المقرئ وأنداده ،

على جانب كبير من الأهمية ، إذ إنه من نفائس الخزانة المغربية الأندلسية ، يعتبر إلى جانب كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه «والاحاطة بأخبار غرناطة» لابن الخطيب و«نفح الطيب» للمقرئ كذلك ، أحسن ما أنتجته العبقريّة المغربية الأندلسية ، الأمر الذي يمكن أن نضاهي به الموسوعات العربية القديمة ، أمثال كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني ، و«صبح الأعشى في صناعة الانشاء» للقلقشندي ، وغيرهما من الكتب ذات النسق المشابه والمنهج المقارب والأسلوب المشترك .

وإذا كان المقرئ في كتابه هذا «أزهار الرياض» يركز الحديث على

صدر الجزء الرابع من كتاب : «أزهار الرياض في أخبار عياض» لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، بتحقيق الأستاذين سعيد أعراب ومحمد بن تاويت ، وقد نشر تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات العربية المتحدة .

وكانت الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت في السنة الماضية مصورة بالأوفست عن الطبعة المصرية الأولى التي ظهرت منذ أربعين سنة .

وكتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» موسوعة أدبية



● الكتاب : أزهار الرياض في أخبار عياض .

● المؤلف : شهاب الدين المقرئ التلمساني .

● تحقيق : سعيد أعراب ، ومحمد بن تاويت .





★ د. زكي نجيب عمود ★



★ د. بدريّة العوضي ★

## الكويت

### \* كتب جديدة \*

- «الإغراء الأخير»، رواية للدكتور نعيم عطية، وهي روايته الثالثة.

## السودان

### \* كتب جديدة \*

- «تعلمت أن أشتيهك» ديوان شعري ضم سبع عشرة قصيدة للشاعر فتحي ذيب سليمان.
- «لذة المناجاة»، تأليف الشيخ طائس الجميلي.
- «حقوق الطفل في الكويت - بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والإعلان العالمي لحقوق الطفل»، للدكتورة بدريّة العوضي، عن منشورات مجلة «دراسات الخليج».
- «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي»، تأليف أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الذي توفي سنة ٣٧٠ هـ، تحقيق الدكتور محمد جبر الألفي، صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

## لبنان

### الحياة الثقافية في طرابلس

كانت الحياة الثقافية في (طرابلس) بين عام ١٩٤٣ و ١٩٧٩، عنواناً لرسالة تقدّم بها ممدوح زيادة لكلية التربية بالجامعة اللبنانية.

### مجلة تهتم بالثقافة فقط

تنوي إحدى دور النشر اللبنانية إصدار مجلة جديدة تهتم بالحياة الثقافية وبأسلوب ومضمون جديدين، وستركز على نتاج الشباب الجدد في لبنان والبلاد العربية.

### \* كتب جديدة \*

- «مع الشعراء»، تأليف الدكتور زكي نجيب عمود، صدر عن دار الشروق ببيروت.
- «التاريخ والوعي الطبقي»، تأليف المفكر المغربي جورج لوكاش، ترجمة الدكتور حنا الشاعر، صدر عن دار الأندلس للطباعة والنشر.
- «ينابيع الرؤيا - دراسات نقدية»، لجبرا إبراهيم جبرا، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت.
- «الصهيونية»، تأليف منير ماشوش، صدر عن دار المسيرة.
- «مقدمة في نظريات الثورة»، تأليف أ. س. كوهان، ترجمة فاروق عبد القادر، صدر عن المؤسسة العربية في بيروت.

جاء كتابه أزهار الرياض في صورة موسوعة متعددة المناحي مختلفة الأغراض، متشعبة الموضوعات، متنوعة، تجمع بين التاريخ والأدب، وتأخذ من العلم بطرف، ومن الثقافة العربية الشاملة بطرف آخر، وكأننا أمام مكتبة كاملة العدة والعدد. وعمل المحققين في هذا الجزء يقوم على أساس مقابلة النسخ المخطوط مع بعضها البعض، وترجيح الصحيح منها وهو عمل مضمّن وشاق، إذ يتطلب الرجوع إلى عدد من النسخ المخطوطة الموزعة هنا وهناك. ولكن المحققين الأستاذين سعيد أعراب ومحمد بن تاويت، استطاعا أن يبرزتا عملهما في حلة علمية قشبية زادت من قيمة الكتاب. وأثبتت من جهة أخرى فضل المدرسة المغربية في التحقيق على التراث العربي. وهذا الجزء من أزهار الرياض يشتمل على أدعية ومناجاة للقاضي عياض، تمثل نمطاً رفيعاً من الأدب الديني وهو جانب مهم من جوانب شخصية القاضي عياض. وإذا كان يقال: «لولا عياض لما عرف المغرب» فإنه يصح القول أيضاً إنه «لولا أزهار الرياض للمقري لما عرف القاضي عياض».

عبد القادر الإدريسي  
الرباط - المغرب



من الفرق الوطنية والأجنبية .

### معرض للرسامين

نظم الاتحاد الوطني - للفنون التشكيلية - معرضاً ضم الأعمال الزيتية للفنانين (فليجاني خيره - والسيدة داود) بقاعة محمد راسم .

### عودة مجلة (التاريخ) للظهور

عادت مجلة التاريخ - التي يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية - إلى الظهور بعد انقطاع طويل .

### الجزائر

### ندوة حول الوثائق

عقد بالجزائر العاصمة ندوة تدور حول (الوثائق) والمشاكل التي تعترض ميدان التوثيق ، والوسائل الكفيلة بالتغلب عليها ، وقد نظمت إدارة الأرشفة والوثائق معرضاً للصور والوثائق .

### تونس

جائزة لمدير المعهد القومي للفنون والآثار  
حاز الدكتور صلاح الدين التلاتي على جائزة «إفريقيا - البحر الأبيض المتوسط» لسنة ١٩٧٩ م ، وذلك على كتابه «قرطاج البونيقية» وقد قدم له هذه الجائزة جمعية المؤلفين .

### مهرجان ثقافي

أقيم بمدينة (حمام سوسة) المهرجان الثقافي الثاني للقنطاوي اشتمل على عروض مسرحية وفنية ومسابقات أدبية في القصة والشعر والرسم ، ومسابقة في حفظ القرآن الكريم ، وكذلك مسابقات

### المهرجان الدولي الحادي عشر في (تيمقاد)

شهدت مدينة (تيمقاد) الأثرية عروضاً فنية ومسرحية وأدبية بمناسبة مهرجانها الحادي عشر ، وقد شارك في هذا المهرجان فرق محلية ووطنية ودولية .

### مهرجان للموسيقى التقليدية

أقيم (بتلمسان) مهرجان وطني للموسيقى التقليدية اشترك فيه عدد

## لقطة

★ الطفل في الدول النامية ★



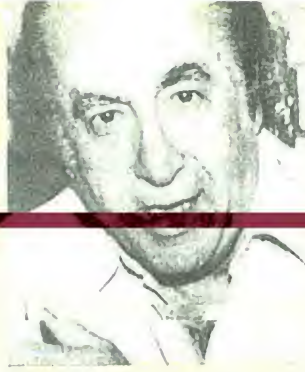
★ الطفل في الدول المتقدمة ★







\* د. محمد عزيز الحبابي \*



\* جيرا إبراهيم جيرا \*

- ١ - «رحلة القلصادي»، لأبي الحسن القلصادي الأندلسي المتوفي سنة ٨٩١، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان.
- ٢ - «صلعاء يا حبيبي»، تأليف عبد القادر بن الحاج نصر.
- ٣ - «الغصن على الحديد»، تأليف محمد العزيز الحبابي.
- ٤ - «ديوان الوردغي»، تحقيق عبد العزيز الغيزاني.
- ٥ - «التدريس الأصل»، تأليف الهاشمي زين العابدين.

#### الإجازات الحربية

#### مؤتمر للطب النووي

سيُعقد في ١٥ ديسمبر (كانون الأول) من هذا العام ١٩٧٩ م، مؤتمر للطب النووي في أبو ظبي يحضره خمسة وثلاثون طبيباً وعالمًا من المتخصصين في أمراض الطب النووي وأمراض الغدد من مختلف أنحاء العالم، وتستمر أعمال هذا المؤتمر ثلاثة أيام، يشارك فيه المختصون بدول الخليج والدول العربية، وسوف يبحث فيه استخدامات الطب النووي لعلاج الأمراض المنتشرة في المناطق الحارة، خاصة دول الخليج، إلى جانب مناقشة عدة أبحاث تتعلق بآخر ما وصل إليه الطب في معالجة أمراض الغدد.

#### ليبيا

#### \* كتب جديدة \*

- «الحنين الظامى»، تأليف علي الرقيعي، صدر عن الشركة العامة للنشر والتوزيع - طرابلس - ليبيا.
- «تحيين كالماء وتذهبن كالريح»، تأليف أحمد إبراهيم الفقيه، صدر عن الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس.

#### معرض للكتاب العراقي

أقيم بقاعة (يحيى) بتونس العاصمة معرض للكتاب العراقي  
عروض قيمة من المؤلفات التي كانت باللغة العربية والإنجليزية :

#### معرض كتب «الأطنان»

أقامت (دار ابن خلدون الثقافية) وذلك بمناسبة السنة العالمية للطفل - معرضاً لكتاب الأطفال - ضم مجموعة من القصص باللغتين العربية والفرنسية، وقد ساهم في هذا المعرض عدد من دور النشر التونسية وكذلك الأجنبية.

#### معرض الفنانين التشكيليين

أقام عدد من الفنانين التشكيليين العرب معرضاً لهم (بنادي قصر خير الدين) بالعاصمة التونسية، وقد ضم هذا المعرض أعمالاً للفنانين في معظم الدول العربية وكذلك تركيا.

#### ندوة حول (الأدب النسائي)

نظم نادي ابن رشيق الأدبي ندوة تدور حول موضوع (الأدب النسائي في تونس) وقد حضر هذه الندوة بعض من الأديبات من بينهن نافلة وعروسية النالوتي.

#### جائزة بورقية في الطب

حاز كل من الدكتور فتحي بن خليفة من تونس والدكتور العريايوي من الجزائر على جائزة الرئيس بورقية في الطب.

#### معرض للفن التشكيلي القطري بتونس

تحت إشراف اللجنة الثقافية القومية وسفارة دولة قطر بتونس أقيم بقاعة (يحيى) معرض للفن التشكيلي القطري ضم (٢٠) لوحة فنية لمجموعة من الرسامين القطريين.

#### \* كتب جديدة \*

- «أدب العلماء» ج ٢ للدكتور محمد السويسي، صدر عن الدار العربية للكتاب.
- «القصة الجزائرية القصيرة»، للدكتور عبد الله خليفة ركيبي، صدر عن الدار العربية للكتاب.
- «في التدريس الأصل»، تأليف محمد الهاشمي زين العابدين، صدر عن الشركة التونسية للنشر والتوزيع.
- «تطور النظريات والأفكار التربوية»، للدكتور عمر محمد التومي، صدر عن الدار العربية للكتاب.
- كما صدر عن الدار التونسية للنشر والتوزيع :



### \* كتب جديدة \*

- « ١٩ أكتوبر ١٩٧٧ م » ، قصة جديدة لبرنار نوبل ، صدرت عن دار فلاماريون ، وقد استوحى الكاتب أحداثها من مقتل اندرياس ياور ودفنه .
- « فرنسا بلا بترول » ، لهزري أوجاك وجاكليين دوروفيل ، تقديم الفريد سوفي ، صدر عن كلمن لفي .
- « أرض تحترق » ، مجموعة شعرية للشاعر إيلي معكرون ، صدرت عن دار هارماتان بباريس .

### الباكستان

#### المودودي .. إلى رحمة الله

الشيخ أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان ، والمفكر الإسلامي المعروف الذي فاز في هذا العام بجائزة الملك فيصل العالمية للخدمات التي قدمها للإسلام ، انتقل إلى رحمة الله في مستشفى « بافلو » في نيويورك عن ٧٧ عاماً ، وقد كان الشيخ المودودي يتلقى علاجه من إصابة في الكبد والكلى ، والتهاب المفاصل .

تغمّد الله الفقيد بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون (للقارئ الذي يرغب في معرفة تفاصيل حياة الشيخ المودودي الاطلاع على العدد ٢٢ من مجلة الفيصل الصادر في شهر ربيع الآخر ١٣٩٩ هـ / مارس ١٩٧٩ م) .

### بريطانيا

#### دورة لتعليم اللغة العربية

تنظم جامعة الملك عبد العزيز ممثلة بمركز اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، دورة لتعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات الإسلامية المقيمة بلندن ، ويبلغ عدد المشتركين أكثر من (٦٠) دارساً ، هذا وقد أعد برنامج حافل لإنجاح هذه الدورة .

### \* كتب جديدة \*

- « الشوارد المعدنية في المحاليل » ، دراسة بقلم جون بورغيس ، صدرت عن ماكميلان .
- « تعارف الخلايا » ، بحث علمي أشرف عليه أ. س. كورتيس ، صدر عن جامعة كامبردج لجمعية علم الحياة التجريبي .
- « الدارات الحديثة الموحدة والحاسب الإلكتروني » ، تأليف باري ح. وولارد ، صدر عن ماك غروهيل .
- « ارسال وتوليد الموجات الإلكترونية - مغناطيسية » ، تأليف ك. ف. ساندر و: ج. أ. ل. ريد ، صدر عن جامعة كامبردج .
- « دور الفحم في تقنية الغد » ، تأليف تشارلز سيمونز ، صدر عن بيرغامون .
- « خمائر التربة » ، دراسة من إعداد ر. ج. بيرنز ، صدرت عن أكاديميك برس .
- « التنمية الإدارية - فحواها - سياساتها » ، دراسة من إعداد جون بورغدين وروجر ستيوارت صدرت عن غاور برس .
- « النقود الشرقية وقيمتها » ، ج ٢ ويشمل العالم القديم والوسيط من ٦٠٠ قبل الميلاد إلى ٦٥٠ بعد الميلاد ، تأليف ميشيل متشينار ، صدر عن هاوكنز .

### فرنسا

#### معرض للفن المعاصر

أقيم في متحف الفن الحديث بباريس معرض للفن المعاصر شارك فيه مجموعة من الفنانين المعاصرين الفرنسيين والإيطاليين ، وقد ضم المعرض بعض اللوحات الحديثة التي رسمها الفنان الإيطالي (دورازيو) الذي تميز بألوانه المتدرجة ، والرسام الفرنسي (مارتن بار) الذي اشتهر برسم الأشياء الصغيرة .

#### ندوة إسلامية عن القدس

نظمت الجمعية الإسلامية بمدينة (ديبون) الفرنسية ندوة إسلامية ، استمرت زهاء خمس ساعات في المصلى التابع للجمعية عن القدس ، وقد لاقى هذه الندوة نجاحاً كبيراً ، حضرها المسلمون المقيمون في هذه المدينة ، كما حضرها مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس ، وقد بحث في هذه الندوة عدة مواضيع من أهمها : أهمية مدينة القدس الشريف لدى كافة المسلمين ، كما تطرق البحث في هذه الندوة إلى واقع المسلمين في فرنسا ومدى مساعدتهم .



## اليوم و الغد

### هاتف المستقبل بدون سلك

● رغبة في التحرر من البيت ، اخترع هاتف لاسلكي ليعمل عمل الهاتف المستخدم حالياً الذي سيصبح تقليدياً ، وسوف يكون الهاتف الجديد منافساً له .

### حاسب يعمل بالضوء

● ابتكرت إحدى الشركات اليابانية أغرب حاسب - يعمل بواسطة أي ضوء - سواء أكان ضوء الشمس ، أو ضوء الحجرة ، أو حتى ضوء عود الكبريت ، هذا الحاسب لا يستخدم أية بطارية على الإطلاق على خلاف الحاسبات الأخرى ، إلا أنه مزود بخلايا شمسية مصنوعة من بلورات « السليكون » التي والتي تشبه مثيلاتها التي تستخدم لتوليد الطاقة في الفضاء .

### حافظ للأسطوانات وشاشة التلفزيون

● تم في فرنسا إنتاج مستحضر جديد أنتجته شركة « بوش » على شكل « سبراي » يستخدم لرش شاشة التلفزيون ليحفظها نظيفة نقية من الأوساخ والتراب العالق بفعل الكهرباء الموجودة في الشاشة ، وكذلك يستخدم لإطالة عمر الأسطوانات وبقي إبرة « البيك أب » من الانقراض السريع ، هذا السائل الغازي مصنوع من مادتي الأثير الفوسفوري وسبيروتو الأثيليك .

### الاستغناء عن حمالة الحقايب

● ابتكرت حاملات جديدة تتكون من أربع ماصات هواء تتركب على سقف السيارة ، وعند وضع الحقايب فوقها تمتص الهواء الموجود في الفراغ ما بينها وبين الحقيبة لتلتصق بها الحقيبة بإحكام ، وبهذا تبقى ثابتة مكانها طيلة مدة السفر . هذه الطريقة تمتاز بأنها لا تحتاج إلى ربط وإحكام ، وتبقى الحقيبة خالية من أي أثر أو خدش قد يحدثه الجبل أو حزام الربط المستخدم حالياً في الحاملة التي تثبت على سقف السيارة .

### مكافحة الحرائق بالمقول الإلكتروني

● في هامبورج بألمانيا الاتحادية ظهر أحدث مركز للإطفاء يستخدم العقل الإلكتروني ، يتولى توجيه عربات الإطفاء نحو الأماكن المطلوب انقاذها بعد ( ٥٠ ) ثانية من تلقي الإشارة وكافة البيانات الخاصة بالحرائق .. العقل الإلكتروني الجديد يقوم بتوجيه ( ٣٠ ) مركزاً فرعياً للإطفاء في مدينة هامبورج .



★ سيد أبو الأعلى المودودي ★

### أسيانيا

مركز ثقافي إسلامي ومسجد في مدريد  
سيتم قريباً بناء مركز ثقافي إسلامي ومسجد في مدريد ، وقد شارك في تقديم تكاليف هذا المشروع المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية ، والكويت ، وليبيا .

### أمريكا

ندوة إسلامية عن السيرة النبوية  
نظم مكتب رابطة العالم الإسلامي في أمريكا وكندا بالتعاون مع عدد من المراكز والجمعيات الإسلامية في نيويورك ونيوجرسي ، ندوة إسلامية عن السيرة النبوية في قاعة جامعة كولومبيا ( بنيويورك ) ، تحدث في هذه الندوة نخبة من العلماء العاملين في الحقل الإسلامي في القارة الأمريكية ، وقد تناولت معظم الكلمات التي أقيمت في هذه الندوة سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته حتى لحق بالرفيق الأعلى ، كما حث جميع المتحدثين في كلماتهم على التمسك بالإسلام واتباع تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

### نننننننن

### كتب إسلامية للمسلمين

قامت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بإرسال كميات من الكتب الدينية باللغة العربية والإنجليزية لتوزيعها على مسلمي نيبال رغبة في تنوير أذهان المسلمين هناك ، وتعريفهم بمبادئ الإسلام وتعاليمه السمحة ، وكان المجلس التأسيسي للرابطة قد أوصى بضرورة دعم ومساعدة المسلمين في دولة نيبال وإرسال كميات مناسبة من الكتب الدينية إليهم .



## أفكار من ش ودة أفكار من ش ودة



★ علي خليفة ★

● إن على دول (أوبيك) أن تغير من سياسة إنتاجها النفطي من كونها موجهة أساساً إلى الأسواق العالمية ، ومتأثرة بتطورات هيكل الطلب على الطاقة للدول الصناعية ، إلى سياسة إنتاج مبنية على رؤية طويلة المدى للتحويل الاقتصادي الاجتماعي في مجتمعاتها .

علي الخليفة الصباح - وزير النفط الكويتي - جريدة « السياسة » الكويتية



★ خالد محمد خالد ★

● الداعية لا بد أن يجيد لغة القوم الذين يدعوهم . يقول الله تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ فهل عندنا دعاة بهذا المستوى ؟ إننا بحاجة إلى من يجيدون اللغات الأجنبية ، والأزهر ليس به أكثر من خمسة في المليون يجيدون اللغات . . . والمسألة ليست سهلة ، فلا بد من إنشاء معاهد خاصة لإعداد الدعاة الذين يتحتم - بالإضافة إلى إجادة اللغات - أن يكونوا على إلمام كاف بعلوم مختلفة مثل الفقه الإسلامي والأديان المقارنة وعلم النفس مع توفر القدوة الصالحة والزهد والورع فيهم .

خالد محمد خالد - مجلة « اقرأ » السعودية



★ د. المنصف الشنوفي ★

● يجب على الإعلام العربي أن يساهم في تقديم الوطن العربي الجديد بصورته الحقيقية والمشرقة ، وأن يقدم الإنسان العربي بوجهه الحضاري ، وأن يوضح ماهية حضارتنا العريقة بدلا من تناقل أخبار وكالات الأنباء أو تسليط الألسن على بعضنا البعض لخدمة أهداف معينة .

الدكتور المنصف الشنوفي - عميد معهد الصحافة في تونس - مجلة « اليقظة » الكويتية



★ مفتي لبنان ★

● إن فلسطين بكل تراثها ومقدساتها أرض عربية إسلامية والاعتداء عليها واحتلالها من قبل القوى الصهيونية لا يغير من هذه الحقيقة شيئا ، ولا يؤثر على الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني في كامل وطنه وترابه ، هذه الحقوق التي أقرتها المواثيق الدولية والحقائق الشرعية والتاريخية والتي لا تسقط أبداً بتشريد الشعب الفلسطيني ظلماً وعدواناً .

حسن خالد - مفتي لبنان - مجلة « فلسطين »

● قلما يخطر ببال المرأة وغيرها أن هموم الرجل أعظم بكثير من همومها وأن حاجته إلى التحرر من بعضها أعظم بكثير من حاجتها إلى التحرر من بعض القيود التي تزعم أن المجتمع يفرضها عليها ، وحسبنا أن نذكر من تلك الهموم هم كسب الرزق ، فمسؤوليته لا تزال بحكم العادة والقانون تقع عليه ، حتى ولو كانت امرأته قادرة على العمل أو تعمل فعلاً ، أو حتى صاحبة ثروة طائلة موروثه أو مكتسبة ، فحياة الرجل تكاد أن تكون كفاحاً مستمراً في سبيل الرزق يكلفه الكثير من صحته الجسمية والنفسية ، ويضطره كثيراً إلى أن يضرب في الأفاق ، كما أنه يقضي عليه في بعض الأحيان .

د. محمود زايد - صحيفة « الشرق الأوسط »



بسم الله الرحمن الرحيم  
وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ  
يَأْتُواكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ  
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ  
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ  
مُحَمَّدٌ رَاسُ الْوَسْطِيِّ

# الهجرة السكانية

## دراسة في حركة السكان في العالم الإسلامي

إعداد: د. السيد خالد المطري

الدول الأخرى من محل إقامتهم المعتاد في قرى ومدن المملكة إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج استكمالاً للركن الخامس من أركان الإسلام . ويتم الحج بطريقتين : فردية ينتقل فيها الحاج بمفرده إلى الأراضي المقدسة ، أو جماعية تشمل مع غيره من الحجاج في أفواج وجماعات تنتقل بمحض اختيارها الحر المباشر دون اجبار أو قسر . وتكون الهجرة إلى الحج موسمية تتم في موسم معين بين أوائل ذي القعدة وأواخر ذي الحجة من كل عام تقريباً ، وإن كانت هجرة بعض الحجاج تتحول إلى هجرة دائمة حينما يستقر هذا البعض في الأراضي المقدسة لا يعودون منها إلى بلادهم ، إما بحثاً عن عمل أو قضاء للبقية الباقية من حياتهم بجوار المشاعر المقدسة والحرمين الشريفين خاصة من جانب كبار السن من الحجاج . وتشبه الهجرة الموسمية إلى الحج ، في هذه الحالة ، الهجرة الموسمية إلى العمل ، التي يقوم بها المزارعون من بعض الدول للعمل في الأراضي الزراعية في الدول الأخرى أثناء موسم الحصاد ، ثم يعودون عقب انتهاء هذا الموسم إلى بلادهم مرة أخرى ، مع اختلاف كل من الهجرتين . وبذا يكون الحج صورة من صور الهجرة المؤقتة تستغرق شهراً أو شهرين أو نحوهما ، يعود بعدها الحجاج إلى محل إقامتهم المعتاد .

تعتبر الهجرة عنصراً من عناصر حركة السكان وانتقالهم ، فالسكان ليسوا كتلة ثابتة جامدة غير متحركة ، وإنما هم في حركة دائمة تتم بطريقتين : الأولى طبيعية عن طريق المواليد والوفيات ، والثانية غير طبيعية عن طريق الهجرة . وإذا كانت المواليد والوفيات تعمل على توزيع السكان ، فإن الهجرة تؤدي إلى إعادة هذا التوزيع <sup>(١)</sup> .

وللهجرة صور مختلفة ، فقد تكون دولية أو داخلية ، جماعية أو فردية ، اختيارية أو إجبارية ، دائمة أو مؤقتة ، موسمية أو يومية . فما موقع الحج من هذه الصور جميعها ؟

الواقع أن الحج صورة من صور هجرة السكان وتحركهم وانتقالهم من مكان إلى آخر . ولا يقتصر الحج على صورة واحدة من صور الهجرة بل قد يشملها جميعاً . فهاجرة دولية تنقل أفواج الحجاج من محل إقامتهم المعتاد ، عبر الحدود السياسية لدولهم ، إلى داخل حدود المملكة العربية السعودية . وهو هجرة داخلية أيضاً تنقل السكان من أبناء المملكة العربية السعودية والمقيمين فيها من رعايا



البقاع المقدسة ، ليقضوا نسكهم وليستكملوا دينهم .  
كذلك فإن التركيب النوعي لأفواج الحجيج لا يكون من الذكور وحدهم ،  
كما هو حال المهجرات السكانية الدولية التي شهدتها جهات كثيرة من العالم منذ بداية  
القرن التاسع عشر ، بل يشمل النوعين معاً الذكور والإناث بنسب متقاربة . كذلك  
فإن التركيب العمري لأفواج الحجيج لا يكون من الشباب وفئات السن المتوسطة  
القادرة على العمل والإنتاج ، كما هو حال المهجرات السكانية العادية ، بل يضم  
فئاتاً سنية متفاوتة ، تشمل الشباب متوسطي السن والشيوخ والكهول ، وبعض  
العجزة غير القادرين على الحركة والانتقال ، الذين يودون لو انتهت بهم رحلة الحياة  
في الأراضي المقدسة .

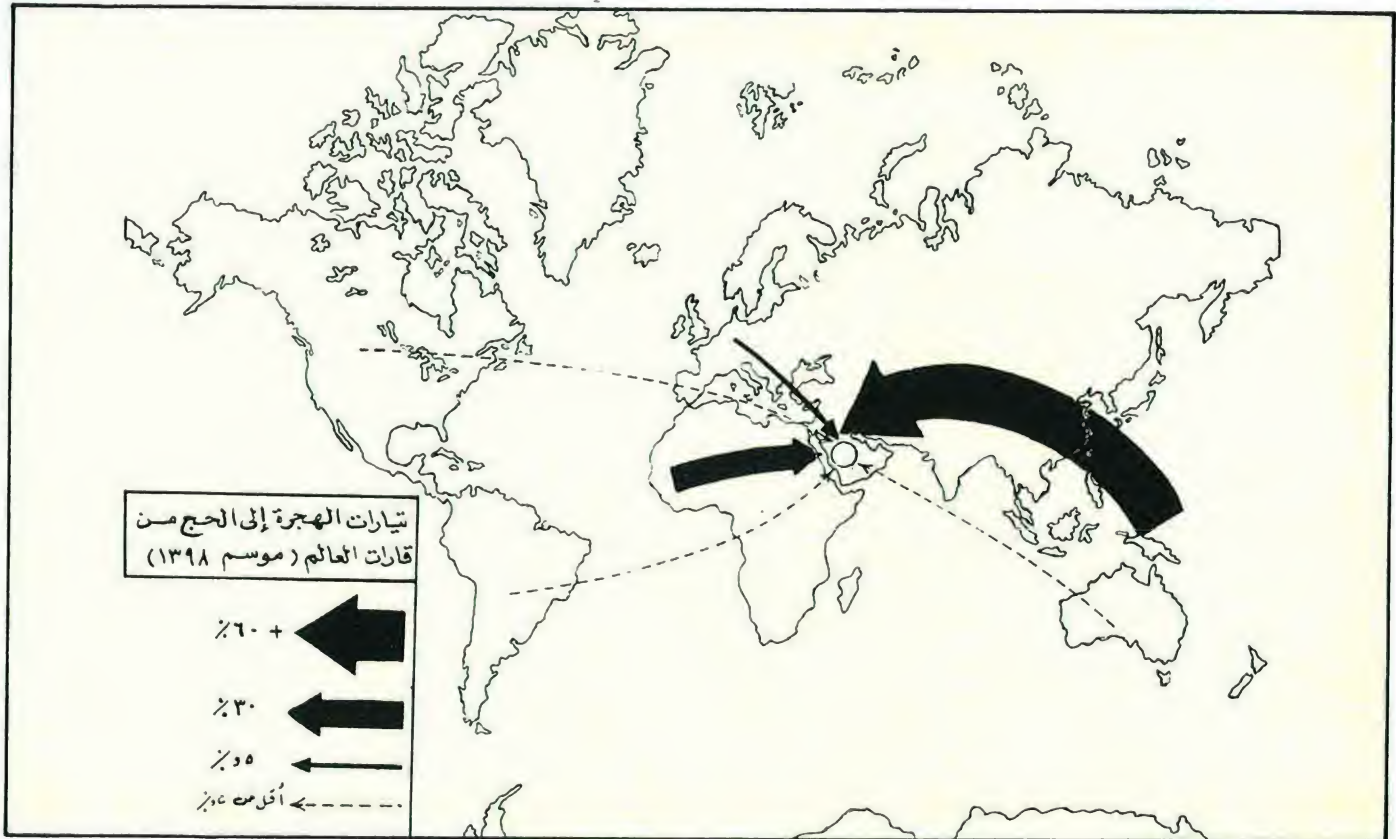
### تسجيل الهجرة إلى الحج

يتم تسجيل الهجرة إلى الحج بطريقتين : مباشرة وغير مباشرة حسب نوعها .  
فالـ **هجرة الدولية إلى الحج** يتم تسجيلها بطريقة مباشرة ، وذلك بتسجيل أعداد  
الحجاج القادمين من خارج المملكة العربية السعودية في الموانئ البحرية والجوية ، وفي  
الداخل البرية للمملكة من واقع جوازات السفر بمعرفة مصلحة الجوازات والجنسية  
بوزارة الداخلية . كما تعتمد هذه الطريقة المباشرة على عدد تأشيرات الدخول إلى  
المملكة للحج التي تعطى للأجانب من سفارات المملكة في الدول المختلفة . وبهذا  
يمكن التمييز بسهولة بين القادمين للحج والقادمين للعمل والإقامة ، وكلها هجرات  
للأجانب .

أما **الهجرة الداخلية إلى الحج** ، أي انتقال المواطنين والمقيمين من قرى  
ومدن المملكة إلى الأراضي المقدسة ، فتم بطريقة غير مباشرة وذلك بتسجيل جميع  
الحجاج الذين يدخلون مكة المكرمة من مداخلها المتعددة في فترة الحج ، واستبعاد  
الحجاج القادمين من خارج المملكة من مجموعهم ليكون الباقي هم مجموع الحجاج

### دوافع الهجرة إلى الحج وتركيبها

وإذا كان الحج على ذلك صورة من صور هجرة السكان وانتقاهم وتحركهم من  
مكان إلى آخر ، فإنه يختلف عن الهجرة السكانية العادية في دوافعه وفي تركيبه  
النوعي والعمري ، بحيث يمكن القول إنه هجرة من نوع خاص لم تتناولها  
الدراسات السكانية من قبل . ذلك أن دوافع الحج ومسبباته تختلف اختلافاً جذرياً  
عن دوافع الهجرة السكانية المعروفة : فهي ليست دوافع سياسية (كتغير الحدود  
السياسية بين الدول أو تبادلها للسكان بناء على اتفاقيات دولية ، أو الاضطهاد  
السياسي أو الديني أو الحروب) ، كما أنها ليست دوافع اقتصادية (مثل  
الرغبة في تحسين المستوى الاقتصادي للأفراد) ، بل هي دوافع دينية  
روحية بحتة لا مادية ، إذ يلعب عامل الجذب الديني دوراً أساسياً ووحيداً في  
اجتذاب أفواج الحجاج المسلمين من كافة بقاع العالم الإسلامي واللاإسلامي إلى





من داخل المملكة . وتم هذه العملية بطريقة متطورة بواسطة الأجهزة الحديثة التي تستخدمها السلطات في المملكة لاداء هذا الغرض .

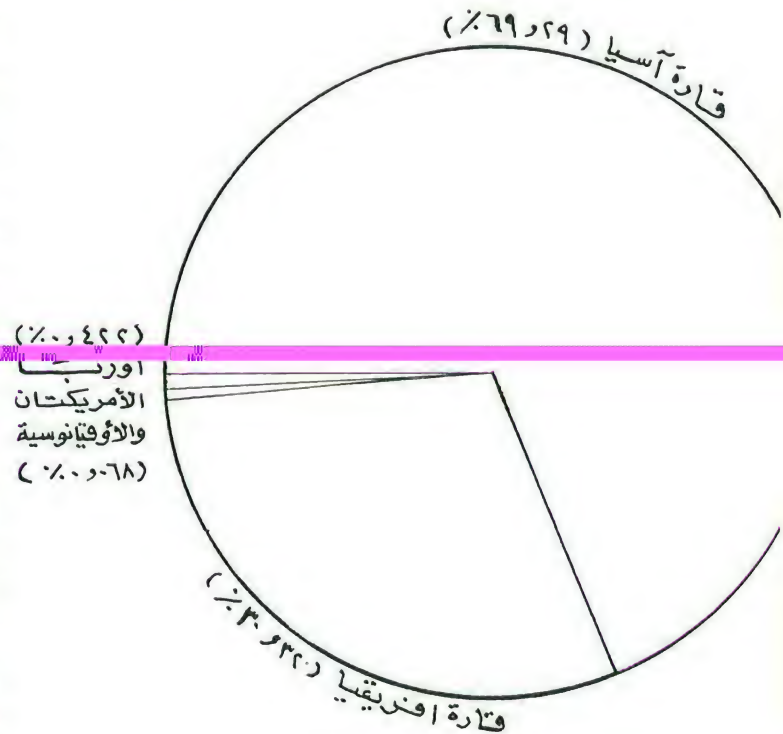
★ ★ ★

**وستتناول موضوع الهجرة إلى الحج من جوانب متعددة منها : موقف**  
قارات العالم ودوله من المشاركة في هذه الظاهرة الدينية العالمية المتكررة بانتظام ، مع بيان دور الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية في هذه الظاهرة ، ودور العالم العربي في المساهمة فيها ، باعتباره الموطن الذي نشأ فيه الإسلام وانتشر منه إلى بقاع العالم الإسلامي المختلفة ، ونسبة إرسال الدول للحجيج بالقياس إلى عدد سكانها المسلمين ، وأخيراً مستقبل الهجرة إلى الحج في العشرين عاماً القادمة على ضوء نظوره في الخمسين عاماً الماضية . وستكون أرقام الحجاج الدوليين في موسم ١٣٩٨ هـ محوراً لهذه الدراسة .

### مدى مشاركة قارات العالم في الهجرة إلى الحج

إن نظرة إلى الشكلين رقم (١) ، و (٢) توضح أن قارة آسيا تشارك بالقدر الأكبر في حركة الحج الموسمية بين قارات العالم قاطبة ، إذ تبلغ نسبة من ترسلهم إلى الحج ٦٩,٢٩٪ (أو ٥٧٥,٢٩٤ حاجاً) . ويتفق هذا تماماً مع كون آسيا قارة الإسلام الكبرى في العالم ، إذ تضم أكثر من (٤٠٠) مليون مسلم من بين (٦٥٠) مليون مسلم في العالم ، بنسبة ٧٤٪ تقريباً . كما يتفق هذا أيضاً مع وقوع البقاع المقدسة فيها وكونها أقرب القارات نسبياً إليها ، مما يجعل عوامل المسافة والزمن والتكلفة تلعب دوراً هاماً في تسهيل انتقال الحجاج منها إلى هذه المشاعر .

وتأتي قارة إفريقيا في المرتبة الثانية بعد آسيا من حيث مشاركتها في حركة



شكل رقم (٢)

وزيع نسب الحجاج حسب القارات (موسم ١٣٩٨)

الهجرة إلى الحج كل عام ، إذ تشارك بنسبة ٣٠,٢٢٪ (٢٥٠,٨٥٦ حاجاً) من مجموع من أرسلتهم قارات العالم إلى حج العام الماضي . ويتفق ذلك أيضاً مع كون إفريقيا القارة البكر للإسلام التي ينتشر بين سكانها ببطء سريعة تلك معازل الظلام والجاهلية المتمثلة في العقائد الوضعية ، والتي تضم أكثر من (٢٥٠) مليون مسلم أو نحو ٣٣,٥٪ من إجمالي المسلمين في قارات العالم أجمع .

وإذا كانت قارتا آسيا وإفريقيا أرض الإسلام التي تشمل الأغلبية الساحقة من المسلمين في العالم أجمع (٩٧,٥٪ من إجمالي مسلمي العالم) ، فليس غريباً إذاً أن تشارك القارتان في الهجرة إلى الحج بالأغلبية الساحقة (٩٩,٥١٪ ، أو ٨٢٦,١٥٠ حاجاً) من جملة من ترسلهم قارات العالم إلى الحج كل عام .

أما باقي قارات العالم فلا تشارك في الهجرة إلى الحج إلا بقدر زهيد لا يتجاوز ٠,٤٩٪ من إجمالي الحجاج . ويتفق ذلك كذلك مع انخفاض نسبة المسلمين في هذه القارات بالقياس إلى إجمالي مسلمي العالم (٢,٥٪) . وهنا تأتي قارة أوروبا في المقدمة ، تليها قارة أمريكا الشمالية ، فأمريكا الجنوبية ، فاستراليا . والظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا ، أن قارات العالم أجمع قد شاركت في حركة حج العام الماضي بإرسال أفراد من سكانها المسلمين وإن اختلفت أعدادهم . مما يؤكد أن الإسلام ظاهرة عالمية لا تحلو منها قارة من القارات ، مهما بعدت المسافات أو طال زمن الرحلة إلى الحج .

### دول إرسال الحجاج

إذا ألقينا نظرة على الشكل رقم (٣) الذي يبين موقف دول العالم من إرسال الحجاج ومدى مشاركتهم في موسم العام الماضي ، لانتضحت لنا الحقيقتان التاليتان :

●● **الأولى :** أن الغالبية العظمى من موجة إرسال الحجاج العام الماضي قدمت من خمس عشرة دولة فقط من مختلف أنحاء العالم (الإسلامي وغير الإسلامي) ، أرسلت كل منها أكثر من عشرة آلاف حاج بنسبة أكثر من ١٪ من إجمالي الحجاج . وهذه الدول هي بالترتيب : اليمن الشمالي - أندونيسيا - العراق - الباكستان - نيجيريا - سورية - إيران - مصر - ليبيا - الأردن - تركيا - الجزائر - المغرب - الهند والسودان . وقد بلغ مجموع القادمين من هذه الدول ٧١٨,٤٠٢ من الحجاج ، أو بنسبة ٨٦,٥٣٪ من مجموع القادمين للحج في العام المصمر . وهنا نلاحظ أن نيجيريا والهند تشغلان المركزين الخامس والرابع عشر على التوالي من حيث إرسال الحجاج بالرغم من أنها دولتان غير إسلاميتان . بل إن نيجيريا هي أولى دول إفريقيا إرسالاً للحجاج وتفوق كثيراً من الدول هذا الصدد ، مما يؤكد قوة التيار الديني الإسلامي في هذه الدولة غير الإسلامية . أما الدول الأخرى التي شاركت في إرسال الحجاج في العام الماضي ، وعددها ١٠٣ دول ، فلم ترسل إلا ١٣,٤٧٪ أو ١١١,٨٣٤ حاجاً من مجموع الحجاج القادمين من دول العالم كله . مما يبين بجملة أن ضخامة تيار الهجرة إلى الحج يتوقف كل عام على عدد القادمين من مجموعة محدودة من الدول بصرف النظر عن ديانتها الرسمية .

●● **الثانية :** أن تيار الهجرة إلى الحج شمل في العام الماضي ٣٤ دولة من قارة آسيا بنسبة ٢٩,٦٦٪ من مجموع الدول التي شاركت في هذا التيار ، في مقدمتها اليمن الشمالي ، بينما يشمل ٤٤ دولة من قارة إفريقيا بنسبة ٣٧,٢٩٪ من مجموع الدول في مقدمتها نيجيريا ، ١٧ دولة من قارة أوروبا بنسبة ١٤,٤٠٪ في مقدمتها بريطانيا ، ودولتان من قارة أمريكا الشمالية بنسبة ١,٧٠٪ في مقدمتها الولايات المتحدة ، و٥ دول من قارة أمريكا الجنوبية بنسبة ٤,٢٤٪ في مقدمتها ترينداد ،



للحجج ، بينما ينخفض هذا التيار من كل من تركيا والجزائر والمغرب التي تأتي في مؤخرة هذه المجموعة من الدول الإسلامية .

(ج) - المجموعة الثالثة: وتشمل ١٣ دولة ساهمت كل منها بنسبة أقل من ١٪ من إجمالي حجاج الدول الإسلامية. وهذه الدول بالترتيب هي: ماليزيا - الكويت - الصومال - الإمارات العربية - عمان - السنغال - تشاد - مالي - البحرين - غينيا - قطر - موريتانيا وجيبوتي. وقد بلغت نسبة من أرسلتهم هذه المجموعة ٩٨,٢٦٤,٤٨ (حاجاً) من إجمالي حجاج الدول الإسلامية.

أما إذا نظرنا إلى تيار الحج القادم من الدول غير الإسلامية في العام الماضي (شكل رقم ٦) فإننا نلاحظ أن هذا التيار يبلغ أقصاه من نيجيريا التي أرسلت ٤٩,٨٥٪ (أو ٥٦,٨٤٢ حاجاً) من إجمالي حجج الدول غير الإسلامية، تليها الهند التي شاركت بنسبة ١٧,٧٥٪ (أو ٢٠,٢٣٢ حاجاً). وتلي هاتين الدولتين بالترتيب دول: أوغندا - بريطانيا - فولتا العليا - الكرون - ساحل العاج - غانا - سنغافورة (وقد شاركت كل منها بنسبة ١٪ أو أكثر من إجمالي حجج الدول غير الإسلامية). ثم الفلبين. ويشكل تيار الحج هذا العام من الدول العشر المذكورة

(١) - المجموعة الأولى : وتشمل ١٢ دولة شاركت كل منها بأكثر من ٣٪ من إجمالي حجاج الدول الإسلامية ، وهي بالترتيب : اليمن الشمالي - أندونيسيا - العراق - باكستان - سورية - إيران - مصر - ليبيا - الأردن - تركيا - الجزائر والمغرب . وتبلغ نسبة من أرسلتهم هذه المجموعة ٨٦,٣١٪ ( أو ٦٢٣,٩٢٠ حاجاً ) من مجموع حجاج الدول الإسلامية . ويلاحظ هنا ارتفاع نسبة إرسال اليمن الشمالي





إفريقيا . ولذلك يمكن القول بأن تيارات الهجرة إلى الحج تشمل العالم كله دانيه وقاصيه ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، الرأسمالي منه والشيوعي ، والحيادي ، تصب كلها في مركز الأرض وقطب الإسلام ، في بيت الله الحرام بمكة المكرمة حيث يجتمع الحجاج من أكثر من ١١٨ دولة من دول العالم .

### مشاركة الدول العربية في ظاهرة الهجرة إلى الحج

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة موقف الدول العربية من المشاركة في موسم الحج ، المبين في الشكل رقم (٧) ، تبين لنا أن تيار الهجرة إلى الحج القادم من الدول العربية يشكل أكثر من نصف إجمالي عدد القادمين من أنحاء العالم المختلفة . فالدول العربية تساهم بنسبة ٥٧,٦٨٪ (أو ٤٧٨,٩١٨ حاجاً) من إجمالي عدد حجاج العام الماضي ، بينما يقدر تيار الهجرة إلى حج هذا العام من الدول الأخرى خارج نطاق العالم العربي بنحو ٤٢,٣٢٪ (أو ٣٥١,٣١٨ حاجاً) . ويشير هذا إلى أن العالم العربي الذي كان الموطن الأول للإسلام منذ نشأته لا زال سكانه يشغلون المقدمة بالنسبة لزيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج .

فإذا قارنا تيار الهجرة إلى الحج في هذا العام من الدول العربية الإسلامية بتياره القادم من الدول الإسلامية غير العربية ، وجدنا أن الأول يشكل ٥٦,٧٧٪ (أو حوالي ٤٧٠,٢٧٨ حاجاً) من إجمالي حجاج الموسم الماضي ، بينما يشكل الثاني حوالي ٤٣,٢٣٪ (أو ٣٦٥,٩٠٠ حاج) من إجمالي عدد الحجاج . ويؤكد ذلك مرة أخرى ، أن الحجاج العرب يشكلون أغلبية الحجاج ، كما يؤكد أن الدول العربية الإسلامية ، تمثل قلب العالم الإسلامي ومحور جاذبيته .

### عدد حجاج كل دولة قياساً إلى عدد سكانها المسلمين

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى محاولة الربط بين عدد الحجاج القادمين من كل دولة وعدد سكانها المسلمين ، لانتضحت لنا مجموعة من الحقائق المثيرة للانتباه يمكن استخلاصها من الشكل رقم (٨) ، نلخص تماماً عن الأولويات التي سبقت دراستها . ويمكن تلخيص هذه الحقائق في ثلاث :

● الأولى : أن هناك مجموعة من الدول ارتفع فيها عدد الحجاج القادمين في العام الماضي بالقياس إلى إجمالي عدد المسلمين فيها ، شملت ١٥ دولة هي بالترتيب : الإمارات العربية المتحدة (٢٥ حاجاً من كل ألف مسلم بها ، أو ٢٥٠ حاجاً من كل عشرة آلاف مسلم) ، اليمن الشمالي (٢٢,٧ حاجاً/الألف) ، ليبيا (١٧,٣ حاجاً/الألف) ، الأردن (١٤,٥ حاجاً/الألف) ، قطر (١٣,٨ حاجاً/الألف) ، البحرين (١٠,٣ حاجاً/الألف) ، سورية (١٠,٢ حاجاً/الألف) ، العراق (٧,٤ حاجاً/الألف) ، الكويت (٦,٩ حاجاً/الألف) ، اليمن الجنوبي (٦,٢ حاجاً/الألف) ، عمان (٥,٦ حاجاً/الألف) ، لبنان (٤,٧ حاجاً/الألف) ، جيبوتي (٤,١ حاجاً/الألف) ، بروني (٣,٨ حاجاً/الألف) ، أوغندا (٢,٢ حاجاً/الألف) .

والملاحظ أن معظم هذه الدول - إن لم يكن كلها - من الأقطار قليلة السكان والتي لا يتجاوز عدد المسلمين فيها في أغلب الأحوال المليون نسمة ، بل إن عدداً كبيراً منها يقل عدد المسلمين فيه عن الخمسمائة ألف مسلم . كما يلاحظ أن غالبيةها من الدول المنتجة للبتترول .

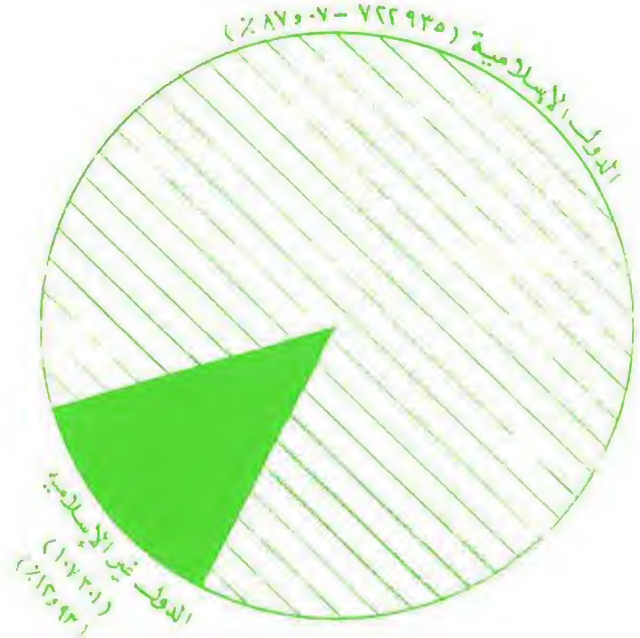
ومن هنا نستطيع تفسير ارتفاع عدد الحجاج القادمين من هذه الدول بزيادة دخل الفرد فيها ، أو بارتفاع نسبة المسلمين فيها إلى إجمالي عدد السكان ، أو بهما معاً .

حوالي ٨٣,١١٪ من إجمالي عدد القادمين من الدول غير الإسلامية . أما الدول غير الإسلامية الأخرى وعددها ٧٨ دولة فقد شاركت بأعداد بسيطة من الحجاج لا تتجاوز المئات وتشكل في مجموعها ١٦,٨٩٪ من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية .

وما تجدر الإشارة إليه ظهور تيار للهجرة إلى الحج من دول عرفت بتعصبها الديني ، وقاست لفترة من تاريخها من الحروب والحركات الدينية البروتستانتية منها والكاثوليكية وغيرها . ومن أمثلة هذه الدول بريطانيا التي تأتي في المركز الرابع بين الدول غير الإسلامية التي أرسلت حجاجاً إلى بيت الله الحرام العام الماضي . وقد شاركت بنسبة ١,٤٧٪ (أو ١,٦٥٢ حاجاً) من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية . ومن أمثلتها أيضاً فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية واليونان التي شاركت بنسب : ٠,٤٥٪ - ٠,٣٥٪ - ٠,٢٨٪ من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية على التوالي .

يضاف إلى هذا ازدياد عدد القادمين للحج في العام الماضي من دول عرفت بتطرفها واتجاهها إلى الشيوعية ، أو من دول لا دينية . ومن أمثلتها يوغوسلافيا التي أرسلت ٩٥٣ حاجاً (بنسبة ٠,٨٥٪) من إجمالي حجاج الدول غير الإسلامية . وإن كان يلاحظ هنا أن دولة شيوعية مثل البانيا أغلب سكانها من المسلمين ، لا تظهر في خريطة الهجرة إلى الحج ولم ترسل حاجاً واحداً في العام الماضي ، في الوقت الذي أرسلت فيه روسيا زعيمة العالم الشيوعي ٢٥ حاجاً من سكان دول اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية .

وخلاصة القول في هذا المجال إن الناظر إلى خريطة تيارات الهجرة إلى حج العام الماضي يلاحظ اتساع نطاق العالم الذي يرسل بمجاجه إلى بيت الله الحرام . ففي أقصى الشرق يجد اليابان وكوريا الجنوبية وهونغ كونغ ، وفي أقصى الغرب يجد الولايات المتحدة وكندا وكولومبيا وفنزويلا ، وفي أقصى الشمال يجد السويد وألمانيا والدانمرك ، وفي أقصى الجنوب يجد أستراليا ودول جنوب شرقي آسيا وجنوب



شكل رقم (٨)

توزيع الحجاج على الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية



●● الثانية : وهناك مجموعة من الدول الإسلامية التي تتميز بارتفاع عدد السكان المسلمين فيها بالقياس إلى إجمالي عدد السكان إلى جانب ارتفاع عدد سكانها بصفة عامة ، ومع ذلك فإن هذه المجموعة من الدول لم تشارك في تيار الهجرة إلى الحج في العام الماضي إلا بعدد ضئيل جداً لا يتفق إطلاقاً وارتفاع عدد المسلمين فيها . وتشمل هذه المجموعة ٢٩ دولة ، ومن أمثلتها مصر (٣٦ مليون مسلم) وقد وفد ١,٣ حاجاً من كل ألف مسلم بها ، ويأتي ترتيبها الثامن والعشرين بين الدول التي شاركت في حج العام الماضي ، باكستان (٥٩,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٠ حاجاً/الألف ، وترتيبها ٣٣) ، النيجر (٣,٤٠٠,٠٠٠ مسلم ، حاجاً واحداً/الألف ، وترتيبها ٣٢) ، تشاد (٢,٠٣٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٦ حاجاً/الألف ، والترتيب ٢١) ، بنجالاديش (٥٤,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٥ حاجاً/الألف ، والترتيب ٢٣) ، إيران (٣٠ مليون مسلم ، ١,٦ حاجاً/الألف ، والترتيب ٢٢) ، أندونيسيا (١١٢,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٧ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٩) ، أفغانستان (١٧,٨٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٥ حاجاً/الألف ، والترتيب ٤١) ، الجزائر (١٣,٠٥٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٢ حاج/الألف ، والترتيب ٤٤) ، تركيا (٣٥,٩٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٨ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٧) ، ماليزيا (٧,٦٠٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٩ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٤) ، غينيا (٢,٨٨٨,٠٠٠ مسلم ، ٠,٧ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٨) ، ومالي (٢,٩٦٨,٠٠٠ مسلم ، ٠,٩ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٦) .

ونفسر قلة مشاركة هذه الدول في تيار الحج في العام الماضي بمجموعة من الأسباب منها : انخفاض دخل الفرد ، وعدم قدرة الكثير من سكانها على تحمل نفقات الحج ومنها بعد المسافة نسبياً بينها وبين المشاعر المقدسة ، إلى جانب القيود التي تضعها بعض هذه الدول على سفر مسلميها للحج كتحديد العدد أو القرعة أو غيرها .

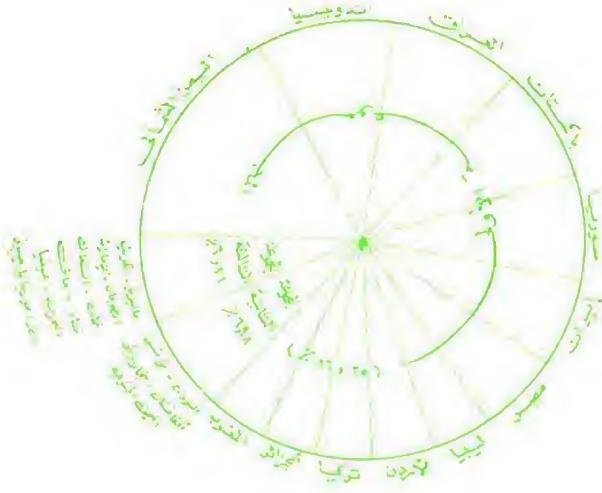
●● الثالثة : وهناك مجموعة ثالثة من الدول التي تتميز بقلة عدد المسلمين فيها بالقياس إلى إجمالي عدد سكانها ، ومع ذلك فقد شاركت في تيار الهجرة إلى الحج في العام الماضي بنسبة طيبة قد تجاوزت تلك النسبة التي شاركت بها بعض دول المجموعة الإسلامية السابقة . ومثال هذه الدول : اليونان (١٩٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٦ حاجاً/الألف ، والترتيب ٢٠) ، سنغافورة (٨٢٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٤ حاجاً/الألف ، والترتيب ٢٥) ، يوغوسلافيا (٢,٦٤٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٤ حاجاً/الألف ، والترتيب ٤٢) ، نيجيريا (٣٨,٧٤٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٢ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٦) ، فولتا العليا (١,٥٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,٠ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٠) ، غانا (١,١٠٠,٠٠٠ مسلم ، ١,١ حاجاً/الألف ، والترتيب ٢٩) ، ساحل العاج (١,٤٤٠,٠٠٠ مسلم ، ٠,٩ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣٥) ، سيريلانكا (٩٢٧,٤٣٠ مسلم ، ١,٠ حاجاً/الألف ، والترتيب ٣١) .

ويفسر ارتفاع نسبة مشاركة هذه الدول في تيار الهجرة إلى الحج في العام الماضي بمجموعة من الأسباب منها : غزو الإسلام لقلاع الجاهلية والإلحاد في هذه الدول وقوة المد الإسلامي فيها ، والملاحظ أن بعض هذه الدول توجد في أوروبا الجنوبية وبعضها يوجد في إفريقيا الغربية على وجه الخصوص .

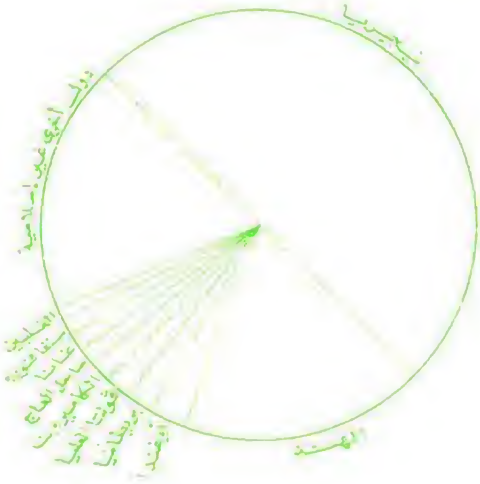
★ ★ ★

### تطور الهجرة إلى الحج في الخمسين عاماً الماضية

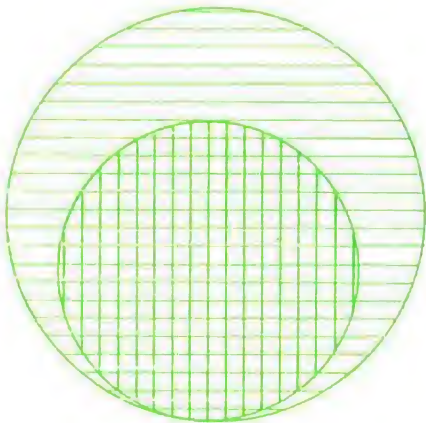
بلغ عدد الحجاج الذين أرسلتهم دول العالم المختلفة لأداء فريضة الحج في العام



شكل رقم (٥)  
نسب الحجاج القادمين من الدول الإسلامية



شكل رقم (٦)  
نسب الحجاج القادمين من الدول غير الإسلامية



شكل رقم (٧)

نسب حجاج الدول العربية والدول غير العربية (موسم ١٣٩٤ هـ)

حجاج الدول العربية	حجاج الدول غير العربية
٤٤١٣٢١	٤٤١٣٢١



الماضي رقماً يقارب المليون حاج . وهنا يثور السؤال : هل يتزايد تيار الهجرة إلى الحج بصورة مضطردة متوالية ، أم أنه يتزايد حيناً وينقص حيناً آخر . وإذا كان الاتجاه العام هو اطراد التزايد فلماذا متى يستمر هذا التزايد وإلى أي حد .

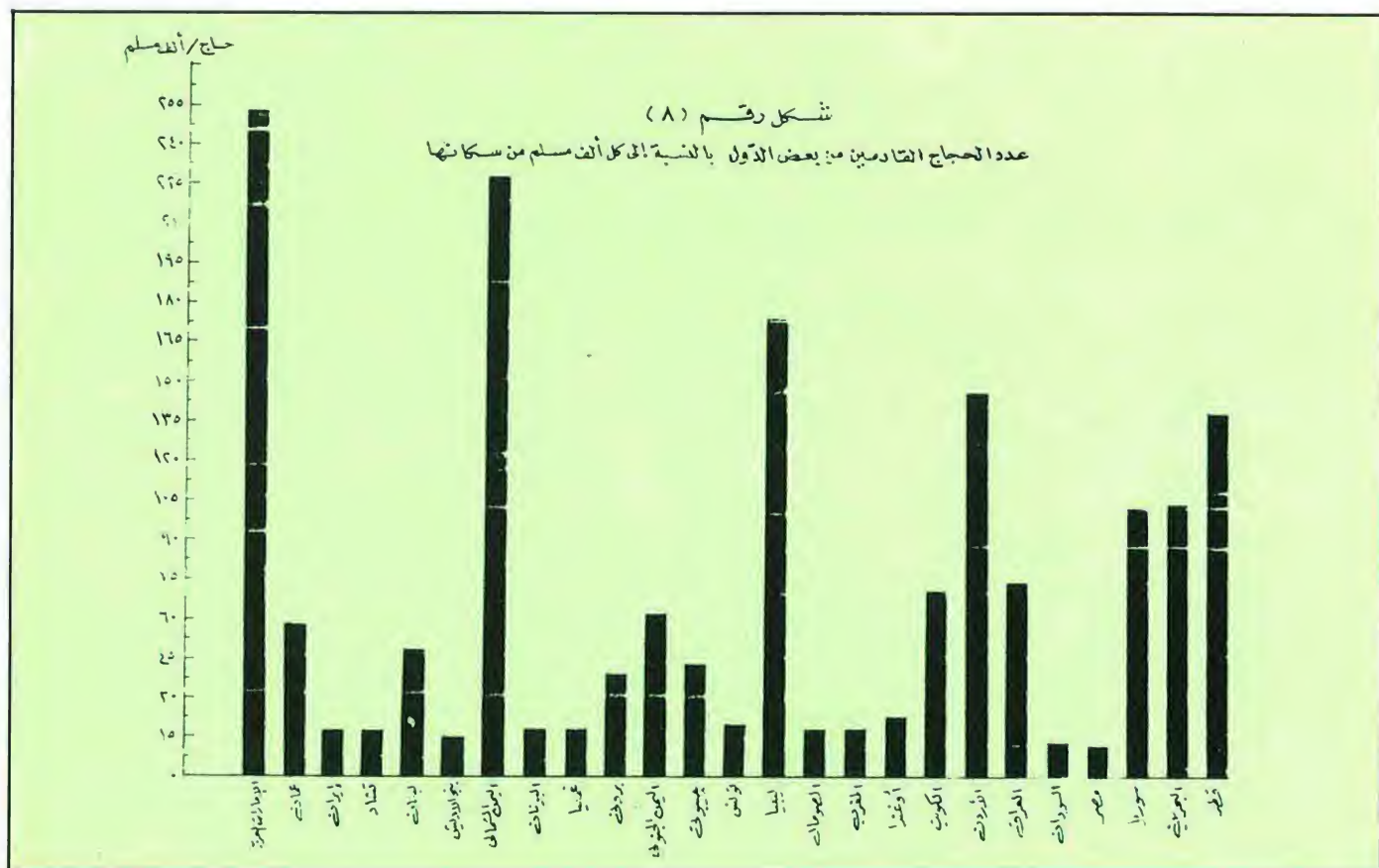
إن مراجعة أرقام الحجاج طوال الخمسين عاماً الماضية ( ١٣٤٩ - ١٣٩٨ هـ ) توضح مجموعة من الحقائق يمكن استخلاصها من الشكل رقم (٩) على النحو التالي :

١ - تتميز هجرة الحجيج بالتذبذب الواضح من سنة إلى أخرى ، فقد ظلت أرقام الحجاج غير مستقرة طوال ١٥ سنة من ١٣٤٩ إلى ١٣٦٤ هـ تتأرجح بين الزيادة تارة والنقص تارة أخرى . ولم تظهر هذه الأرقام ارتفاعاً عاماً عن سنة الأساس<sup>(٢)</sup> ١٣٤٩ هـ إلا ابتداء من عام ١٣٦٥ هـ حيث واصلت أعداد الحجاج الارتفاع المستمر دون نقصان بعدها .

ولا شك أن وقوع بيت الله الحرام وأماكن المشاعر بين المدرسين في المنطقة الحارة من العالم وانتشار الأراضي الصحراوية الحارة وقلة الأمطار ، وهبوب رياح السموم الجافة الحارة مع قلة الرطوبة ، يؤدي إلى التأثير في قدرة الحجاج على بذل المجهود ، ولذا تتكاثر أعدادهم في مواسم الشتاء حيث تنخفض درجة الحرارة وتعتدل نسبة الرطوبة وتزداد المقدرة على بذل المزيد من الجهد في الانتقال بين المشاعر المقدسة .

٣ - حدثت أقل تيارات الهجرة إلى الحج بعد عشر سنوات من سنة الأساس في عام ١٣٥٩هـ حيث وصل عدد الحجاج في ذلك الموسم إلى ٩٠٢٤ حاجاً فقط بنقص قدره ٧٦,٩٪ عن سنة ١٣٤٩هـ. بينما حدثت أعلى تيارات الهجرة إلى الحج في عام ١٣٩٤هـ حيث بلغ عدد الحجاج ٩١٨,٧٧٧ حاجاً من خارج المملكة، أي أكثر من ٢٢,٥٣ ضعفاً عن عددهم في عام ١٣٤٩هـ.

٤ - يمكن القول بوجود فترات دورية من النقص في أعداد الحجاج تتراوح من ٣ إلى ٥ سنوات تعقبها فترات زيادة في أعدادهم، مما يشير إلى وجود دورية في ظاهرة الهجرة إلى الحج. ومن أمثلة ذلك فترة التناقص (٥ سنوات) من سنة ١٣٥٠ - ١٣٥٤ هـ، والتي أعقبتها فترة زيادة (٣ سنوات) من ١٣٥٥ إلى





٦ - يبلغ متوسط معدل الزيادة السنوية في أعداد الحجاج خلال فترة الخمسين سنة السابقة (١٣٤٩ - ١٣٩٨ هـ) حوالي ٤٠,٥ ٪، وهي نسبة مرتفعة جداً تتسبب في تضاعف عدد الحجاج بمعدلات سريعة جداً.

فإذا كان الأمر كذلك، فما هي العوامل التي أدت إلى هذا التطور الهائل في أعداد الحجاج؟

لا شك أن العوامل الرئيسية في هذه الزيادة السريعة والهائلة - إلى جانب انتشار الإسلام بين أعداد جديدة كل عام - ترجع إلى تلك التحسينات العديدة والمتنوعة التي أدخلتها حكومة المملكة العربية السعودية وتدخلها كل عام باستمرار بقصد تسهيل انتقال وإقامة الحجاج في المشاعر المقدسة، وتوفير كافة الخدمات الضرورية لجعل الرحلة إلى الحج أكثر سهولة وسراً. ويشمل ذلك التحسينات في طرق المواصلات وإنشاء شبكة هائلة من الطرق والجسور والأنفاق تربط المشاعر المقدسة بعضها ببعض الآخر، مع توفير مياه الشرب والمساكن وتنظيم حركة المرور، وتوفير المواد الغذائية للحجاج. وبصفة عامة تجنيد كافة أجهزة الدولة بمستوياتها المختلفة للمشاركة في رعاية الحجيج وخدمتهم.

كما ترجع هذه العوامل إلى التطورات في السرعة التي أدخلت في السنوات الأخيرة على وسائل الانتقال المختلفة الجوية والبحرية والبرية، الأمر الذي ساعد على انتقال أعداد كبيرة من الحجاج - دون مشقة وفي فترة زمنية قياسية - من بلادهم التي كانت تعد - في فترة ما - نائية بعيدة عن الأراضي المقدسة. فقد أدت التطورات الكبيرة التي شهدتها النقل الجوي بالطائرات في السنوات الأخيرة إلى تقدم وسائل النقل الأخرى، إذ بلغ عدد من نقلوا جواً إلى المملكة (٥٠٥,٨٠٨) (٣) حجاج في عام ١٣٩٨ هـ، بنسبة ٦٠,٩ ٪ من جملة الحجاج. كما أدت التحسينات في الطرق البرية والسيارات إلى تقدم النقل البري للنقل البحري، فقد بلغ عدد من

قدموا براً إلى المملكة في الموسم الماضي (٢٥٥,٦٣٧) حاجاً بنسبة ٣٠,٨ ٪ من جملة القادمين معظمهم من الدول المتاخمة للمملكة العربية السعودية، في حين احتل النقل البحري المركز الأخير بعدد (٦٨,٧٩١) حاجاً بنسبة ٨,٣ ٪ فقط. هذا في حين بلغت نسبة من نقلتهم هذه الوسائل الثلاث في موسم حج ١٣٨٥ هـ: ٣٠ ٪ - ٣٤,٩٠ ٪ - ٣٥,١٠ ٪ (٤) على التوالي. وهنا يمكن ملاحظة تأثير عاملي الزمن والمسافة في ازدياد أعداد تيارات الهجرة إلى الحج.

ويضاف إلى هذه العوامل عدم وضع قيود معينة (مالية - إدارية أو غيرها) على دخول حجاج دول معينة (كالبنين الشباليين) إلى المملكة لأداء فريضة الحج (٥). وقد انعكس هذا في ازدياد حجاج اليمن الشمالية في العام الماضي بصورة بارزة.

### مستقبل الهجرة إلى الحج

والآن، وبعد هذا التحليل لموسم حج العام الماضي والأعوام السابقة، ما هو مستقبل الحج في الأعوام المقبلة؟  
من واقع العرض السابق يمكن التركيز على النقط التالية:

● أولاً: انخفاض نسبة الحجاج القادمين من الدول الإسلامية الكبرى (كتركيا وباكستان وأندونيسيا ومصر وبنجلاديش وغيرها) بالقياس إلى عدد سكانها المسلمين وإلى من ترسلهم الدول الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية. فقد اتضح أن هذه الدول لا ترسل إلا أقل من حاج واحد من بين كل ألف مسلم بها بسبب القيود والعقبات المختلفة السابق الإشارة إليها والتي تحول بين مسلمي هذه الدول وبين المشاركة بنسب عالية في تيار الهجرة إلى الحج. فإذا تذكرنا ما سبق أن أوضحناه من أن ضخامة تيار الهجرة إلى الحج يتوقف على عدد القادمين من مجموعة محدودة من الدول الإسلامية لأمكننا القول - بدون أدنى شك - إن إزالة مثل هذه القيود

شكل رقم (٩)  
تطور عدد الحجاج في الخمسين عاماً الماضية  
(١٣٤٩ - ١٣٩٨ هـ)





## الهوامش

- ١ - محمد صبحي عبد الحكيم ومحمد السيد غلاب ؛ السكان - ديموجرافيا وجغرافيا ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١١٧ .
- ٢ - اتخذت سنة ١٣٤٩ هـ سنة للأساس لسبيين : الأول أنها تمثل رقماً متوسطاً تقريباً بالنسبة للسنوات السابقة واللاحقة لها ، والثاني أنها بداية الخمسين سنة التي حسبت في الجدول .
- ٣ - جريدة الجزيرة ، السعودية ، الثلاثاء ١٤/١٢/١٣٩٨ هـ ، ص ٥ .
- ٤ - مجلة الفيصل ، العدد ١٨ ، ذي الحجة ١٣٩٨ هـ ، ص ٢٩ .
- ٥ - حديث خاص أجراه الباحث أثناء موسم حج ١٣٩٨ هـ ، مع بعض الحجاج اليمنيين في منى يوم السبت ١١/١٢/١٣٩٨ هـ .

## المراجع

- ١ - دولت صادق ومحمد عبد الرحمن الشرسوبي ؛ الأسس الديموجرافية لجغرافية السكان ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .
- ٢ - صلاح الدين الشامي وزين عبد المقصود ؛ «جغرافية العالم الإسلامي» ، الإسكندرية ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٢٥ - ٣٣٦ .
- ٣ - محمد صبحي عبد الحكيم ومحمد السيد غلاب ؛ السكان - ديموجرافيا وجغرافيا ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١١٧ .
- ٤ - محمد عبد الغني سعودي ؛ إفريقيا ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٨١ .
- ٥ - وكالة وزارة الداخلية السعودية للجوازات والأحوال المدنية ؛ إحصائية الحجاج القادمين من خارج المملكة لعام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م مكة المكرمة ١٣٩٨ هـ .
- ٦ - Encyclopedia Americana, New York, 1976, different Volumes.
- ٧ - United Nations, Demographic Year Book.

والعقبات مستقبلاً يؤدي إلى ارتفاع نسبة مشاركة هذه الدول في الهجرة إلى الحج ، وبالتالي زيادة أعداد الحجيج بصورة هائلة ، خاصة وأن هذه الدول تضم نحو ٣٨٠ مليون مسلم (أو حوالي ٦٥٪) من إجمالي عدد المسلمين في العالم كله .

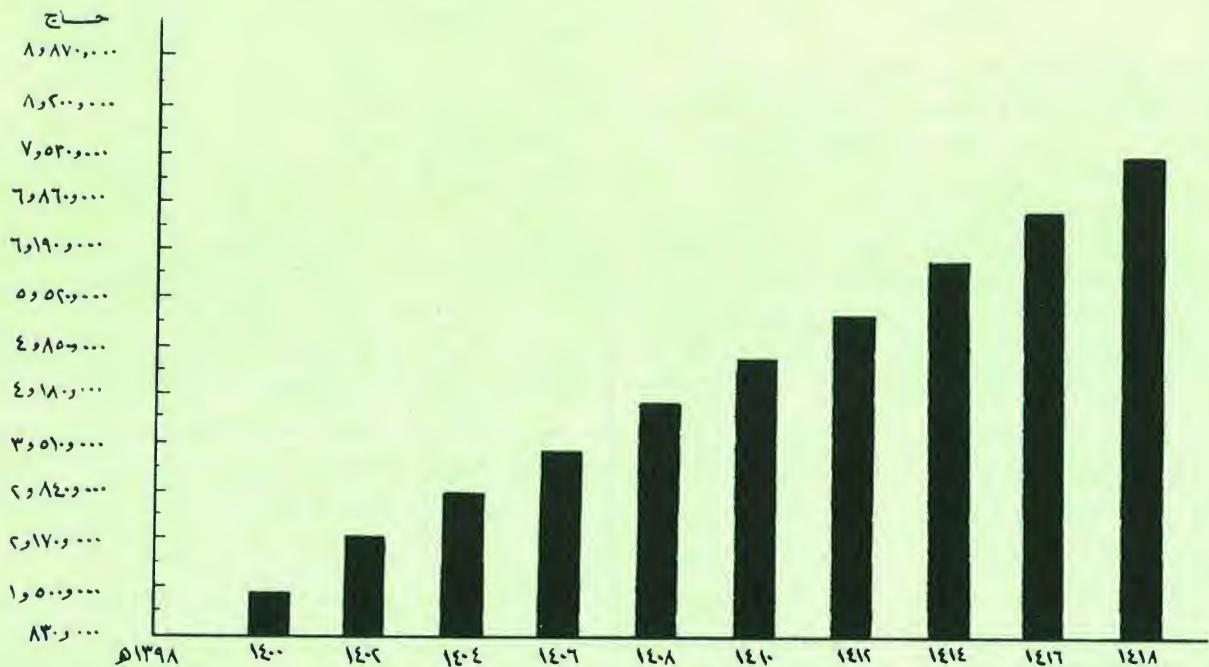
فإذا افترضنا رقماً متوسطاً لإرسال الحججاج من هذه الدول ، وهو (١٠) حججاج من بين كل ألف مسلم بها ، لأمكن القول بأن عدد الحججاج القادمين من هذه الدول سيزيد على ٣,٨٠٠,٠٠٠ حاج بعد عشرين سنة ، يضاف إليهم الحججاج القادمين من الدول الإسلامية الأخرى وغير الإسلامية ، ليصل العدد إلى نحو ٤,٥ ملايين حاج أو نحو ستة أضعاف عدد الحججاج في هذا الموسم .

●● ثانياً : ارتفاع متوسط الزيادة السنوية للحججاج في الخمسين عاماً الماضية ، حيث تبلغ ٤٠,٥٪ تقريباً . فإذا افترضنا استمرار هذا المعدل خلال السنوات العشرين المقبلة - رغم الدلائل التي تشير إلى زيادة المعدل عن هذا الحد كثيراً في السنوات العشر الأخيرة - لأمكننا القول بأن عدد الحججاج بعد عشرين سنة سيصل إلى نحو تسعة أضعاف عدد حججاج العام الماضي ، أي حوالي ٧,٥ ملايين حاج ، كما يبين ذلك الشكل رقم (١٠) .

فإذا أخذنا بمتوسط الافتراض السابق ، أمكننا القول بأن عدد الحججاج سيصل إلى نحو ٦ ملايين حاج من خارج المملكة في العشرين عاماً القادمة ، يضاف إليهم أعداد الحججاج من داخل المملكة .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن ظاهرة الهجرة إلى الحج ستشهد خلال الأعوام العشرين القادمة تزايداً هائلاً في أعداد الحججاج تفوق بكثير ما حدث في الأعوام الخمسين الماضية ، الأمر الذي يتطلب من السلطات المشرفة على الحج أن تضع - من الآن - الاستعدادات اللازمة لمواجهة هذه الأعداد الضخمة من الحججاج ، مع تمنياتنا لها بالتوفيق .

★ ★ ★



شكل رقم (١٠)

تطور عدد الحججاج في العشرين عاماً الماضية (١٣٩٨ - ١٤١٨ هـ)



# تجديد..

## في المسلمين

الجيد من كل شيء هو القديم الذي يظل على الدهر جديداً .  
أما التغيير فإنه يتناول فروع الأحكام ولا يتناول أصولها . حينما يؤلف أحد الأساتذة كتاباً جديداً في الهندسة المستوية ، فإنه يخط لكتابه خطة جديدة لتقريب قضايا الهندسة المستوية من أذهان التلاميذ ، ولكنه لا يغير الأشكال الهندسية ولا يبدل قواعد الهندسة .  
ومع أن العلوم الاجتماعية أو العلوم النقلية - بتعبير ابن خلدون - كالدين واللغة والتاريخ ليست بالعلوم الاجتماعية أو العلوم الطبيعية من حيث المنهج المخطوط .  
وفي الدين خاصة ينظر المصلح مرة إلى الدين نفسه ، ومرة إلى الناس الذين يؤدون فروض هذا الدين . وعمل المصلح الاجتماعي في الدين أن يقرب تعاليم الدين من أذهان الناس ، على طبقاتهم ، لا أن يجعل من الدين نفسه حقل اختبار فكانه ينشر على الناس في كل يوم ديناً جديداً .  
ثم إن التجديد الذي يحاوله المصلح في بيئته الاجتماعية إنما يتناول جانب المعاملات ، تلك المعاملات أو الصلات الاجتماعية بين البشر والتي تتغير بتغير الأزمان . وأما العبادات فإن الدين نفسه قد جعل لها نطاقاً من الرخص (بضم ففتح) يلجأ إليها المؤمن بحسب الأحوال التي نص عليها الدين نفسه . وأما العقائد فإنها الأسس التي تجعل كل دين مختلفاً من كل دين آخر من حيث أصوله ومن حيث انطباقه على الحياة . والإسلام في هذا أسر الأديان وأقربها إلى العقول وإلى الحياة .



### الإسلام .. وحركات التجديد

بعد هذه المقدمة الوجيزة التي تضع لموضوع هذا المقال إطاراً أحب أن آتي إلى عدد من الموازنات وإلى عدد من الآراء التي أخذت نكثراً في أيامنا كثرة خرجت عن الفائدة منها . إن الخطأ الذي يرتكبه الكاتبون في التجدد في الإسلام راجع إلى أن هؤلاء الكاتبين قد وقعوا تحت تأثير الحركة الدينية والإصلاح البروتستانتية في مطلع العصور الحديثة ، فأرادوا أن يبرزوا تطبيق تلك الحركة على الإسلام . والموضوعان مختلفان جداً من ناحيتين :

● أولى ناحيتين أن القرآن الكريم كتاب منزل وصل إلينا كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نقرأه اليوم كما كان رسول الله يقرأه على المسلمين الأولين . أما التوراة والأنجيل الموجودة بأيدي الناس ، فهي من عمل الناس . فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام مرفوعة أو منسية ، وأما التوراة الموجودة اليوم بأيدي الناس فقد كتبت في زمن متأخر جداً عن أيام موسى . وكذلك الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام مرفوع . وأما الأنجيل

الأربعة الموجودة اليوم بأيدي الناس فقد اختارها رجال الكنيسة من بين أربعين إنجيل كتبها الناس في عهود مختلفة . هذه الأنجيل الأربعة تسميها الكنيسة «الأنجيل القانونية» ، وكان أصحابها قد كتبوها بين عامي ٦٠ و ١١٠ للميلاد ، أي بعد أن رفع الله عيسى بمدة تتراوح بين ثلاثين سنة وثمانين سنة (راجع مثلاً «لا روس ٣» ، الجزء الثاني ، الصفحة ١١٠) .

ثم إن هذه الأنجيل الكنسية الأربعة تتضمن سيرة عيسى بحسب ما فهم كاتبوها تلك السيرة ، وليس فيها شيء من العقائد الموحدة (بالباء لاسم المفعول) ولا من الأحكام المثبتة . أما العقائد والأحكام في النصرانية فقد وضعها رجال الكنيسة في أزمنة متأخرة . من أجل ذلك لما جاء مارتن لوتثر الألماني مثلاً ، في عام ١٥٢٠ للميلاد (٩٢٧ للهجرة) ، بعد ابن تيمية بمائتي سنة وبعد أحمد بن حنبل بسبعين سنة ، لم يجد بداً من أن يعرض للأصول النصرانية التي كانت الكنيسة الكاثوليكية قد وضعها للناس مغالفة للعقل وللحياة ، ولكن ضامنة لمغائير الكنيسة ورجالها كييع الغفرانات مثلاً (إعفاء من الذنوب وتطويب بقاع في الجنة في مقابل مبالغ يدفعها الذين يريدون النجاة من الجحيم ودخول السماء) . وكنت أتفاوض مع أستاذي يوسف هل (١٨٧٥ - ١٩٥٠ م) - أيام



# لا تجد يد في الإسلام

بقلم د. عمرو فـدروخ

الإسلام .

إن اختلاف الفقهاء في المذاهب التي وضعوها (من المذاهب الحنيفة والمذاهب البائدة) كانت أبواب اجتهد لا يوجب العمل بها تحريم حلال أو إحلال حرام ولا يوجب إيماناً خاصاً أو كفراً . إن القول بالاشهاد على عقد الزواج في المذاهب السنية والقول بالاشهاد على الطلاق في المذهب الجعفري رأيان يمكن قبولهما لأن الغاية منها « حفظ حقوق الذرية إذا وقع اختلاف بين الزوجين » . ولا يكون المسلم مذنباً إذا انتقل من أحد هذين إلى الثاني منها . ولكن يخشى إذا فعل ذلك أن يضيع حقاً يجب (عند الاختلاف بين الزوجين) لأحد الزوجين أو لاولاد (وفي قانون الأحوال الشخصية للدروز في لبنان نص على أن الاشهاد يكون على عقد الزواج وعلى إيقاع الطلاق) .

وجميع الخلافات في المذاهب الإسلامية هي في المعاملات وفي تفسير أوجه العبادة . وليس فيها شيء يتعلق بالله تعالى ولا برسول الله . أما في النصرانية فالخلاف يتعلق بالله مباشرة كقول الكاثوليك مثلاً (تعالى الله عن قولهم) : إن المسيح هو الله بالذات . أما غيرهم (مثل الأرثوذكس والبروتستانت ، فيما أظن) فيقولون إن المسيح ابن الله . وهذا خلاف قديم في النصرانية ذكره الله تعالى في القرآن الكريم :

● ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (١٧:٥٠ ، المائدة راجع ٧٢) .

● ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (٣٠:٩ ، التوبة) .

من أجل ذلك كله أصبح بإمكاننا اليوم أن نقول إن الإسلام نفسه ليس بحاجة إلى تجديد ، ولكن احتاج إلى التجدد وإلى التجديد هم جانب من المسلمين ، وجانب كبير من فقهاء المسلمين .

## أسباب عجز المسلمين اليوم

إن العجز الذي ينوء به المسلمون اليوم في وجه خصومهم آت من ثلاثة جوانب هي من حيث مكانتها في أسباب هذا العجز :

- الجهل (وفيه خمسة أوجه) .
- الضعف السياسي (وفيه أربعة أوجه) .
- الأحزاب (وفيه ثلاثة أوجه) .

دراسي في المائنة (١٩٣٥ - ١٩٣٧ م) - هذا الأمر ، فقال لي : لا شك في أن لوثر كان ، وهو يضع مذهبه البروتستانتي ، يطالع مصحفاً بين يديه .

ولقد كان القرآن الكريم قد نقل إلى اللغة اللاتينية منذ القرن الثاني عشر قبل لوثر بنحو أربعة قرون . والدلائل على ذلك كثيرة في تبديل عدد من الآراء الكنسية المبثوثة في النصرانية معروفة في أماسكتها . ولا أرى أن أذكر منها هنا شيئاً كيلا تطول هذه المقدمة فوق ما قدرتها . ومع ذلك فمن الخير أن أورد هنا عدداً من رؤوس الموضوعات التي اعترض بها لوثر على الكنيسة الكاثوليكية : الإنسان ينجو في الآخرة بعمله الصالح لا بحل الأسقف له من ذنوبه - لا مكان للصوم في الكنيسة والعبادة - ليس للبابا عصمة في نفسه ولا له سلطة على النصارى ولا قدرة على غفران الذنوب - لا إكليركية (طبقات لرجال الدين) - لا رهبان ، ورجال الدين كلهم يستطيعون أن يتزوجوا - أنكر القربان (قول الكنيسة الكاثوليكية بأن الخمر تنقلب بصلابة من الكاهن فتصبح دم المسيح وينقلب الخبز فيصبح لحم المسيح) - لا يكون للكاهن ثوب خاص ولا مكان خاص لإقامة القداس (الصلاة) ، فكل إنسان يستطيع أن يقيم الصلاة ويقودها (يؤم الناس فيها) .

وفي الإسلام مذاهب : المذهب المالكي والمذهب الحنفي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الجعفري ثم كان هنالك مذاهب بادت (أي بطل العمل بها كمذهب الأوزاعي والمذهب الظاهري) . وجميع هذه المذاهب في الإسلام أبواب اجتهد وليست فرقاً تحمل من الدين الواحد أدياناً كثيرة . إن الكاثوليك في النصرانية لا يقبلون أن يقال « المذهب الكاثوليكي » في مقابل المذهب الأرثوذكسي والمذهب البروتستانتي ، ولكنهم يقولون : « الدين الكاثوليكي » .

## الخلاف بين الإسلام والنصرانية

من كل ما تقدم نرى أن الخلاف بين الإسلام والنصرانية واسع جداً . وإذا كان القول بالتجديد في النصرانية ممكناً ، فإن هذا القول غير جائز في الإسلام . إن المصلحين (أو المجددين النصارى) - وكانوا كثاراً منذ مطلع النصرانية - كانوا يجددون في الدين النصراني نفسه . أما في الإسلام فكان الإصلاح أو التجديد ، يتناول رد المسلمين إلى حقيقة الإسلام . كان المصلحون النصارى يريدون انقاذ الناس من قبضة الكنيسة ورجالها ، أما المصلحون في الإسلام فكانوا يريدون أن يفهموا الناس حقيقة



# تجديد في المسلمين لا تجديد في الإسلام

...ولمأساة ملوف، ياله إنبيرو الاموات، وجهولهم كشمس آراء، فليس معهم درامثلة على  
عدد من أوجه هذين الجانبين .

أما فيما يتعلق بالجهل فإنني أريد الاستغناء عن هذه الكلمة لأنها نسيء إلى نفر  
كثيرين من الناس وسأجعل مكانها كلمة « العلم » ، فلعل الكره ، عند بعض  
الناس ، « لقلة العلم » أقل من كرههم « للجهل » .

## (١) العلم المفقود

إذا نحن استعرضنا حال العالم الإسلامي اليوم وجدنا أول أسباب تخلفه  
« الأمية » أو جهل القراءة والكتابة . وكبلا تكون المقارنة ضيقة نثر انتقاداً ربما كان  
صحيحاً من بعض وجوه أسرع إلى القول بأن الأمية بين المسلمين أكثر  
انتشاراً منها بين أهل أسوج ونروج وسويسرا ( إذا كان في هذه البلاد الثلاثة  
أمية منتشرة ) .

وسيرد عليّ هنا نفر من المسلمين رداً أعرفه . سيقول هؤلاء إن في المسلمين  
اليوم أعلاماً من العارفين في الرياضيات والطبيعات والتاريخ والاقتصاد أو من  
البارعين في الطب والهندسة والفلك .

هذا صحيح ولكن الأمم لا تعد عائلة بنفر قليلين أو كثيرين من العلماء من  
أفرادها . ولكن الأمم تعد عائلة إذا كان العلم يمتد شائعة في مجموعها . ليس  
الدليل على العلم والرقى أن يكون للأمة طائرات تحمل أسماءها  
أو لامرأاسها أو سمهم إلى انسلترنا، لذا إذا لم نلحظ طسعا على ضلح انبها

أن يكون في الأمة من يستطيع أن يصلح ذلك العطب بنفسه وبأداة  
صنعها بنفسه . من أجل ذلك ليس في المسلمين اليوم حضارة طائرات (مقدرة  
على صنعها) بل مدنية طائرات (إمكان لاستخدامها) .

## (٢) العلم الناقص

أشد ما في الجهل من الأذى اعتقاد الإنسان أن العلم يتجزأ . يجب على أبناء  
كل أمة أن يعرفوا فضائل حضارة أمهم ووجوه حياتها . ولكن هذا الواجب لا  
يكون تاماً إلا إذا عرف أبناء تلك الأمة ما عند غير أمهم من العلوم . إن  
المسلمين الأولين لما خرجوا بالفتح وبالنور إلى العالم المعروف كله  
يومذاك (آسية وإفريقية وأوروبية) كانت لهم علومهم في اللغة والفقه  
والتاريخ والأدب ثراً ونظماً وحكمة . غير أنهم لما احتكوا بغيرهم من الأمم ،

أخذوا منها الرياضيات والفلك والهندسة والطبيعات والطب المزاجي (العلمي)  
والموسيقى أيضاً . ثم إن المسلمين قد طوروا هذه العلوم وزادوا فيها زيادات جعلت  
عدداً من تلك العلوم علوماً عربية خالصة أو كخالصة ، كما اتفق في الجبر والكيمياء  
والفلك ثم في الطب . ولم يعتقد المسلمون يومذاك أن أخذ العلوم  
الصحيحة عن النصارى والمجوس وعن اليهود والصابئة مما يضر  
بالإسلام أو بالمسلمين .

والتخلف الكبير في المسلمين اليوم أنهم يأخذون عن الغرب ما  
يضر ويتركون من علوم الغرب (بالغين المعجمة) ما ينفع . يأخذ  
كثيرون منا البحوث الجنسية والخرافية والمجدلية (الايديولوجية) .

## (٣) العلم المنحرف

وفي العلم اتجاهان : الاتجاه المادي أو الفن العلمي أو العلم الفني (ما يسمى  
بالتعبير القرنيحي : تكنولوجيا) . ومن واجب كل أمة أن تأخذ من هذا آخر ما  
توصل إليه علماء جميع الأمم . وأما الاتجاه الثاني فهو التراث الروحي الذي يجب  
أن يبقى نقياً صافياً لأن الأمم تبقى ما دام تراثها هذا باقياً . وأعظم الأدلة على  
العلم المنحرف وأوجزها جهل المسلمين باستخراج البترول من أرضهم  
وجهل تصنيعه وبيع الطن المتري منه بأربعة عشر دولاراً و بستة عشر  
دولاراً . بينما كل حفنة منه تساوي ألف دولار (إذا صنع منها لعب  
للأطفال) أو مليون دولار (إذا صنع من بعضها صمامات للقلوب  
المرضى) ولكن كثيرين من هؤلاء المسلمين يعرفون الانغماس في  
المعاصي الأوروبية بدقائقها ويعرفون الأفلام الخاصة .

## (٤) العلم القاصر

هذا أعظم ما في المسلمين اليوم من البلاء . إنه العلم القاصر في الفقهاء الذين  
هم قادة الأمة ومعلمو دينها وحافظو شريعته وراعوا نهضتها .

إن الفقهاء المسلمين اليوم مقتصرين في العلم على جانب  
واحد . على الفقه يديرون كلامهم فيه على الألفاظ وعلى التخرير  
الشخصي (لا أقصد في كتبهم بل في معاملتهم مع الناس) . وسنجد في هذا المقال  
(وإن طال الكلام) أمثلة مؤلمة من ذلك . سنجد أن أعظم الناس حاجة إلى  
التجديد (أو إلى التعنيق الصحيح) جماعة الفقهاء الذين يتوكلون شرح السدين



للناس ، وذلك إذا قسنا معظم الفقهاء اليوم (من الناحية العملية لا من النواحي النظرية) بالفقهاء بالأمس من أمثال الأوزاعي ومالك وجعفر وأبي حنيفة وإششاشعي وأحمد بن حنبل وابن القيم (إبراهيم بن أبي حنبل) وأبي حنيفة والمثالث من أمثال هؤلاء العظماء . لم يكن هؤلاء بارعين في الفقه فقط . ولكننا إذا درسنا المذاهب التي وضعوها (والمذاهب في الإسلام أبواب اجتهد) أدركنا وشيكاً أن هؤلاء الفقهاء كانوا يصدرون في فقههم عن علم بالتاريخ والاجتماع والاقتصاد والرياضيات والفلك أيضاً . أما إذا نحن أتينا إلى الإمام الغزالي وإلى ابن حزم قبله وإلى ابن رشد بعده ، فإننا نرى أن آلتهم من الفلسفة ومن العلوم الرياضية والطبيعية والعلوم الاجتماعية كانت تامة أو شبه تامة .

لنأخذ عدداً من الأمثلة من الأئمة الأولين . وسأجعل هذه الأمثلة من الجوانب المشهورة في الفقه والحياة .

— لما جعل الشافعي البلوغ (في الصبيان والبنات) في سن يسيرة (في التاسعة) كان يصدر عن علم بطبائع البلاد وباختلاف أحوال المناخ . ولا شك في أنه كان يعرف أن الفتاة في جنوب مصر وفي جنوب الحجاز تدرك مدرك النساء قبل الفتاة في شمالي الشام وشمالي التركستان . وكذلك لما مد الإمام أحمد بن حنبل «البلوغ» (بلوغ الرشد) في الصبيان إلى أن يتموا علمهم ، وفي البنات إلى أن يتزوجن ، كان يصدر عن معرفة بأحوال الاجتماع الإنساني وبالمسلك العملي في الحياة . فما قيمة الحكم الشرعي ببلوغ الرشد في فتى في الخامسة عشرة من عمره الجدي وعمره العقلي أو عمره التعليمي خمس سنوات ؟ أو أي الطفلين أحق أن يكون راشداً : أطفل ذكي متعلم في الحادية عشرة أم طفل متخلف أمي في الثامنة عشرة ؟

لم يكن هنا بين الشافعي وأحمد تناقض ولا خلاف . ولكن كل واحد منهما قد تناول موضوع «الرشد» من جانب (في مكان واحد من مذهبه) ولعله مس سائر الجوانب من ذلك (في أماكن أخرى) .

قلت إن المذاهب أبواب اجتهد . فإذا كنت قاضياً ثم تقدم أناس إليّ بدعوى «في بلوغ الرشد» لم أتقيد بلفظ الشافعي أو بلفظ أحمد ، بل عمدت إلى تطبيق أحد قوليهما أو جمعت بين قوليهما فيما يتعلق بالقضية المعروضة عليّ . إن فقهاءنا الكبار قد وضعوا قواعدهم على مبادئ عقلية . لا على أسس تقليدية .

وكذلك لما وضع الفقهاء قواعد التوريث (تقسيم الإرث) ثم تكلموا على الغول (بفتح العين : زيادة أنصبة الوارثين على مقدار التركة<sup>(١)</sup>) وعلى السرد

(وهو ضد العول ، وذلك أن تنقص الأنصبة عن المفروض للوارثين<sup>(٢)</sup>) ، مما يدل على شيء من المعرفة بالحساب . أما إذا نحن جئنا إلى مالك بن أنس وإلى «اعتباره» عمل أهل المدينة في «الأدلة الشرعية» التي تستمد منها الأحكام ، أدركنا أنه كان ذا بصر نافذ في علم الاجتماع . ثم لا ريب في أن الإمام أبا حنيفة ، لما تكلم على بيع السلم<sup>(٣)</sup> وعلى عادات أهل البلاد<sup>(٤)</sup> ، وكان عارفاً بقواعد العمران وقواعد الاقتصاد أيضاً . إن الفقه جانب من جوانب التشريع هو أهم الجوانب فيه بلا شك . ولكن علم الاجتماع وعلم الاقتصاد والتاريخ والجغرافية (كما سئرى) والسياسة (أقصد علم السياسة) والرياضيات والطبيعات وغيرها «أدوات مساعدة» في التشريع وفي غير التشريع أيضاً . إن الفقيه المسلم اليوم بحاجة إلى فنون كثيرة من فنون المعرفة حتى يكون فقيهاً نافعاً .

ولا أريد أن أنكل على فقه الغزالي وابن حزم وابن رشد وعلى صلة فقههم بالعلم (أي بالعلم الرياضي والطبيعي) لأن ذلك يدعو إلى استطراد (تسعب في الموضوع) لا تدعو الحاجة إليه هنا .

#### — من المشاكل المؤلمة اثبات هلال رمضان .

في كل عام تحدث مفاجئات في اثبات هلال رمضان :

- \* إعلان رؤية الهلال قبل أن يرى في قطر ما من أقطار البلاد الإسلامية .
- \* تأخير إعلان ذلك .

- \* الاختلاف في بدء الصوم في بلد إسلامي دون بلد إسلامي وفي البلد المسلم الواحد .

كل ذلك يرجع إلى خطأ في فهم الشرع ثم إلى المنافسة في النفوذ السياسي . تنتظر الإذاعات في ذلك فتتأخر (أحياناً إلى ما بعد منتصف الليل) ونهض في الصباح فإذا أهل بيت صائمون وجيرانهم إلى جنبهم غير صائمين ، لأنه اتفق أن الأولين سهرت فسمعوا الإذاعة عن بدء شهر الصوم ، بينما أوى الآخرون إلى فراشهم باكراً فلم يسمعوا الخبر .

أولاً : لماذا يتأخر إعلان ولادة الهلال ؟ إذا ولد الهلال بعد غيباب الشمس فإن رؤيته تمكن في الدقائق القليلة بعد الغروب . فلماذا التأخر إلى نصف الليل أو إلى ما قبله بقليل أو إلى ما بعده بقليل ؟ (مع أن الخبر يمكن أن يدور في العالم كله في بضع دقائق) .

وجواب ذلك سهل : هنالك عدد من الدول تريد أن يكون فضل الإعلان لها . وربما أعلنت دولة أن الهلال قد «ثبتت رؤيته عندها بالوجه الشرعي» ، ثم بعد



كان الأولى أن يُرى اخلال في سورية من اللاذقية أو طرطوس (على ساحل البحر) ، وأن يرى في المملكة العربية السعودية من جدة أو رابغ .

وبعد هذا كله ، فإذا كان اخلال الجديد لم يَر في الغرب (في بيروت أو القاهرة أو تونس أو الرباط) ، فكيف يمكن (في الحسبان الفلكي) أن يرى في المشرق ؟

ومحاولة رؤية اخلال في المساء خطأ كبير لأسباب فلكية (غرق اخلال في شفق المغرب) ومحلية (تكاثر الضباب أو الغيم في سماء البلد أحياناً) . أما المنهج الصحيح فهو أن يخرج المفتي نفسه أو من يتدبه المفتي من العلماء بالفلك والحساب ليلتمس اخلال في « الصباح » (الرؤية في الصباح تكون أوضح ، لأن السماء عادة تكون أصفى آفاقاً) . فإذا رُوي اخلال يطلع قبل طلوع الشمس ، فعنى ذلك أنه سيبقى قبل غياب الشمس (ولا فائدة من التماسه في مساء ذلك النهار) . وأما إذا لم يطلع اخلال قبل طلوع الشمس ، فيكون حينئذ من الممكن أن يرى قبل مغرب الشمس من ذلك اليوم .

هذا حكم الفقه (والفقه هو العلم بمقائق الأمور) في رؤية اخلال .

إن الأمر هنا واضح . إن الحاجة ليست إلى تجديد في الإسلام (فالإسلام قديمه لا يزال ولن يزال جديداً ، لأن أحكامه صحيحة نقلاً وعقلاً) . أما التجديد فيجب أن يكون في نضر من الناس يتولون شؤون الإسلام والمسلمين .

وبما أن هذا المقال قد طال ، فإني سأشير إلى العاملين الباقين إشارتين عارضتين .

### الضعف السياسي

أما الضعف السياسي فحجة قائمة على الضعيف . إن العالم الإسلامي اليوم ضعيف سياسياً (يحكم في كثير من البلاد ذات الكثرة الإسلامية : الحبشة ، السنغال ، لبنان ، الخ الخ حاكم غير مسلم) وضعيف مادياً . وكذلك يغشى عالمنا الإسلامي اليوم ضعف روحي (من ضيق في الأفق كالأخذ بأشكال العبادات والعادات مع غفلة عن كل ما يستتره المستقبل عنا) . ثم إنه ضعيف اقتصادياً (لغرقه في الترف الذي هو مضبغة للمال وتبديد للجهود وضعف للتفرد ولللمجموع) .

### الهوامش

(١) إذا مات رجل وترك ابنتين وأباً وزوجةً فلهنتين الثلثان ، ولأب والأب الثلث (لكل واحد منهما السدس) وللزوجة الثمن ، فيكون مجموع الأنصبة واحداً وثلاثاً . حينئذ يرجع القاسم للتركة وينقص هذا الثمن من حصص الوارثين ، ينقص من كل وارث على مقدار ما هو مفروض له في الأصل .

(٢) فإذا ترك هذا الرجل ابنتين وأباً وزوجةً ، كان مجموع أنصبتهم ثلثين مع سدس مع ثمن أو ثلاثة وعشرين على أربعة وعشرين (أي أقل من واحد صحيح) فبداً الباقي حينئذ على هؤلاء الورثة .

(٣) بيع السلم (بفتح ففتح) : الضمان (كما يسمى ذلك في أيامنا) وهو أن يبيع إنسان ثمر بستانه قبل أن ينضج ذلك الثمر . ولم يكن ذلك مألوفاً في الإسلام قبل أبي حنيفة . قيل إن موسم الزيتون في التركستان تلف وخاف الناس الهلاك . فجاء وفد منهم إلى الخليفة المنصور وشكا إليه ذلك . استشار المنصور أبا حنيفة فأقر أبو حنيفة هذا البيع على الطريقة الشافعية : سأل مزارعاً : بكم بعث زيتونك في العام الماضي ؟ فقال مثلاً : بأربعة آلاف درهم . ثم سأل : وقبل العام الماضي ؟ فأجاب بأربعة آلاف وخمس مائة . . . حتى سأل عن بضعة أعوام . بعدئذ استخرج أبو حنيفة معدل تلك السنوات واقترح أن يباع الموسم القادم من الزيتون بأربعة آلاف ومائتين درهم . ثم قال لثلث المزارع : إذا زاد ثمن الموسم القادم عن ذلك فسامح المشتري . أما إذا نقص الموسم القادم عن ذلك فيجب على المشتري أن يسامحك .

(٤) كان أبو حنيفة يقول : إن الإسلام جاء (في المعاملات) بما ينفع الناس . فإذا كان الناس قد تواضعوا (اتفقوا فيما بينهم) على خطة ترضيهم (ولم تكن مخالفة للإسلام) فمن العقل أن نفرهم عليها .

## تجديد في المسلمين لا تجديد في الإسلام

دقائق أعلنت دولة ثانية أن رؤية اخلال لم تثبت لديها شرعاً . ولكن الدولة التي لم تثبت عندها رؤية اخلال قد تريت في إعلان نفيها ساعات طوالاً لا مبرر لها .

ونقول لهم «عملوا بالحساب» فيقولون : لا يجوز العمل بالحساب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . . . » غير أن رسول الله قد قال شيئاً آخر أيضاً . إنه قال : «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب (بضم السين) ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . . . » ثم يستشهدون أيضاً بآيات من القرآن الكريم استشهاداً خاطئاً ، لا أحب أن أتوسع فيه هنا ولا أن أنطرق إليه ، لأن الغرم سيجادلون في ذلك جدالاً لفظياً لا فائدة منه . ولكني سأتناول نقطتين علميتين :

● هم يقولون : إن العمل بالحساب (في الصوم) لا يجوز . مع أنهم لا يعملون إلا بالحساب في الصلوات الخمس (مع أن الصلاة مقدمة في أركان الإسلام على الصيام) .

● ونسأهم كيف ثبتت عندهم رؤية اخلال بالوجه الشرعي ؟

فيقولون : جاء فلان وشهد لدينا وأقسم يميناً على أنه شاهد اخلال . ونعود لنسأهم : كيف علمتم أن دعواه في رؤية اخلال صادقة ؟ فيجيبون : قلنا إنه أقسم يميناً .

ولقد اتفق لي أن فاضلت نفرأ من رجال الفقه الرسميين وغير الرسميين ، وكتبت إلى بعضهم ، وأجاب بعضهم على رسائلي ، فلم تخرج أجوبتهم عما سردت آنفاً . ولما تشددت في تصديق الخبر عن رؤيته للخلال ولم أصدق يمينه (لأنه ادعى أنه رأى اخلال ولم يكن هنالك في سماء البلاد الإسلامية هلال) ، قال لي أحدهم : وكيف تريد منا أن نستوثق من هذا الرجل بغير اليمين ؟ فقلت كنت أسأله :

\* أين كنت لما رأيت اخلال ؟

\* هل كان اخلال ظاهراً إلى يمينك أم إلى شمالك ؟

\* كم دام بقاء اخلال بعد غياب الشمس ؟

\* كم كان ارتفاعه فوق الأفق لما تحته أول مرة ؟

\* إلى أي جهة كان اتجاه طرفيه ؟

ومن الغريب أن الخبر إذا جاء من سورية نسبت رؤيته إلى رجل من حماة (وقد قيل لي إن هذا الرجل الذي كان في كل عام يرى اخلال في حماة قد توفي منذ مدة) . أما إذا جاء الخبر من المملكة العربية السعودية فيقال في الأكثر إن اخلال رُوي في بريدة . وكل الناس يعرفون أن حماة في منخفض من الأرض لا تصلح منها رؤية اخلال ، وأن إلى غرب بريدة تلال جبلية تعلو خمسمائة متر . ولقد



# مكة

شعر: مصطفى عكرمه

كم هزني الشوق يا خير الديار! وكم  
عانيتُ بُعدك وَجُداً دائماً السبب!  
إلا إليك أرى الأشواق تقعد بي  
وعند ذكرك أشواق تحلّق بي  
وعند ذكرك أنسى أنني بشرٌ  
وكلّ ملائكة أحياء في المدى الرحب  
فتبدعين كياني من تلقى، وهدى  
فلا أحسّ بما ألقاه من وصبي  
ما غير زورة بيت الله ترجع لي  
شبابٌ روحي إذا امتدّت يد النوب  
ربي حنائيك فاكبتها، وخذ بيدي  
كي يهتف القلب: يا فوزي، ويا طربي

طفّ بي بمكة إني هذي تعبي  
واترك عنائي فإني ها هنا أربي  
ودّع فؤادي يَمْرَح في مرابعها  
ففي مرابعها يغدو فؤاد صبي  
هنا أمّغ خدي صبوّة، وجوى  
فتهتف الحور: بشرى خدك التّرب  
فإن رأيتُ دموعي أنبتت حجراً  
فتلك مني دموع الفرحه العجب  
هنا ابتحة آي الله قد نزلت  
هنا ترأى رسول الله خير نبي  
هنا الصحابة عاشوا يصنعون لنا  
مجداً فريداً على الأيام لم يشب



# فقہ مالک بن انس امام دار

الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الصحابي الجليل . إمام دار الهجرة . ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ وعاش بها طوال حياته فلم يخرج منها إلا حاجاً ومات سنة ١٧٩ هـ . نشأ في بيت علم فكان جده من كبار التابعين وأحد الكتاب الذين نسخوا المصاحف أيام عثمان . وكان عمه من المشتغلين بالعلم أيضاً .

وجّهته أمه إلى طلب العلم على ربيعة الرأي وقالت له : تعلم من أدبه بقرآنه علمه في لثقة . لعل علياً محمد بن المنكدر . وكذا على الإمام جعفر الصادق .

منحصر في القياس كما هو عند غيره من فقهاء مدرسة الحديث الأخذين بالقياس . وكان يزن الأحكام الفقهية بميزان المصالح وما يلائم مقاصد الشارع العامة ، وكان ينقد ما ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أخبار الأحاد نقد الضيف في البارع فهو يقول بالنسبة لما رواه أبو هريرة عن النبي أنه قال : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب . كيف يؤكل صيده ويكره لعبه !! لا أدري ما حقيقة هذا الخبر ؟ ! .

وكان فقه مالك بعضه تحريجاً للأحاديث ، وبعضه بياناً لما كان مجمعاً عليه في المدينة ، وبعضه بياناً لما كان عليه فقه التابعين بها وبعضه ما انتهى إليه اختياره من مجموع آرائهم وبعضه أخذه بالقياس على ما علم أو بناء على المصلحة التي كان يعتبرها القياس الضابط عند انعدام النص . ولقد وصف مالك فقهه في كتابه **الموطأ** فقال : وأما أكثر ما في الكتاب فرأى لغثي ما هو برأيي ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم ، وما قلت الأمر عندي . فهو ما عمل الناس به عندنا وجرت به الأحكام ، وما قلت فيه بعض العلم فهو شيء استحسنته من قول العلماء ، وأما ما لم أسمعهم منهم فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته حتى وقع ذلك موقع الحق أو قريباً منه حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم .

تأثر مالك في فقهه كثيراً بشيخه ربيعة الرأي ، وكان أساس الرأي الذي تلقاه عنه التوفيق بين النصوص المختلفة ومصالح الناس ، ومع أخذ مالك بالرأي وتوسعه فيه فإنه لم يصل إلى ما وصل إليه أبو حنيفة في هذا فضلاً عن اختلاف المنهج . فالمصلحة عند مالك هي الأساس والمقياس الضابط عند انعدام النص .

حفظ القرآن الكريم في صدر حياته ، ثم حفظ الحديث ، كما برع في الفقه ، فقد أتم بفقه فقهاء المدينة السبعة « سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وخارجة بن زيد ، وعبيد بن عبد الرحمن بن حارثة ، وسليمان بن يسار ، وعبد الله بن عتبة » .

وبرع مالك في الفقه والحديث حتى أجمع العلماء على إمامته في الحديث ، وقرر علماء الحديث أن أصح الأحاديث ما روته السلسلة الذهبية : مالك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر ، ومالك عن نافع عن ابن عمر ، ومالك عن ابن الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . اشتغل بتدريس الحديث والفقه ، واختار مجلس درسه حيث كان يجلس **عمر بن الخطاب** ، كما اختار لنفسه سكناً **دار عبد الله بن مسعود** ، وكان إذا خرج للتدريس يتوضأ ويتطيب ويلبس ثياباً جديدة ويصلي ركعتين ، وقد كان هادئ الطبع حسن الصوت . ذا مهابة كثير الصمت . لا يسارع إلى إبداء الرأي وإنما يفكر التفكير الطويل . يروى عنه أنه قال : ربما وردت علي مسألة ما فأقضي فيها عامة ليلي . وقال : ما كان شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام لأن هذا هو القطع في حكم الله . ولقد أدركنا أهل العلم في بلدنا ، وأن أحدهم إذا سئل عن المسألة كأنما الموت أشرف عليه .

وكان يقف إلى حلقة درس مالك الكثير من الفقهاء : منهم الشافعي ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، والأوزاعي ، وسفيان ابن عيينة ، والليث بن سعد ، كما كان ينفذ على درسه الأمراء كالمهدي والهادي أو الرشيد أو الأمين أو المأمون .

وكان في فقهه واقعياً يكره افتراض المسائل ، وقد تأثر في فقهه بالبيئة التي هو فيها فطريقته في الاستنباط مشبعة بالرأي ، ولم يكن مجال الرأي عنده



بالدقة في نقد رواية الحديث ورواته حتى عُذَّ القدوة التي تعرف بعلمه  
أقدار الرجال . فإذا حَدَّثَ عن رجل لا يعرفونه فهو حجة .

وكان رضي الله عنه يرى الاختلاف الفقهي ضرورياً لتكون الأحكام  
متوافقة مع عرف كل إقليم ما دامت لم تخالف نصاً ، ولذا فإنه رَفَضَ أن  
يكون كتابه الموطأ مرجعاً للناس في كل الأقطار . وقال للرشيد  
عندما طلب منه ذلك : يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة الله على  
هذه الأمة . كل يتبع ما صح عنده وكل يريد الله . . وقال : إن لكل قوم  
سلفاً وأئمة فإن رأى أمير المؤمنين قرارهم على حالهم فليفعل .

### بغضه للخوض في الغيبات

كان رضي الله عنه لا يحب الكلام فيما ليس وراءه عمل مما أثاره  
المعتزلة والجبرية وغيرهم من الأمور الغيبية . ويروى أن رجلاً سأل  
مالكاً عن معنى الاستواء في قوله جل شأنه ﴿ ثم استوى على العرش ﴾  
فقال : الاستواء معلوم والكيف منه غير معقول والسؤال عن هذا بدعة  
والإيمان به واجب . ويروي الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأل  
عن الدليل على وجود الله فقال : اختلاف اللغات والأصوات والنغيمات .  
وكان يكره التأويل ويطلب إمرار النصوص كما جاءت ويكره  
الجدل في الدين ولو كان هذا البحث إمعاناً في التنزيه ، ويرقص  
الرد العقلي على البدع ويقول : هو ردٌ بدعة ببدعة . يروى عن  
أشهب تلميذ مالك أنه سأل هل يفيد قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ  
ناصرة إلى ربها ناظرة ﴾ أنهم ينظرون إلى الله ؟ . قال : نعم بأعينهم .  
قال أشهب : إن قوماً يقولون إن « ناظرة » بمعنى منتظرة . فقال : كذبوا  
بل ينظرون إلى الله أما سمعت قول موسى « .. أرني أنظر إليك » أفترى  
موسى سأل ربه محالاً؟! فقال : لن تراني — أي في الدنيا لأنها دار فناء —  
ومن هذا ترى أنه فهم النص كما هو دون تأويل فيه .

وكان يرى أن الإيمان اعتقاد قول وعمل وأنه يزيد وينقص لأن ما  
يقبل الزيادة يقبل النقصان غير أنه لما وجد آيات القرآن ذكرت الزيادة  
فقط دون النقصان كف عن القول بالنقصان وقال : الإيمان يزيد وقد ذكر  
الله زيادته في غير موضع . فدع الكلام في نقصانه وكف عنه .

### بغضه للمجادلة

وكان مالك يكره المجادلة لأنها تدفع في كثير من الأحوال إلى  
التعصب . ويروى أن الرشيد طلب إليه مرة أن يناظر أبا يوسف الفقيه  
الحنفي فقال له : إن العلم ليس كالتحريش بالبهائم والديكة . وكان يرى  
أن شيوع الجدل بين المسلمين يفسد عليهم أمور دينهم .

### بعده عن السياسة والتعلق بالحكام

كان مالك قوياً في الحق لا يتملق الحكام ولا ينتقل إلى رجال الجاه  
والسلطان . يروى أن الخليفة هازون طلب أن ينتقل الإمام مالك إلى  
قصره ليقراً موطأه على ولديه الأمين والمأمون فقال مالك : أعز الله أمير  
المؤمنين إن هذا العلم منكم خرج فإن أعز زعموه يعز وإن أذلتموه ذل والعلم

# الهجرة

بقلم : د. محمد سلام مذكور

ومالك وإن لم يدون لنفسه أصولاً وإنما ذكر منهاجه الفقهي إجمالاً في  
مثل ما قدمناه عنه ، فإننا نستطيع — القول من خلال النظر في كتابه  
( الموطأ ) . وما دون عنه من فروع فقهية في المدونة — بأنه فقيه رأي كما  
هو فقيه أثر ، وأن المصلحة عنده مقياس ضابط وأنه اشتق فقهه الرأي  
من الحياة والإنسانية ، وأن حصيلة مالك من الأثر وإن كانت واسعة ،  
وأحكامه المبينة على نصوص السنة كثيرة ، فنشأ هذا أنه أقام في موطن  
الحديث طوال حياته .

كان رضي الله عنه أوّل من عني عناية شديدة بدراسة  
رجال الحديث فينتقي الرواة الثقات ولا يأخذ الحديث من  
صاحب هوى يدعو إلى بدعة ولا بمن يكذب في أحاديث  
الناس ، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله . فهو لا يكتفي  
بالعدالة والضبط بل لا بد أن يكون الراوي عنده ممن يزن ما ينقل إليه .

ومن ناحية متن الحديث ، فقد كان يستأنس برواية غيره دائماً ولذلك  
كان ينفر من الغريب مهما يكن حال رواته قال ابن عبد البر : « إن  
مالكاً كان من أشد الناس تركاً لشذوذ العلم وأشدّهم انتقاداً  
للرجال وأقلهم تكلفاً وأتقنهم حفظاً ولذلك صار إماماً » وقد  
أثر عن مالك قوله : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون منه . لقد  
أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله : فها أخذت عنهم شيئاً ، وإن  
أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل  
هذا الشأن .

ويعد الإمام مالك أوّل من دون الحديث فقد جمعه في  
كتابه الموطأ الذي توحى فيه القوي من حديث أهل الحجاز  
ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وصنّفه على أبواب  
الفقه . ومكث في جمعه وتبويبه قرابة الأربعين عاماً . وقد عرف مالك



السنة ، وأما الأدلة الأخرى فإنه يشملها عنده الرأي . وقال الشاطبي في الاعتصام : إن مالكا يترك الدليل للعرف . ولاحظ الشاطبي أن مالكا يعتمد في فقهه أكثر ما يعتمد على ما ورثه عن شيوخه وما عرفه عن الصحابة والتابعين من أحكام حيث قال : **ومالك هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع بحيث يحيل لبعضهم أنه مقلد لمن قبله .**

وإذا كان مالك لم يدون له منهجاً خاصاً غير أننا نجزم بأنه فقيه رأي كما هو فقيه أثر ، وأنه دائماً يحكم ما عليه عمل أهل المدينة في فقهه ، كما يزن غالباً الأمور بميزان المصلحة . وعند نظره في النصوص نجده يقدم النص ، ثم الظاهر ، ثم المفهوم ، ثم التنبيه على العلة<sup>(١)</sup> ، وأنه يدرس ما يجد من الوقائع مما لم يرد فيه نص في ضوء ما علم ويعقل متفتح لاعتبار المصالح في نطاق القواعد العامة للشريعة .

فالنص عنده في الدلالة أقوى من الظاهر ، وعند التعارض يقدم النص لأنه لا يحتمل التأويل ، وبالتالي فإنه يقدم الظاهر على المفاهيم عموماً ، ويقدم فحوى الخطاب « مفهوم الموافقة » على دليل الخطاب « مفهوم المخالفة » ويتجه إلى أن دلالة اللفظ العام – المجرد عن القرائن – على العموم من قبيل الظاهر لا من قبيل النص فتكون دلالاته بناء على ذلك ظنية .

#### مخصصات العموم عند مالك

يقول القرافي : **إن مخصصات العموم عند مالك خمسة عشر هي :** العقل والإجماع والكتاب بالكتاب ، والقياس الجلي والخفي لو كان العام قرآناً أو سنة متواترة ، والسنة المتواترة بمثلهما ، والكتاب بالسنة المتواترة ، والكتاب بخبر الأحاد ، والعادات ، والشرط ، والاستثناء ، والصفة ، والغاية ، والاستفهام والحس . وإن كان العقل والحس مجرد قرائن ، كما أن الاستثناء والشرط والصفة والغاية ما هي إلا قيود لا يتم

يؤق ولا يأتي . ويروى أنه كان إذا دخل على الوالي بدأه بالسلام ثم وعظه وحثه على مصالح المسلمين .

**وكان يكره الخوض في السياسة** وإن كان لا يخلو من نزعة تقربه من الأمويين . ولذا فإن الأمويين بالاندلس جعلوا فقهه هو القانون الملزم لدولتهم وحملوا الناس عليه .

ومع مكانة مالك العلمية فإنه لم يسلم من أذى الأحكام فقد ضربه **جعفر بن سليمان والي المدينة بالسياط** وذلك لما أوثى به مروجو الفتى وقالوا : إنه يوجه الناس إلى أنهم في حل من بيعتهم إلى أبي جعفر المنصور لأنها تمت على كره منهم وقالوا إن ذلك لم يصدر منه صراحة وإنما يفهم ضمناً من فتواه بعدم وقوع طلاق المكره . وقيل إن سبب هذه الحنة أمر آخر . ولما اشتد سخط أهل المدينة وغضبهم استدعاه الخليفة إلى مجلسه واعتذر له بعدم علمه وأمر بنقل هذا الوالي من المدينة إلى العراق .

#### منهج مالك في الأخذ من الأدلة

يقول القاضي عياض عن أصول أدلة مالك : وجدت مالكا رحمه الله ناهجاً في هذه الأصول مناهج مرتباً لها . مقدماً كتاب الله ثم الآثار ثم القياس والاعتبار تاركاً منها لما لم يتحملة الثقات العارفون وما وجد الجمهور الجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه . وأنه كان عند نظره في النصوص القرآنية يقدم نصوصه ثم ظواهره ثم مفهوماته ، كما يحكى عنه أنه تناول السنة على ترتيب متواترها ومشهورها وآحادها ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها وأن الإجماع عنده يتحقق بإجماع أهل المدينة .

ويدخل في استدلال مالك بالقرآن استدلاله بشرع من قبلنا إذا ورد في القرآن ولم يرد به حكم معارض له . فهو وإن لم يذكره الأصوليون من المالكية صراحة إلا أنه واضح في فقه مالك اعتباره في هذه الحالة مصدراً له .

وينص القرافي المالكي على أن أصول المذهب المالكي : القرآن والسنة والإجماع ، وإجماع أهل المدينة ، والقياس وقول الصحابي ، والمصلحة المرسلة ، والعرف والعادة ، وسد الذرائع ، والاستصحاب ، والاستحسان . أما الشاطبي المالكي فقد حصرها في كتابه الموافقات في أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والرأي . فهو يعتبر عمل أهل المدينة وقول الصحابي من قبيل

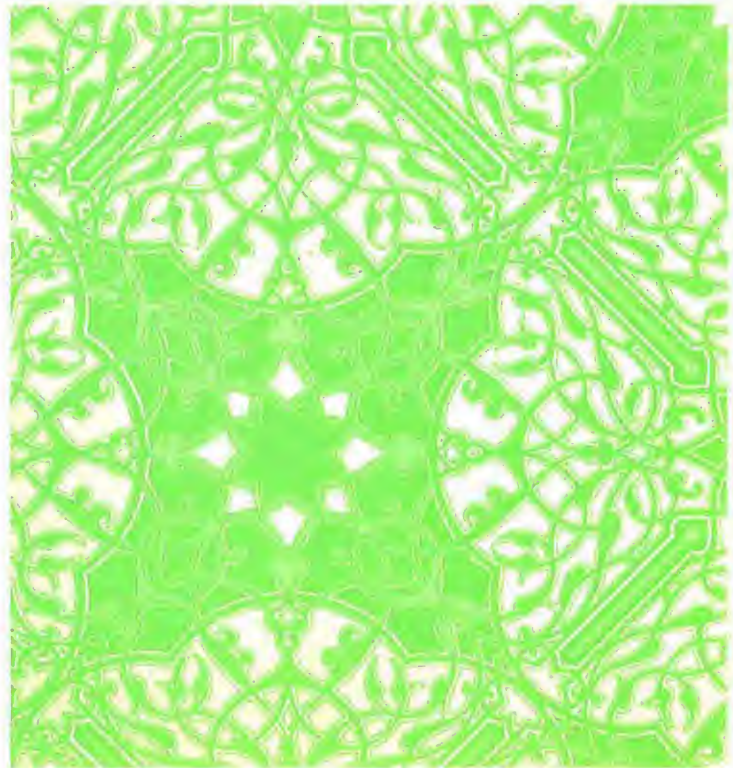


الكلام إلا بها . وإن كان تقييد العام بها ليس موضع خلاف .  
ومن صور تخصيص عموميات القرآن بالإجماع ، إخراج نكاح الأخت  
الرضاعية من عموم قول الله تعالى في سورة النساء في آية النكاح ﴿ أو  
ما ملكت أيمانكم ﴾ ، فقد أجمع الصحابة والتابعون على إخراج الأخت  
الرضاعية من هذا العموم وهو ما يؤيده العقل .

كما أن تخصيص الكتاب بخبر الواحد أمر واضح إذ دلالة العام المجرد  
عن القرائن على العموم ظنية حسب منهجه . فالظني يخص الظني ولا  
حرج في ذلك . أما تخصيص عموم الكتاب بالقياس جلياً كان أو خفياً  
وسواء كان أصله خبر آحاد أم حديثاً متواتراً ، فإن الفقه المالكى يكاد أن  
يكون انفرد بالقول به ، إذ القياس أصل معتبر ، والقاعدة أنه إذا تعارض  
أصلان أحدهما فيه احتمال الدلالة والآخر لا احتمال فيه كان إعمالهما معاً  
أولى من إهمال أحدهما . أما العادة التي تخصص عمومات الكتاب فهي  
العادة القولية التي توجه الاستعمال في عصر نزول النص . يقول القرافي  
المالكى : من له عرف وعادة في لفظ حمل لفظه على عرفه . وذكر بعض  
المالكية أن المصالح المرسله تخصص عمومات الكتاب أيضاً ومن ذلك قول  
مالك بعدم إلزام المرأة الشريفة بالإرضاع إذا قبل طفلها الإرضاع من  
غيرها وذلك محافظة على جافا .

ويقدم مالك ظاهر القرآن على خبر الآحاد ما لم يعضده أمر آخر  
كعمل أهل المدينة أو الإجماع أو القياس لأنه يشترط لابتناء الحكم على  
خبر الآحاد ألا يخالف ظاهر القرآن . فقد رد حديث أبي هريرة « إذا ولغ  
الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب » لمعارضته لظاهر  
قوله تعالى : « فكلوا مما أمسكن عليكم » وضَعَّف الحديث وقال : يؤكل  
صيده فكيف يكره لعبه ؟!

ومن الصور التي بنى فيها الحكم على خبر الآحاد برغم معارضته  
لظاهر النص لأن الخبر عضده أمر آخر ، ما رواه أبو هريرة من أن  
الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أكل كل ذي ناب من السباع حرام »



وما رواه ابن عباس من أن الرسول نبى عن كل ذي ناب من السباع  
وعن كل ذي مخلب من الطير ، مع أن ذلك معارض لظاهر قوله تعالى في  
سورة الأنعام ﴿ قل لأجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن  
يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحماً خنزيراً فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير  
الله به .. ﴾ وعلل مالك أخذه بالحديث برغم هذه المعارضة بقوله - كما  
في الموطأ - ( وهو الأمر عندنا ) أي ما عليه عمل أهل المدينة .

### موقف مالك من الحديث

يتجه الإمام مالك إلى الحديث والأثر أكثر من اتجاهه إلى الرأي ،  
وتوسع في اعتبار الحديث حتى أخذ بالمنقطع والمرسل والموقوف  
لكنه مع هذا يتشدد في رواية الحديث ، ويشترط في الراوي فوق العدالة  
ألا يكون سفياً فيه حتى وجهه ، وألا يكون صاحب بدعة يدعو إليها وأن  
يكون معروفاً بالضبط والفهم . ولذلك فإنه يرد غريب الحديث ويقبل  
المرسل ما دام يطمئن إلى شخص مُرسله . وقد كان الأخذ بذلك سمة  
العصر . وكان يرى أن الحديث المستفيض الذي اشتهر في طبقة التابعين  
أعلى درجة من خبر الآحاد .  
وكان رضي الله عنه يشترط للأخذ بخبر الآحاد ألا يخالف عمل أهل  
المدينة لأنه كشيخه من قبل يعتبرون عمل أهل المدينة بمنزلة رواية جماعة  
عن جماعة فيكون أولى بالاعتبار من رواية الآحاد ، وحتى مع صحة الخبر  
فإن أهل المدينة أدري بالسنة وأعلم بها فخالفتهم لخبر صحيح من أخبار  
الآحاد دليل على أنه منسوخ ، ومع هذا فإنه إذا وجد طريقاً للجمع بين  
الخبر وما عليه عمل أهل المدينة لجأ إليه ، كما أنه يقدم القياس على خبر  
الواحد إذا كان القياس تؤيده قاعدة قطعية .

### الإجماع وعمل أهل المدينة

نظرة مالك للإجماع تختلف بعض الشيء عن غيره إذ يرى أنه يتحقق  
بإجماع أهل المدينة ، وبالتالي فإنه يتحقق باتفاق جميع المجتهدين في الأمة  
بعد عصر الرسول . واعتزاز مالك بعمل أهل المدينة وما  
يجمعون عليه أمر واضح جداً في فقهه كما روي عنه أنه قال :  
الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة . وقد تبع مالك في تقديم  
عمل أهل المدينة على الخبر شيخه ربيعة الرأي فقد روى عنه أنه قال :  
ألف عن ألف أحب إلي من واحد عن واحد .

وعمل أهل المدينة مقدم عند مالك ما دام طريقه النقل عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قولاً كان أو فعلاً أو تقريراً ، أو ترك شيء قام  
سبب وجوده ولم يفعله . وأما ما كان طريقه الاجتهاد فقليل إنه لا يدخل  
فيما يترك من أجله القياس ويقدم على الخبر . وقيل إنه وإن لم يكن حجة  
فإنه يكون مرجحاً .

فمالك يعتبر ما أجمع عليه أهل المدينة ملزماً . أما إذا اختلف  
الصحابة أو التابعون في المدينة فإنه لا يخرج عن جملة آرائهم وإنما يرجح  
رأياً على آخر ، لموافقته لتخريج من الكتاب أو السنة أو لكثرة القائلين به  
أو لموافقته لقياس قوي ، ويعبر عن ترجيحاته بقوله : هذا أحسن ما  
سمعت ، أو أحب ما سمعت إليّ .



إلى مقصد هو قرينة وخير وتأخذ الوسيلة حكم المقصود .

ومن طرق الرأي عنده **الاستصحاب** . لأن الثابت بيقين يبقى ولا يزول بالشك فمن ادعى أنه اشترى كلباً على أنه كلب صيد ثم ادعى على أنه غير مُعْلَم قبلت دعواه استصحاباً للأصل حتى يثبت عدم صدقه لأن الأصل عدم معرفة الكلب المصيد دون تدريب . ومن تزوج فتاة على أنها بكر ثم ادعى عند دخوله بها أنها غير بكر لا تقبل دعواه إلا بدليل آخر استصحاباً للأصل .

ومن طرق الرأي عنده اعتباره **للمصلحة المرسلة** فقد أخذ بها في المعاملات خاصة واعتبرها دليلاً مستقلاً . واشترط للعمل بها أن تكون ملائمة لمقاصد الشرع ولا تنافي أصلاً من أصوله وأن تكون معقولة في ذاتها وأن يكون الأخذ بها حفظاً لأمر ضروري أو رفع حرج لازم في الدين . يقول الشاطبي : إن مالكاً في قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، قد استرسل فيه استرسال المدلّ العريق في فهم المعاني المصلحية .

### اعتباره للعرف

**وقد اعتبر الإمام مالك العرف مصدراً عند انعدام النص** . كما خصص به النص العام وقيد به المطلق وترك من أجله القياس وكل ما هو محمول على العادات إذا تغيرت العادة تغيرت الأحكام في الفقه المالكي ، وكذلك بالنسبة للدعاوى فإنه إذا كان القول قول من ادعى شيئاً لأنه العادة ثم تغيرت العادة ولم يبق القول قول مدعيه تغير الحكم تبعاً لذلك .

هذا هو منهج مالك الفقهية ومنه يبين أنه بقدر ما كان يتمسك بعمل أهل المدينة ويأخذ بالسنة المتواترة والمستفيضة والآثار مما روي عن الصحابة والتابعين فإنه أفسح المجال للرأي إلى حد يفوق فقهاء مدرسة الرأي في بعض الطرق ، ولذا فإن من المؤرخين من عدّه من فقهاء الرأي .

وقد كان رحمه الله إماماً جمع في فقهه بين الكمال الديني ومراعاة مصالح الناس . فكان محل ثناء فقهاء الرأي وفقهاء الحديث ، فقال عنه **أبو حنيفة النعمان** : ما رأيت أسرع منه بجواب صادق . وقال عنه **الشافعي** : إذا جاء الأثر عن مالك فشذ به وإذا ذكر العلماء فمالك النجم ولم يبلغ أحد من العلماء مبلغ مالك لحفظه وإتقانه ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك . ويقول عنه **أحمد بن حنبل** : مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث والفقه .

رحم الله مالكا ، فقد كان مدرسة فقهية دانت لفقهه كثير من الأطوار الإسلامية حتى اليوم واستفادت من فقهه كثير من التشريعات الأوروبية . **وقد كان رضي الله عنه يبغيض التعصب وينهى تلاميذه عن التعصب له** ويقول عند تقريره لمسألة واستنباط لحكم : انظروا فيه فإنه دين وما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يقصد الرسول صلوات الله عليه . . وإلى لقاء آخر أقدم لقراء مجلة **الفصل** فقه أبي حنيفة إمام مدرسة الرأي .

### اعتزاز مالك بقول الصحابي

كان مالك يتبع ما أثر عن الصحابة والتابعين ولو كان رأياً لواحد ، وهذا كثير في فقه مالك فهو دائماً يقدم الآثار على القياس . وكان يلحق قول الصحابي بالسنة ويعتز به إذ يرى أن الصحابي قد يكون سمع ذلك من النبي أو من صحابي آخر أو يكون فهمه من آية قرآنية فهماً خفي علينا ، أو يكون ذلك قد اتفق عليه ملؤهم ولم ينقل إلينا إلا قول المفسر وحده . بل لقد ورد ما يدل على أنه ترك خبر الأحاد الذي رواه **سعد ابن أبي وقاص** الخاص بالتمتع بالعمرة إلى الحج أخذاً بقول عمر إذ قد نبى عن ذلك فيما رواه **الضحاك** . وقال مالك : قول **الضحاك** أحب إلي من قول سعد ، وعمر أعلم برسول الله .

### منهجه في الرأي

طرق الرأي عند مالك متعددة منها **القياس** الذي كان يأخذ به عند انعدام النص والإجماع وقول الصحابي . بل إنه توسّع في القياس حتى إنه كان يقيس بعض المسائل التي تقع على ما أجمع عليه أهل المدينة ، وما أثر من فتاوى الصحابة كما كان يقيس أيضاً على الفروع الثابتة بالقياس والاستنباط ما يكون مماثلًا لها في مجموع أوصافها . مع أن عامة الأصوليين يشترطون في القياس أن لا يكون حكم الأصل ثابتاً بالقياس وإنما فقط بالنص أو الإجماع . وكذلك فإن الإمام مالكاً أدخل **القياس في الكفارات والحدود** مع أن الحنفية وهم أئمة الرأي لا يقيسون فيها مطلقاً وكذلك فإنه يقيس على الرخص المستثناة لأنها رخص يتقصد فيها سبب عام فوجب عنده تعديده ذلك إلى الغير كما جاء في بداية المجتهد لابن رشد المالكي .

ومن طرق الرأي عنده **الاستحسان** الذي توسع فيه وقال : إنه تسعة أعشار العلم ، وتوسع فيه . وما نحسب مالكا استعمل الاستحسان بالمعنى الأصولي الدقيق لأن عصره والبيئة التي كان فيها لا يسمحان بذلك . وإنما استعمله بالمعنى الملائم لبيئته . وهذا لا يمنع من أن فقهاء المالكية جاءوا من بعده فنظروا فيه واستعملوه بالمعنى الأصولي الدقيق .

ومن طرق الرأي عند مالك اعتبار **الذرائع** . وقد انضبطت عنده قاعدة الأخذ بالذرائع التي أخذها عن شيوخه بالمدينة واعتمد عليها كثيراً في فقهه وخاصة في المبيعات سواء بالنسبة لسد الذرائع أو لفتحها . ومن صور ذلك قوله بتوريث من طلقها زوجها في مرض موته بغير رغبتها لأنه متهم في هذا بمحاولة فراره من إرثها فيه . ويرى سد الذرائع إن كانت تنضي إلى مفسدة لأن المفاسد ممنوعة ، كما يرى فتحها إن كانت تنضي



# الفسطاط

## المدينة والعاصمة والآثر

بقلم : د. حسين فوزي النجار

كثيراً ما نذكر الفسطاط مدينة أبدت عفا عليها الزمن ولم تعد غير ذكرى في التاريخ ، فإن كان الزمن قد عفا على معالمها ولم يبق على رسومها ، فقد بقيت تنفرج وتمتد حيث تستوي أمامها الأرض لتبقى على مدى الأيام عاصمة الديار المصرية ، سواء كان مقر الحاكم المعسكر أو القطنان أو القاهرة ، فما كانت جميعاً غير امتداد طبيعي للفسطاط ، كامتداد القاهرة اليوم في أحيائها الجديدة خارج أسوارها القديمة نحو الشمال أكثر مما هو تجاه الجنوب .

★ صورة من بقايا معالم مدينة الفسطاط ★

مدينة  
وتاريخ





الحاكم ومنتجع الحامية الرومانية ، فبقيت ملقى القوافل الضاربة نحو مصر عبر الصحراء الشرقية .

وحيث قدر للفسطاط أن تخلف (منف) على مكانتها وأن تصبح حاضرة الديار بدل الإسكندرية ، كان ذلك مؤثلاً مع واقع التاريخ المصري ، حين قامت حواضر مصر على مدى آلاف السنين من قبل في تلك البقعة التي تصل ما بين شطري الوادي .

وكانت الأرض فيما وراء حصن بابليون ، وكان من أسمائه أيضاً «بابليون آن-خيبي» باللغة القبطية أي «بابليون مصر»<sup>(٢)</sup> مزارع فسيحة ، تضرب حداثتها وكرومها نحو الشمال ، وفيما يليها إلى الجبل الشرقي كنائس وأديرة تمتد إلى المكان الذي أقيم فيه جامع أحمد بن طولون . وقلعة الكيش فيما بعد ، ويقول «بتلر» إن بعض هذه الكنائس وتلك الأديرة قد بقيت إلى اليوم ، بعضها داخل سور القاهرة وبعضها خارجه<sup>(٣)</sup> . كما يقول إنه قد بقي من الحصن حتى أوائل القرن العشرين ما يدل على ما كانت عليه هيئته وعظيم خطره ، فقد كان للقبض فيه من أول عهد المسيحية عدة كنائس ، وكانت كل أسواره لهم إلا ما كان منها للمملوكيين ، وهو ما قامت عليه كنيسة «مار جرجس» ، ومن كنائسه الباقية كنيسة «المعلقة» وكنيسة «أبو سرجه» .

وقد عرف الحصن بأسماء عديدة وإن غلب عليها اسم «قصر الشمع» . ولعله عرف أيضاً باسم «حصن مصر» ، وكانت المنطقة التي أقيم فيها تعرف باسم مصر وأصبحت تعرف الآن بمصر القديمة ، تمييزاً لها عن القاهرة التي ما زالت تعرف عند الكثيرين باسم مصر .

#### تأسيس الفسطاط (٥٢١ - ٦٤٢ م)

في تلك الأرض ، فيما وراء حصن بابليون من الشمال والشرق ما بين البساتين والكنائس ، نزل عمرو بن العاص بجندته ضارباً إحصاراً حول الحصن ، وإلى جواره أقام قبة التي سميت «فسطاط عمرو» أي خيمته ، ويقول القلقشندي ، إنها بضم الفاء ويقال فيها فسطاط ، وفسطاط بتشديد السين ، ويخبر الجوهري كسر الفاء فيها جميعاً ، وفي لسان العرب أن الفسطاط يجتمع أهل الكورة حول مسجد جماعتهم ، ويرى بتلر أن الفسطاط مسمى أعجمي . وقد اختلف العرب فيه ، فهم يقولون إجمالاً إن معناه الخيمة من الأدم أو من الجلد ، وكان عمرو يتخذ لنفسه خيمة منها ، أو يقولون إن معناها الموضع حيث يجتمع الناس .

وقد جاء في رواية أن كل مدينة فسطاط<sup>(٤)</sup> ، فيقول ابن الفقيه إنه كان يطلق على البصرة اسم الفسطاط ، كما يقال إن كلمة فسطاط أخذت عن كلمة Fossatum البيزنطية الأصل ، ومعناها المسكر أو المدينة المحصنة وإن العرب سمعوها في الشام وفي مصر فأدخلوها لغتهم<sup>(٥)</sup> .

ولما فتح العرب حصن بابليون وأزمع عمرو السير إلى الإسكندرية أمر بترغ الفسطاط فإذا بعام قد فرخ ، فقال : «لقد تحرم منا بحرم» وأمر بأن يبقى الفسطاط حتى يطير الفراخ ، وأوصى به صاحب القصر ، فلما تم له فتح الإسكندرية ، قيل إنها راقت له لتكون مقر حكمه وقال : «مساكن قد كفيناها» ، وكتب إلى عمر يستأذنه في المقام بها لتكون مقر حكمه ، وسأل عمر الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ ، فأنابه : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب إلى عمرو «لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف» .

ولعل الإسكندرية عروس الدنيا حينذاك قد راقت لعمرو . فهي عاصمة مصر منذ خطها الاسكندر المقدوني ، فكانت مقام البطالسة وحاضرة ملكهم وهي مقر الحاكم الروماني وهي عروس البحر المتوسط أو بحر الروم . كما كان يعرف ، وقد حوت من القصور والمنازع ودور العلم ومحافل الثقافة ما تزهى به على الدنيا كلها حتى

## الفسطاط المدينة والعاصمة والأثر

ولعل الروى التي غالت عمرو بن العاص حين فكر في اتخاذ قاعدة حكمه في مصر ، أو التي دعت الخليفة عمر أن يأمره بالآلا يدع بينه وبين المسلمين ماء حين رأى عمرو أن يتخذ من الإسكندرية عاصمة للديار المصرية ، كما كانت على عهد الرومان بعد أن تم له فتحها . هي الروى التي غالت من قبل فراعنة مصر حين اتخذوا من منف عاصمة الشمال والجنوب لتكون قاعدة المملكة الموحدة ، وهي التي غالت الرومان من بعد حين أقاموا حصن بابليون عبر النيل إلى الشمال الشرقي من (منف) عاصمة الفراعنة . فحيث قامت (منف) ، وحيث أقيم حصن بابليون ، وحيث خطت الفسطاط والمعسكر والقطائع ثم القاهرة ، كان النيل يستقبل دلتاه العظيمة ويتخللها كأعراف نخلة تشعب السعف منها في خضرة زاهية بطلح نضيد جذعها في النوبة وساقها في الصعيد وفروعها في الوجه البحري ، فقاعدة للبلاد تقوم عند التقاء النهر بدلتاه لا بد وأن تمسك بناصية الوجهين معاً . وتشرف على الجنوب كما تطل على الشمال .

وحيث قام «جب» في أسطورة «ايزيس» - كما نقص علينا «لوحة شباكا» - بتقسيم أرض مصر ، أو ملكة أوزيريس بين «ست» و«حورس» ، فجعل لـ «حورس» الدلتا أو مملكة الشمال ولـ «ست» الصعيد أو مملكة الجنوب ، وكانت تلك البقعة من النهر التي قامت عليها (منف) وأقيم عليها حصن بابليون وخطت على صفحتها مدينة الفسطاط ، هي الحد الفاصل بين مملكتي ست وحورس ، حتى رأى جب - كما نقص اللوحة الحجر - في أن تتوحد المملكتان تحت تاج حورس ، وكانت هي البقعة التي يمكن أن تقوم فيها قاعدة للديار المصرية .

وقد كشفت حفريات جامعة القاهرة عن حضارة مصرية قديمة سبقت عصر الأسرات في المنطقة التي تمتد من حلوان حتى المعادي في الوقت الحاضر ، وكأنما أراد الله لتلك البقعة من أرض مصر أن يكون لها في تاريخها ما ليس لأي بقعة أخرى من بقاعها ، ففيها كشفت حفريات جامعة القاهرة عن حضارة مصرية قديمة سبقت عصر الأسرات ترجع خلفاتها في حلوان إلى العصر النيوليتي أو العصر الحجري الحديث ، ثم انتقلت إلى الشمال منها في المعادي الحالية حضارة أكثر تقدماً ، حتى قيل إنها كانت عاصمة مصر حين حققت وحدتها الأولى في عصر ما قبل الأسرات<sup>(١)</sup> ، فلما كان عصر الأسرات كانت (منف) المواجهة لها على الضفة الغربية للنيل عاصمة القطرين أو مصر الموحدة ، ولما أصبحت (طيبة) حاضرة الدولة الحديثة بقيت (منف) قاعدة الجند ومرقاً الأسطول ، ولم تفقد حظوتها في العصر الروماني ، وإن أدير عنها السلطان ونأى عنها الحكم ، وغدا حصن بابليون مقر



بزنطة حاضرة الروم وعاصمة الإمبراطورية .

فلما نزل عمرو على رأي الخليفة لم يجد خيراً من المكان الذي نزل عليه بجنده وضرب فيه فسطاطه . فعلى الجانب الآخر من النيل قبل هذا المكان وعلى بضعة أميال إلى الجنوب . كانت ( منف ) حاضرة مصر القديمة . وملتقى الشمال والجنوب من أرض الوادي . فإذا قامت ( منف ) عبر النيل للقادم من الشرق ففي النيل وقاء لها من غارات بدو الصحراء أو الشعوب الآسيوية . أما وقد أصبح الشرق كله من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق ملكاً للعرب . فإن عاصمة للحكم العربي في مصر مما لا يصح أن يقوم دونها ما يعوق اتصالها بحاضرة الدولة الكبرى في الحجاز . وما يوجب أن تقوم وسطاً بين البلاد تشرف على جنوب الوادي كما تطل على شماله .

وكان أن احتط عمرو الفسطاط أول حواضر مصر الإسلامية لتصبح من بعد النواة الأصلية للمدينة الكبرى القاهرة التي يغلب عليها حتى عند أهلها اسم مصر . وهو ما يسمى به الفسطاط أحياناً وما زال - كما قلنا - يحمل اسم مصر . فالقاهرة التي تقوم اليوم هي في الواقع من إنشاء عمرو بن العاص ولم ينشئ من جاءوا بعده غير أحياء أضيفت إليها كما تضاف إليها الآن أحياء جديدة . وكما أضيف إليها خلال القرن الماضي من الأحياء ما كان من قبل خلاء أو صحارى . أو بركاً . فالفسطاط هي بحق أصل القاهرة الحالية<sup>(١)</sup> .

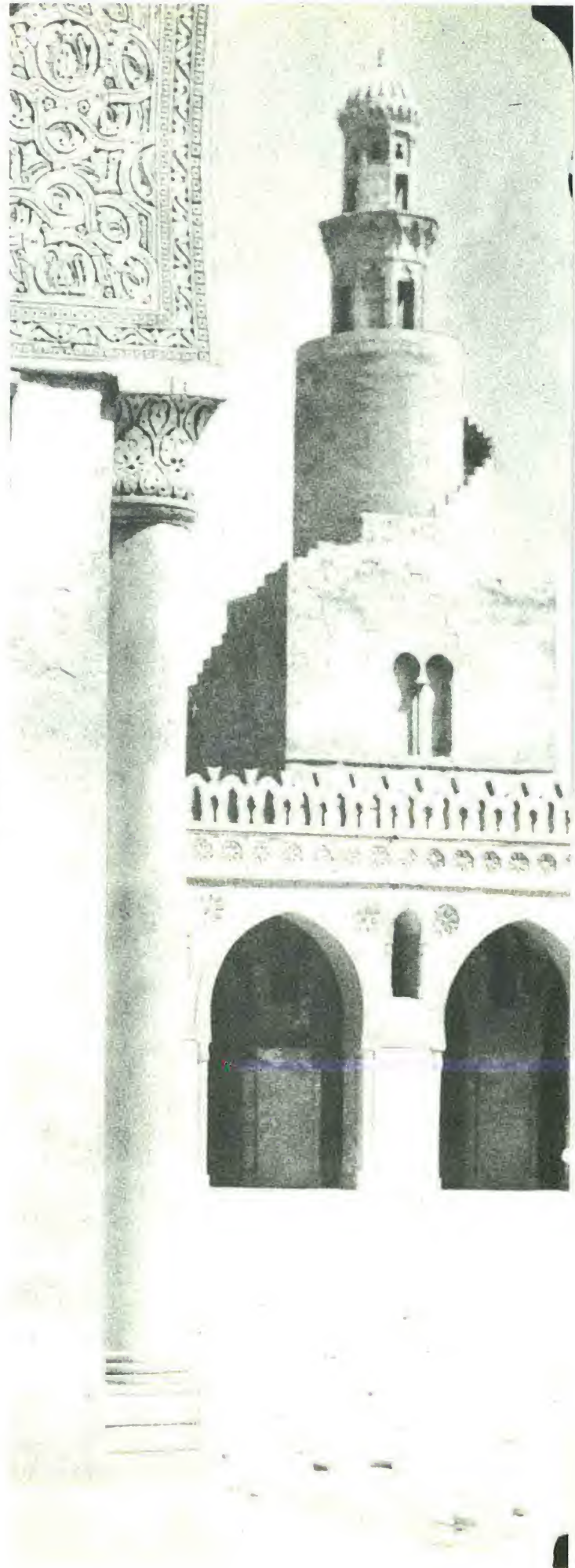
وإذا كان مقالنا قاصراً على الفسطاط فيوصفها البداية التي بقيت قائمة حاضرة من حواضر الإسلام الكبرى . وهي أكبر الحواضر التي أنشأها المسلمون العرب . وهي القاهرة . أو مصر كما يجري بها اللسان .

وقد أنشأ العرب في فتوحهم عدداً من المدن الجديدة . فأنشأوا مدينة البصرة ( ١١٤ هـ - ٦٣٥ م ) . والكوفة ( ١٦ هـ - ٦٣٧ م ) . والقيروان ( ٥١ هـ - ٦٧٠ م ) . وهو تقليد جروا عليه إبان فتوحهم الأولى وفي كل مكان جديد كانوا ينزلون به أو تكون لهم فيه دولة جديدة . فكانت بغداد كما كانت القاهرة حواضر جديدة لدول جديدة . وعلى ما جرى عليه العرب في بناء المدن الجديدة بدأ عمرو بناء المسجد العتيق أو جامع عمرو . حيث كانت رايته وحيث قام فسطاطه وإلى حواره بئى داره وولي على الخطط أربعة من المسلمين يختطون للقبائل مقامها : هم معاوية بن حديج النجيبى وشريك بن سمي الغطيفي . وعمرو بن قعزم الخولاني . وجبريل بن ناسره المعافوري . ونسبت الخطط الجديدة إلى أصحابها وسببت بأسمائهم . فقبل خطة نجيب وخطة مهرة وخطة لحم . كما كانت هناك خطة الفارسيين . وكانوا من جند ( باذان ) عامل كسرى على اليمن . كما كان بنو الأزرق . وبنو يشكر . وإلهم ينسب جبل يشكر الذي بني عليه مسجد أحمد بن طولون فيما بعد . ومن أكبر الخطط وأوسعها كانت خطة أهل الراية وكانوا خليطاً من القرشيين وأهل المدينة وقبائل أخرى لم تكن أعدادهم تكفي لأن يتفردوا بخطة أو راية . وكان عمرو قد جعل لهم راية من غير نسبة فعرفوا بأهل الراية . وكانوا نواة الجيش تتحلق حوهم كل القبائل براياتها<sup>(٢)</sup> وإلهم كان ينسب مسجد عمرو فيقال أحياناً مسجد أهل الراية .

ونسب البلاذري تخطيط الفسطاط إلى الزبير بن العوام الذي اتخذ له داراً فيها . كما يقول إن تأسيسها كان بعد فتح حصن بابلين . إلا أن أكثر المؤرخين يقولون إنه كان بعد فتح الإسكندرية وهو الأرجح .

ويحدد المقرئزي موقعها فيقول :

« اعلم أن موقع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر . كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم . ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع والمعلقة . ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصر ملوك الروم عند مسيره من الإسكندرية . ويقع فيها ما يشاء ثم يعود إلى دار الإمارة » .







★ جامع عمرو بن العاص من الداخل ★

فتوفر الأمن والمتعة لحصن بابليون ، وتحمي جانبه الغربي المطل على النهر ، ويقال إن العرب قاموا بغزوها أثناء حصارهم للحصن ، ولكنها رواية ينقصها السند ، وبعد خروج الروم من مصر هدم عمرو بعض أسوارها وحصونها ، وبقيت عاطلة حتى اتخذها أحمد بن طولون مقراً لخزائنه وبني لنفسه قصراً بها ( ٨٧٦م ) ، واحتلت مكانة مرموقة كدار للصناعة وأقيم مقياس النيل في الطرف الجنوبي منها ( ٧١٦م ) ، ما زال قائماً بدل المقياس القديم في حصن بابليون .

### جامع عمرو

كان أول ما أقام عمرو من الفسطاط جامع العتيق ، وعرب بمسجد أهل الرواية ، وجامع الجوامع ، والجامع العتيق ، وجامع عمرو ، وهو الاسم الذي بقي له حتى يومنا هذا ، حيث تقام الصلاة جامعة يوم الجمعة يحضرها كبار رجال الدولة ، ويقال إن أرضه كانت ملكاً لعبد الرحمن قيسيه بن كلثوم حل بها قبل بناء الجامع وكانت ذات أشجار وكروم ، وقد نزل عنها لبناء المسجد صدقة للمسلمين ، وكان المسجد في البداية بناء متواضعاً -خسوف ذراعاً- وتركت الأرض أمامه فضاء ، ومد الطريق حوله ، وجعلت له ستة أبواب ، في كل جانب من جوانبه بابان عدا جدار القبلة ، ومنها بابان يواجهان دار عمرو في الجانب الشرقي منه ، وكانت تمتد بطول المسجد من الجنوب إلى الشمال وبينها وبينه طريق عرضه سبعة أذرع ، واشترك في تحرير قبلته ثمانون من الصحابة ، وقيل ثمانية منهم الزبير بن العوام والمقداد

وكان النيل يومها يجري إلى جانبها ، فكانت أسوار حصن بابليون الغربية تطل عليه مباشرة لا يفصلها عن مجراه فاصل ، فكانت السفن -كما يقول المقرئ- تصل إلى بابه الغربي وهو الباب الذي كان يعرف باسم الباب الحديدي ، فلما قامت الفسطاط كان النيل مجدها غرباً ، ويجري إلى جوارها تماماً ، ويستمر في سيره حتى الموقع الذي يقوم عليه مسجد السيدة زينب الحالي . ثم انحسر عنها إلى مجراه الحالي غرباً حوالي خمسمائة متر هي التي تقوم الآن بين كورنيش النيل وخط حديد حلوان وعلت الأرض فضمت أسوار الحصن كما طمس كثير من آثار الفسطاط القديمة حتى بدأ الكشف عنها أخيراً .

وكان امتداد خطتها من الجنوب إلى الشمال حوالي خمسة كيلومترات فيما بين حصن بابليون وجبل يشكر الذي أقيم عليه مسجد ابن طولون فيما بعد ، ومن الشرق إلى الغرب حوالي كيلومتراً واحداً ، من موقع عين الصيرة الحالي حتى مجرى النهر القديم .

ولما كانت هذه المساحة أكثر سعة من حاجة الجند العربي إليها فقد قيل إن الخطط كانت فسحة ومتباعدة بعضها عن بعض ، وإن كان من المرجح أنها وسعت هذه المساحة حتى تستوعب للقاطنين الجدد من غير العرب ممن نزحوا إليها بقصد التجارة أو إقامة الصناعات التي تحتاجها المدينة الجديدة ، كما قيل إنها كانت تضم عدداً من الكنائس والأديرة التي أقيمت من قبل ، وإن استبعد المتأخرون إقامة كنائس في مناطق خالية من السكان .

وفي مواجهة الفسطاط كانت جزيرة الروضة تنوسط النهر ، وتمسك بزمامه





☆ .. والجامع من الخارج ☆

### خليج أمير المؤمنين

وفي الفسطاط كانت فرصة خليج أمير المؤمنين الذي يربط النيل بالبحر الأحمر، وهو القناة القديمة التي حفرها الفرعون نحاو، ثم طمست وأعاد حفرها بطليموس الثاني، لكنه فصلها من النيل عند فاقوس، وكانت تنفصل عنه من قبل عند بويستة، أو تل بسطة، كما يعرب الآن بجوار مدينة الزقازيق، ثم طمست مرة أخرى بعد أن أهمل الرومان أمرها حتى أعاد حفرها الإمبراطور تراجان وسميت قناة تراجان، وعدت عليها العوادي من جديد حتى أصبحت بعد القرن الثاني للميلاد غير صالحة للملاحة، ثم اختفت آثارها حتى احتاج عمرو بن العاص إلى من بدله على موضعها، ودله قبطني إليه فأجازه برفع الجزية عنه<sup>(١٠)</sup>، وتم حفر الخليج في أقل من عام بادئاً من فرضته إلى الشمال من حصن بابليون حتى بلبس، فإذا جاوزها انحرف شرقاً إلى بحيرة التماسح شاقاً مجراه خلالها ليخرج منها جنوباً إلى البحيرات المرة، فالبحر الأحمر عند السويس، وبقي الخليج قائماً حتى ردم في أواخر القرن التاسع وامتد مكانه شارع عرف بشارع الخليج المصري ثم غير اسمه إلى شارع بور سعيد حالياً.

وقد فكر عمرو أن يصل به إلى البحر الأبيض فيفصل بين البحرين، كما كان من قبل على عهد نحاو وبطليموس الثاني، لكن الخليفة عمر نهاه عنه حتى لا يكون معبراً لاسطول الروم إذا ما فكروا في غزو مصر، ولم يكن للعرب حتى ذلك الوقت خبرة بالبحر أو الملاحة ولم يكن لهم أسطول.

ابن الأسود وعبد بن الصامت، لكن القبلية جاءت منحرفة كثيراً نحو الشرق، بغير ما هي عليه اليوم، وكان يحددها عمد قائمة بصدر الجدار، واتخذ عمرو فيه منبراً يخطب عليه فلما علم عمر أمره كتب إليه يقول: «أما بعد فإنه قد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أما حسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك، فعزمت عليك إلا ما كسرت» فكسره عمرو وأزاله<sup>(١١)</sup>. وخطب عمرو أول خطبة للجمعة أوردتها ابن عبد الحكم<sup>(١٢)</sup> في تاريخه.

وتقلبت الدنيا على تاج الجوامع، أو جامع عمرو كما تقلبت على أمة الإسلام قوة وضعفاً، لكنه بقي قائماً بقاء الإسلام في العالمين، فلم ينله ما نال الفسطاط من إحن الدهر وخول الذكر، فحين ولي مسلمة ابن مخلد أمر مصر مده وزاد في بناؤه وفرشه بالحصر بدل الحصباء، وجعل له منائر نقش عليها اسمه، وبني في كل ركن من أركانه صومعة، وزاد في عدد مؤذنيه وأمرهم أن يؤذّنوا للفجر إذا مضى نصف الليل، وفي ولاية عبد العزيز بن مروان هدم بعض أجزائه وأعاد بناءها، وفي خلافة الوليد بن عبد الملك أمر واليه قرة بن شريك أن يهدم المسجد ويعيد بشاءه من جديد، وتم بشاءه على الصورة التي أصبح عليها، مع بعض الزيادات التي زيدت عليه من بعد وطلبت جدرانها بالفسيفساء، فلما جاء الحاكم بأمر الله نزع الفسيفساء وطلاه بالجير الأبيض، وبقي جامع عمرو، أو تاج الجوامع، علماً على تاريخ مصر الإسلامية حتى وقتنا هذا.



يبتعد عنها غرباً أحاطت به الدور من كل جهاته الأربع ، وأخذت المسافة تتسع فيما بينه وبين النيل لترحف عليها الدور من بعد .

وقد بنيت الدور من اللبن كأكثر الدور في مصر ، إلا أن بعضها قد بني بالحجارة ، وقد كشفت الحفائر التي أجريت عند مسجد أبي السعود الجارحي حديثاً عن آثار دور من اللبن ترجع إلى عصر مبكر ، وكان من أعظم مبانيها دار الإمارة التي بناها عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكانت تطل على النيل ، وقد علتها قبة ذهبية وإزدانت بزخارف عديدة ، ويرى الدكتور عبد الرحمن زكي أنها « أول بناية إسلامية كبيرة في مصر وصل إلينا نبأ زخرفتها »<sup>(١٣)</sup> .

وبقيت القسطنطينية مقر الحكم طوال مائة وثلاثة عشر عاماً وسبعة أشهر ، أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة حين وليها القائد عمرو ، وكان آخر أمرائها صالح بن علي بن عبد الله من قبل أمير المؤمنين أبي العباس بن محمد السفاح ، ومن بعده سكن أمراء مصر العسكر وكان أولهم أبو عون عبد الملك ، وكانت تزداد على الأيام سعة وعمراً حتى « فاقت البصرة والكوفة وكانت في زمن من الأزمان ثلث مساحة بغداد على غاية العبارة والسطية واللذة ، ذات رحاب فيها أسواق عظام ومتاجر فخام ولها ظاهر أتيق ، وساتين نضرة ومنزهات خضرة » كما يقول أبي حوقل صاحب « المسالك والممالك » .

ويروي القضاعي الفقيه والمؤرخ وأحد كتّاب بلاط المنتصر بالله الفاطمي في كتابه المختار في الخطط والآثار : « إنه كان بالقسطنطينية ٣٦٠٠ مسجد ، و ٨٠٠٠ شارع مسلوكة ، و ١١٧٠٠ حمام » ، وقد يكون في هذا البيان كثير من المبالغة ، إلا أنه دليل على ما بلغته القسطنطينية من السعة وال عمران .

وفي سنة ٥٤ هـ ( ٦٧٤ م ) امتد بينها وبين جزيرة الروضة جسر من المراكب ، وكانت الروضة قد أصبحت مقراً لصناعة السفن وأصبحت تدعى بجزيرة الصناعة حتى غلب عليها اسم الروضة فيما بعد ، وفي سنة ٦٩ هـ ( ٦٨٨ م ) بنيت قنطرة السد ( حيث كنيسة مارمينيا ) وكانت تفتح عند وفاء النيل في حفل كبير .

### القسطنطينية حاضرة الحكم

استقام الأمر لعمرو بن العاص في ولاية مصر ، وأقام بفسطاطه يدير أمورها وأعاد البطريق بنيامين إلى رياسته الدينية ، وكان قد اعتصم من اضطهاد الروم بالصحرَاء فلما كتب عمرو الأمان لقط مصر خص فيه بنيامين بقوله :

« فليأت البطريق الشيخ آمناً على نفسه وعلى القبط الذين بأرض مصر ، والذين في سواها لا يئامهم أذى ولا تخفر لهم ذمة » .

ورجع البطريق بنيامين إلى مقر كرازته بالإسكندرية وهو يلجج بالثناء على عمرو بعد أن لقيه وأعجب كل من الرجلين بالآخر ، وأخذ يقول لأتباعه :

« عدت إلى بلدي الإسكندرية فوجدت بها أمناً من الخوف واطمئناً بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » . ومنذ ذلك الوقت عاش أقباط مصر ومسلموها في رباط لا تنقسم عراه .

ولا تدري ما دار بخلد عمرو بن العاص حين ابتنى داراً بالقسطنطينية للخليفة عمر ، وكتب إليه يقول : « إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع » . وأجابه عمر : « أنى لرجل بالحجاز أن تكون له دار بمصر » وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين فكان له ما أمر ، وأسرع العمران إلى القسطنطينية واتسعت رقعتها وشدت إليها الأنظار من كل أنحاء الوادي ، فنزع إليها كبار المصريين من منف ومن الإسكندرية ، وكما أدبيل من القسطنطينية إلى القاهرة بعد أن غدت مقر الحكم ، فقد أدبيل من الإسكندرية ومن منف إلى القسطنطينية ، بل إن منف غدت من بعد أثراً غداً أقل وذكر لماض ذوى .

ومهما قيل في الأسباب التي حملت عمرو على فتح مصر ، فبأنه رأى في امتلاك المسلمين لها ما يمكن الإسلام من الامتداد إلى بلاد يرى الامتداد إليها الخير كل الخير للإسلام والدعوة الإسلامية ، ولعله علم من وهن مركز الرومان وكرامية المصريين لهم ما يسير له أمر الفتح ، ويمضي به قدماً إلى انتزاع أملاك الرومان في إفريقية فقد مضى بجنده بعد أن دانت له مصر نحو الشمال الإفريقي وكان الطريق إليها يمضي في أرض خصبة كما يقول ابن دقاق<sup>(١٤)</sup> ، فاستولى على برقة وطرابلس وكتب إلى الخليفة يستأذنه في السير إلى تونس وما وراءها من شمال إفريقية ، فلما يأذن له فعاد إلى برقة حيث دانت له قبائلها بالطاعة وصالح أهلها على ما يصلح به المسلمون البلاد المفتوحة ويقول ياقوت إن أكثر أهل برقة دخلوا في الإسلام<sup>(١٥)</sup> .

وأحب عمرو مصر فلم يرض بولايته عنها بسديلاً ، ووضع الأساس الذي أصبحت عليه مصر الإسلامية فيما بعد ، ولم يتأت لوال من ولاية المسلمين أن يقوم والياً على البلد الذي فتحه غير عمرو ، وكانت القسطنطينية حاضرتة ، وجامع الجوامع مسجده ، وخليج أمير المؤمنين مأثرتة ، وفي مصر كان مقامه حتى توفي بها ودفن في أرضها .

كانت دور القسطنطينية تحف بمسجد عمرو من جهاته الثلاث ، أما الجهة الرابعة وهي الجهة الغربية للمسجد فكانت تطل على النيل مباشرة - كما قلنا - فلما بدأ النيل



وأصاب الفسطاط بعض الدمار خلال مطاردة العباسيين للخليفة الأموي مروان بن محمد سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م)، فخرّب الجانب الشمالي منها مما يلي جبل يشكر تماماً وخلّاه من العمار.

فلما دانت البلاد للعباسيين رأى الأمير أبو عون، ثاني ولاتهم على مصر، إنشاء معسكر لجنده في الجانب الشمالي من الفسطاط وكان قد غدا خلاء قسراً (١٣٥ هـ - ٧٥٢ م)، وبني داراً للإمارة غدت مقر الولاة العباسيين، وعرف المكان بالمعسكر، وبقي قاصراً على ولاية العباسيين وأجنادهم حتى عام ٢٠٠ هـ (٨١٦ م)، حين سمح السري بن الحكم للناس بالبناء حولها فامتد إليها العمران حتى أصبحت هي والفسطاط مدينة واحدة، وظلت المعسكر مقر الإدارة والحكم حتى اختط أحمد ابن طولون إلى الشمال منها مدينة جديدة عام ٢٥٦ هـ (٨٦٨ م) أقطعها جنده واتخذها مقاماً ومقرّاً لإدارته، وشيد قصرًا لسكنه فيما بين قلعة الجبل ومسجد السيدة نفيسة الآن، ثم بنى مسجده فوق جبل يشكر، وترك ما بين المسجد والقصر ميداناً واسعاً، ولم يبق من آثار هذه الأحياء الثلاثة التي تكونت منها عاصمة مصر الإسلامية غير مسجد عمرو، وقد تغير كثيراً عما كان عليه عند بنيائه، ومسجد أحمد بن طولون الذي بقي على حاله فيما عدا المئذنة التي بناها السلطان لاجين عام ٦٩٦ هـ (١١٩٦ م).

كما بنى أحمد بن طولون قناطر لثمياه في الجانب الشرقي من القطائع لا تزال بعض عقودها قائمة باليساتين الخالية، كما أنشأ حمارويه حديقة للحيوان جلب إليها السباع والتمور والزراف والفيلة وأصناف الطيور وغيرها<sup>(١٤)</sup>.

وبعد سقوط الدولة الطولونية عاد ولاية العباسيين إلى سكنى الفسطاط حتى كان بناء الفاطميين للقاهرة في الشمال الشرقي للفسطاط عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)، فأصبحت عاصمة الديار المصرية يغلب عليها اسم مصر في الحديث، وإن غلب اسم القاهرة في المكاتبات وبقي اسم الفسطاط أو مصر كما كانت تعرف أضيفت إليها صفة القديمة فغدت تعرف باسم مصر القديمة تمييزاً لها عن غيرها من أبنية القاهرة فهي أصلها جميعاً، وكانت كلها امتداداً لها شأنها على مدى الزمن حتى وقتنا هذا

فقد كان امتداد حاضرة مصر نحو الشمال دائماً، وكان أقدمها ما هو في الجنوب وأحدثها ما هو في الشمال فحيث تقع مصر القديمة في الجنوب تقع مصر الجديدة الآن في أقصى الشمال.

ويقال إن تأسيس القاهرة لم يكن له أثر على الفسطاط ولم يقلل من شأنها بل ازداد عمرانها فأنشئت به «الدور الأنيقة والمساجد القائمة والحيات الباهية والقباسر الزاهية والمتزهات الرائقة»، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار وقصدوه من جميع الجهات وغص بسكانه وضاق فضاؤه الرحيب عن قطانه<sup>(١٥)</sup>.

وظلت المدينة الأهلة ومقر الصناعات وأمنه ومستودع التجارة وملئى التجار وأصحاب الأعمال، «ولم يزل الفسطاط زاهي البنيان نامي السكان إلى أن كانت دولة الفاطميين وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص، وأخذ سكانه في الانتقال إلى القاهرة وما حولها، فخلا من أكثر سكانه وتباع الخراب في بنيانه إلى أن بلغ القرن على أطراف الديار في أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين<sup>(١٦)</sup>، فحين غزا عموري ملك بيت المقدس الديار المصرية عام ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م)، وخاف (شاور) وزير العاضد أن تقع في يد الصليبيين أمر باخلائها، «وأزعج الناس في النقلة فتركوا أمواهم وأثاقهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم، وبعث (شاور) إلى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار، فرق ذلك فيها وارتفع هيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظراً مهولاً، واستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر تمام أربعة وخمسين يوماً، كل ذلك والنهاية يتقنون في المنازل في طلب الجنايا، ومن ثم تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن بكمان مصر<sup>(١٧)</sup>».

وغدت عاصمة مصر الإسلامية الأولى ومينأؤها النهري خراباً يباباً، فنهات معالمها حتى بدأ العالم الأثري علي بك بهجت في الكشف عنها في بداية العقد الثاني من هذا القرن، ولم يكن قائماً من بقاياها غير جامع عمرو وأبراج قصر الشمع أو حصن بابليون القديم، ويقول بلنت إنه

★ شرفات سطح جامع ابن طولون، ويبدو بخلفه - من بعد - جامع محمد علي (القلعة) ★





بقي قائماً حتى أوائل القرن العشرين ، لكنه خرب تحريباً يروى له منذ احتلال الإنجليز لمصر ، وحتى تدخلت الحكومة أخيراً وبسطت حمايتها على ما بقي منه ، ولكن ما أقل ما قد بقي منه <sup>(١٨)</sup> .

وحين زارها ابن سعيد المغربي ، في القرن السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي ) ، كانت قد حالت وتغيرت الدنيا عليها فقال في وصفها :

« ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة ، وتأملت أسواراً مثلمة سوداء ، وأفافاً مغيرة ، ودخلت من بابها وهو دون غلق ، مفض إلى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والخيخيل طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس التنظيف ويغض طرف الطريف ... إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع فعانيت من ضيق الأسواق التي حوله ، ما ذكرت به ضده في جامع إشبيلية وجامع مراكش ، ثم دخلت إليه فعانيت جامعاً كبيراً ، قديم البناء ، غير مزخرف ، ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه ، وأبصرت العامة رجالاً ونساء قد جعلوه معبراً بأوطئة أقدامهم ، يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك ، وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في أمكنة عديدة غير محتشمين لجري العادة عندهم ، بذلك ، وعدة صبيان بأواني ماء بطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقاً ، وفضلات ما كلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه ، والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف ، والأركان والحيطان ، والصبيان يلعبون في صحنه ، وحيطاته مكتوبة بالفحم والخمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة ، إلا أن مع هذا كله ، على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانسباط النفس ما لا تحده في جامع إشبيلية مع زخرفته ، والبستان الذي في صحنه قد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أنه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحته عند بنائه » .

وهكذا حالت الفسطاط وبقي جامع عمرو وما زال باقياً بقاء الإسلام ، وعظيم إن ذهبت المدينة أن يبقى المسجد .

ويصف الجهرقي ما صار إليه جامع عمرو في القرن الثالث عشر الهجري ، إلا أن الحياة عادت إلى الفسطاط مرة أخرى حين امتد إليها العمران وأخذ الناس يبنون خارج سور القاهرة شمالاً وجنوباً حتى رأى صلاح الدين أن يبني حولها سوراً جديداً يضم القاهرة ومصر (أي الفسطاط) والقلعة معاً .

وقد اختفت الفسطاط القديمة - كما قلنا - ولم يبق منها غير جامع عمرو بن العاص على حاله الجديد ، وبقياً من قصر الشمع ، وإن كانت أعمال التنقيب ما زالت تكشف في أطلالها كل يوم عن آثار جديدة .

ولكن العمران قد زحف عليها وحلت مكان القديم أحياء جديدة تمتد ما بين فم الخليج إلى دار السلام التي تكاد تنصل بالمعادي ومن كورنيش النيل غرباً حتى القلعة والطريق الذي يصل بين مصر القديمة ومصر الجديدة شرقاً ، ولا تختلف مبانيها عن غيرها من أبنية الأحياء الشعبية القديمة في القاهرة .

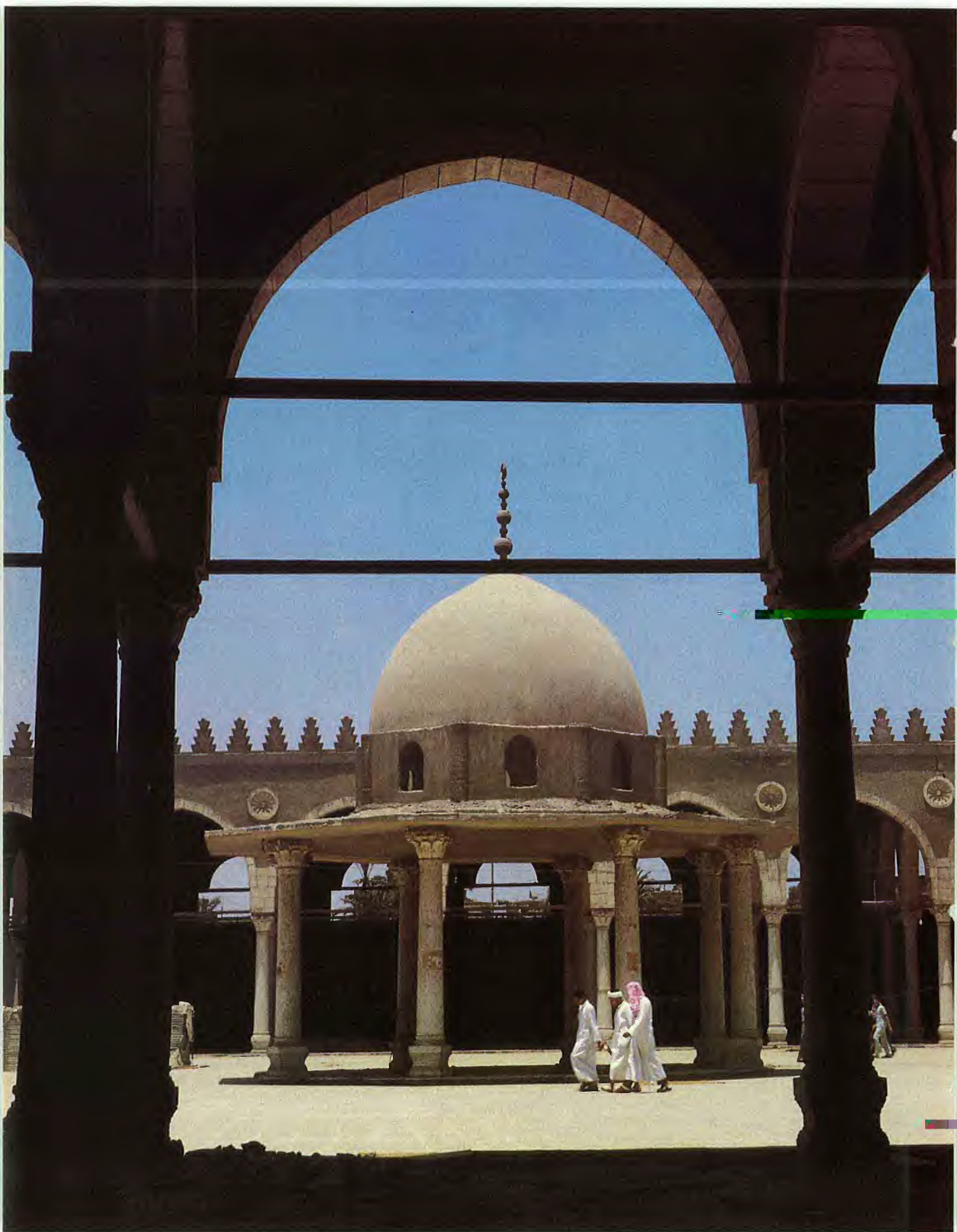
- (١) الموسوعة المصرية : تاريخ مصر القديمة وآثارها ، م ١ ص ٢٣ .
- (٢) فتح العرب لمصر ، لبشر وترجمة فريد أبو حديد ، ص ١٨١ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .
- (٤) بشر : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- (٥) د . هيك ، الفاروق عمر ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .
- (٦) القاهرة : تاريخها ، فنونها ، آثارها : تأليف مشترك ، اصدار مؤسسة الأهرام .
- (٧) د . هيك : المرجع السابق ، ص ١٧١ .
- (٨) د . هيك ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ - بشر : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .
- (٩) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها .
- (١٠) بلنت : المرجع السابق ص ٢٥٥ - د . هيك : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، انظر أيضاً الكندي وابن عبد الحكم والبلادري .
- (١١) ابن دقاق ، إبراهيم بن محمد المصري : (الانتصار بواسطة عقد الأمصار) .
- (١٢) ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي : (معجم البلدان) .
- (١٣) د . عبد الرحمن زكي : القاهرة ، تاريخها وآثارها .
- (١٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٥٩ - ٥٣ .
- (١٥) الفلقشندي ، شهاب الدين أحمد : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .
- (١٦) المرجع السابق .
- (١٧) المقرئ : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .
- (١٨) بلنت : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

★ جامع ابن طولون من الداخل ★

★ مكان الوضوء في صحن جامع ابن طولون ★

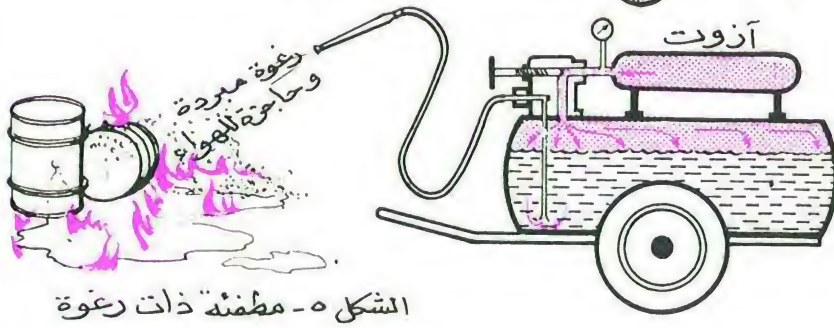
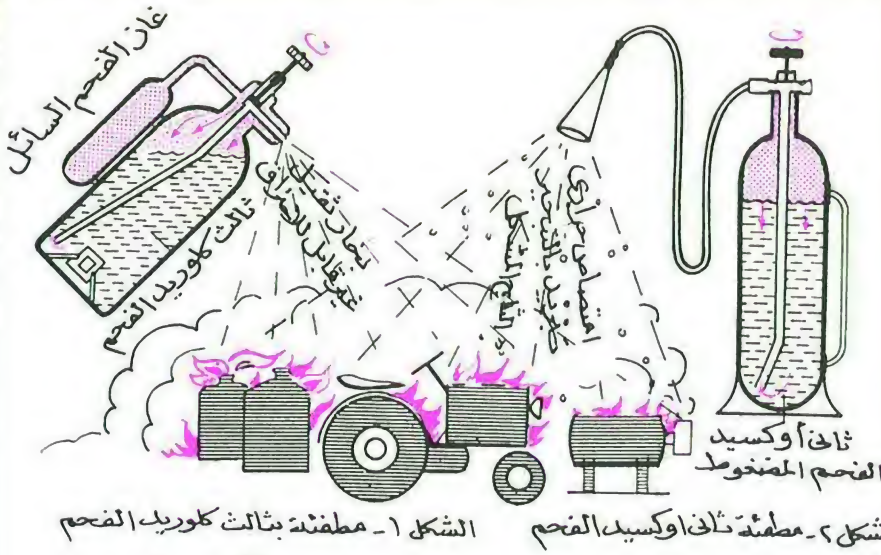








# مطافئ الحريق



الهواء . هذا التفاعل الذي ينتج بدوره حرارة أكبر تسبب في تحلل المزيد من المادة وتنتج غازات أكثر من السابق . وترتفع درجة الحرارة حتى يبدأ الفحم الموجود في المادة - والذي لا تؤثر فيه الحرارة في البداية - في الاشتعال منتجاً كمية كبيرة من الحرارة . وهذه الحرارة المنطلقة تؤدي إلى استمرار عملية الاحتراق حتى انتهاء المادة القابلة للاحتراق كلها ، أو حتى يستهلك الأوكسجين اللازم للعملية .

تبدأ عملية الاحتراق عادة بتحلل المادة القابلة للاحتراق بسبب الاحتكاك أو الإشعاع الحراري أو التأكسد الكيميائي أو شرر النار المتطاير أو اللهب المكشوف . ويبدأ الإشتعال في أول الأمر في جزء صغير من المادة القابلة للاحتراق .

وينتج عن هذا التفاعل غازات تشتعل نظراً لتفاعلها السريع مع أوكسجين



لذلك فإن المواد التي تطفئ الحريق تعمل على تبريد سطح المادة المشتعلة أو تغلفها بطبقة من مادة غروية غير قابلة للاحتراق تمنع اتصالها بأوكسجين الهواء . ولكننا نجد أن بعض المواد تحتوي في تركيبها على الأوكسجين مما يتيح لعملية الاحتراق الاستمرار حتى لو كانت بمعزل عن الأوكسجين الموجود في الجو . من أجل ذلك تنوعت مواد الاطفاء وطرق مكافحة الحريق تبعاً لطبيعة المادة المشتعلة نفسها ، أي حسب كونها سائلة أو صلبة أو قابلة للامتزاج بالماء أو كانت أثقل أو أخف من المواد المكافحة للحريق .

ومطفئة الحريق التي تعمل بمادة ثالث كلوريد الفحم Carbon tetrachloride تحتوي - حسب حجمها - من نصف لتر إلى ستة لترات من هذه المادة الكيميائية (مع بعض المواد الأخرى) ، وتعمل بضخ المادة الكيميائية بواسطة غاز الفحم السائل الموجود داخل أسطوانتها (الشكل - ١) ، ويتبخر ثالث كلوريد الفحم تماماً في ٧٦,٥ مئوية منتجاً بخاراً كثيفاً غير قابل للاشتعال . وهذا النوع من المطفآت يناسب لاختاد النيران المشتعلة في الآلات والأدوات الكهربائية .

● والنوع الثاني من المطفآت يعمل بثاني أوكسيد الفحم (الشكل - ٢) ، وتحتوي المطفئة - حسب حجمها - من خمسة إلى ستة لترات من غاز ثاني أوكسيد الفحم المضغوط . وعندما نقوم بفتح الصمام فإن الغاز المضغوط يتمدد إلى حجمه الطبيعي في الضغط الجوي العادي . وتم هذه العملية داخل الخرطوم الثلجي Snow-tube حيث يتبخر القسم الأكبر منه بسرعة كبيرة ويؤدي هذا التبخر إلى امتصاص قدر كبير من الحرارة من الوسط المجاور له ، حتى أن ٣٠ ٪ منه يتحول - بسبب البرودة الشديدة الناتجة عن تبخره - إلى ما يسمى ثلج غاز الفحم ، ويتم ذلك عندما تبلغ الحرارة - ٧٩ درجة مئوية تحت الصفر . وهذا « الثلج » يرش على النار بفعل غاز ثاني أوكسيد الكربون المنطلق ويخفض درجة الحرارة إلى ما دون درجة الاشتعال ، وكذلك فإنه يبعد الأوكسجين الجوي عن المادة المشتعلة . ولذلك فإن هذا النوع يصلح لاطفاء كافة أنواع المواد المشتعلة .

● والنوع الثالث (الشكل - ٣) ، يعمل بواسطة الماء وثاني فحمات الصوديوم Sodium bicarbonate ويحتوي من ستة لترات إلى اثني عشر ليتراً من المحلول . وعندما تضرب بقوة على المسار المثبت في نهاية الأسطوانة فإنه يكسر قارورة صغيرة تحتوي على حامض الكبريت المركز Sulphuric Acid ، وبالتالي يتفاعل الحامض مع ثاني فحمات الصوديوم ، مطلقاً كمية كبيرة من غاز ثاني أوكسيد الفحم تضغط على الماء ضغطاً قوياً وتجعله ينطلق بقوة خارج المطفئة عن طريق فتحة الرش . وبما أن الماء يحتاج لحرارة كبيرة حتى يتبخر فإنه يمتص قدراً كبيراً من الحرارة وبالتالي يؤدي إلى تبريد قوي ، إضافة إلى أن أبخرة الماء تبعد الأوكسجين الجوي وهذا النوع ليس فعالاً - بل إنه خطر - في حرائق الكهرباء والحرائق الناتجة عن السوائل السريعة الالتهاب مثل مشتقات البترول .

● والنوع الرابع هو المطفئة التي تستخدم مركبات كيميائية جافة Dry chemicals (شكل - ٤) ، وتحتوي على كمية من مسحوق ثاني فحمات الصوديوم تتراوح من ٤ إلى ١٢ كيلوغراماً . ويضخ هذا المسحوق بقوة ضغط غاز الأزوت Nitrogen أو غاز ثاني أوكسيد الفحم المميع تحت ضغط شديد . وعندما يتلامس مسحوق ثاني فحمات الصوديوم مع النار أو أي جسم ساخن فإنه يطلق غاز ثاني أوكسيد الفحم وبخار الماء إضافة إلى تشكيله غلاًفاً يمنع وصول الهواء إلى النار وهكذا يخمد الحريق . واستخدام هذا النوع يعتمد على طبيعة الحريق ومكانه (في حالة الحرائق البسيطة والأضرار الثانوية) .

● والنوع الخامس هو النوع الكبير منها (الشكل - ٥) ، ويعمل بواسطة الرغوة Foam مع غاز الأزوت أو الهواء . والمركب الذي ينتج الرغوة يمكن أن يتألف من مواد بروتينية متحللة (مثل مسحوق قرون الحيوانات) . وتثبت الرغوة بأن يضاف إليها مواد لاصقة مثل اللدائن والبولة Plastics and urea . وتعمل الرغوة على حجز الهواء الجوي عن الحريق وعن طريق التبريد أيضاً . ويمكن استخدام هذا النوع في كافة أنواع الحرائق ، سواء أكان ذلك في حرائق الآلات أو الكهرباء .



# سلاح المدرعات

إلى الشباب  
السعودي المخلص

يدعوك... ويحقق لك المستقبل الزاهر

## مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج :

- ✓ يمنح راتب شهري بـ ١٠٠٠ ريال
- ✓ يمنح الرتبة والراتب والعلاقة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي
- ✓ إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
- ✓ تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
- ✓ العلاج المجاني له ولطنت يعولهم شرعاً .
- ✓ إتاحة الفرصة له للاستكمال دراسته الهندسية .
- ✓ أجهزة بنوية مع إكبابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الإجازة داخل المملكة .
- ✓ بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الاستقالة
- ✓ يصرف له المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .

## شروط ومزايا الالتحاق :

- ١- أن يكون سعودي الجنسية .
  - ٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
  - ٣- حامل شهادة أقل من لائحة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريال .
  - ٤- حامل شهادة لائحة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريال .
  - ٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريال .
  - ٦- حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريال .
  - ٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريال .
- مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .

## مميزات أثناء الدراسة :

- ٦ تأمين الإعاشة .
- ٦ تأمين السكن .
- ٦ تأمين الملبس العسكرية .
- ٦ تأمين العلاج للطالب وعائلته .
- ٦ مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريال .

بادرجة إجماع المنطقة العسكرية التي تسكن فيها...  
قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى  
ولزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون  
رقم ٥٨٢/٤٠٤٣٨٨٢ أو رقم  
٣٠٠٩٣ الرياض .





بمناسبة  
عام  
الطفل

# العلاقة بين الأم والطفل

بقلم: د. مصطفى الديواني

## النوم في غرفة الوالدين

من أشد الظواهر خطراً على نفسية الطفل هي ما نلاحظه في معظم البيئات العربية من ترك الأطفال الذين تبلغ أعمارهم ثلاث سنوات أو أكثر ينامون مع والديهم في نفس الغرفة بدافع الظن الخاطئ أنهم أصغر من أن يهتموا بعلاقة والديهم ، والواقع أن الطفل لا يدرك تماماً حقيقة العلاقة بين والديه ، ولكنه يشعر بذلك الاتصال الوثيق فيتمدد في فراشه مستيقظاً وينصت باهتمام إلى ما يجري وهو يتظاهر بالنوم رغبة في استطلاع ذلك الحبيب المجهول الذي يتمتع به والداه ، ويبقى حائراً قلقاً حتى يحين اليوم الذي يعرف فيه قيمة هذه العلاقة ، وقد يمضي وقت طويل جداً قبل أن يأتي ذلك اليوم ، فلماذا لا نوفر على المسكين كل هذا العذاب النفسي فنخصص له غرفة خاصة من أول الأمر .





## الطفل .. والأدوات الكهربائية

وقد تنسى الأم مهما بلغت درجة لياقتها غرام الطفل الأزلي بمداعبة الأدوات الكهربائية بالمنزل ، فيمسك الطفل الساذج بـ ( الكبس ) الكهربائي ببساطة دون أن يدرك أنه قد يكون في ذلك حتفه المؤكد ، وقد يصعقه التيار الكهربائي بينما يشاهده أخاه الأكبر عن كثب فيناديه ولا من مجيب وقد لا يدرك تماماً مغزى ما حدث فهو الآخر بريء لا يدري ما حدث .

وما أسهل ما يجذب الطفل نور المصابيح الكهربائية أو النور الأحمر المنبعث من المدفأة الكهربائية أو مدفأة البوتاجاز فيهرع نحوها ممسكاً إيها بفرح مؤقت سرعان ما ينقلب هماً وغماً على المسكين وعلى المساكين الذين حوله ، فالحرق شديد وعميق وقد تستغرق العناية الجراحية وقتاً طويلاً ، وقد يحتاج الأمر إلى عملية توقع دقيقة للجلد المنكسر وهي عملية لا يتقنها إلا طبيب جبهز متخصص . ويجب ألا ننسى في هذا

المجال «لمية» الغاز العادية الشائعة الاستعمال بين الطبقات الفقيرة فهي بدورها تجذب أنظار الأطفال الذين يعيشون على ضوئها في جوهم المنزلي المتواضع ، بل إن ضررها أشد فداحة من مجرد شواء الجلد ، فإن انقلابها على الأرض قد يسبب حريقاً قد يؤدي بالمنزل بأكمله أو يجزء منه على الأقل .

## الطفل .. والمواد السامة

وكيف ننسى في هذا المجال السموم الكامنة في حوائط المنزل مثل الأصباغ التي تستعمل في طلائها التي يغمز بعض الأطفال بالتهامها وفي صيدليته كالأدوية السامة التي يستعملها الكبار وتترك خطأ في متناول يد الطفل الصغير وبخاصة المسكنات والمهدئات . وتجب الإشارة إلى أن الطفل الذي يرتشف جرعات من سائل البوتاس الذي يستعمل في الغسيل فإنه متى لامس الغشاء المخاطي للنفم والخلق والمريء أحدث تقرحات ينتج بعد التئامها ضيق في مكان أو أكثر من المريء مما يؤدي إلى صعوبة في البلع أو انسداد يكاد يكون تاماً بحيث يعجز عن ابتلاع أي شيء غير السوائل الخفيفة .

ولقد لوحظ أن الأطفال في حدود السنة الأولى من عمرهم يميلون إلى التهام مبيدات الحشرات وطلاء الحيطان وسائل الكيروسين ، ولا بأس من الإشارة إلى ما قد يسببه الأخير من أضرار بالطفل قد تؤدي بحياته ، إذ سرعان ما تصل مادة الكيروسين إلى الدورة الدموية بعد امتصاصها من الأمعاء الدقيقة ويتخلص الجسم منها عن طريق الرئتين اللتين يصيبهما نوع من الارتشاح الحاد يكتم أنفاس الطفل وترتفع حرارته إلى الأربعين درجة أو أكثر وقد يحتاج إنقاذه إلى بذل مجهود كبير .

إذا تخيلنا طفلاً صغيراً تركه أهله يعبت وحيداً في غرفة فتحت نوافذها على مصراعيها ، فرأى قطنة الصغيرة وقد قفزت إلى أفريز الشرفة المطل على الشارع ، ثم أخذت تلعق شعرها بلسانها الدقيق ، فيبهره

## الأسئلة المخرجة

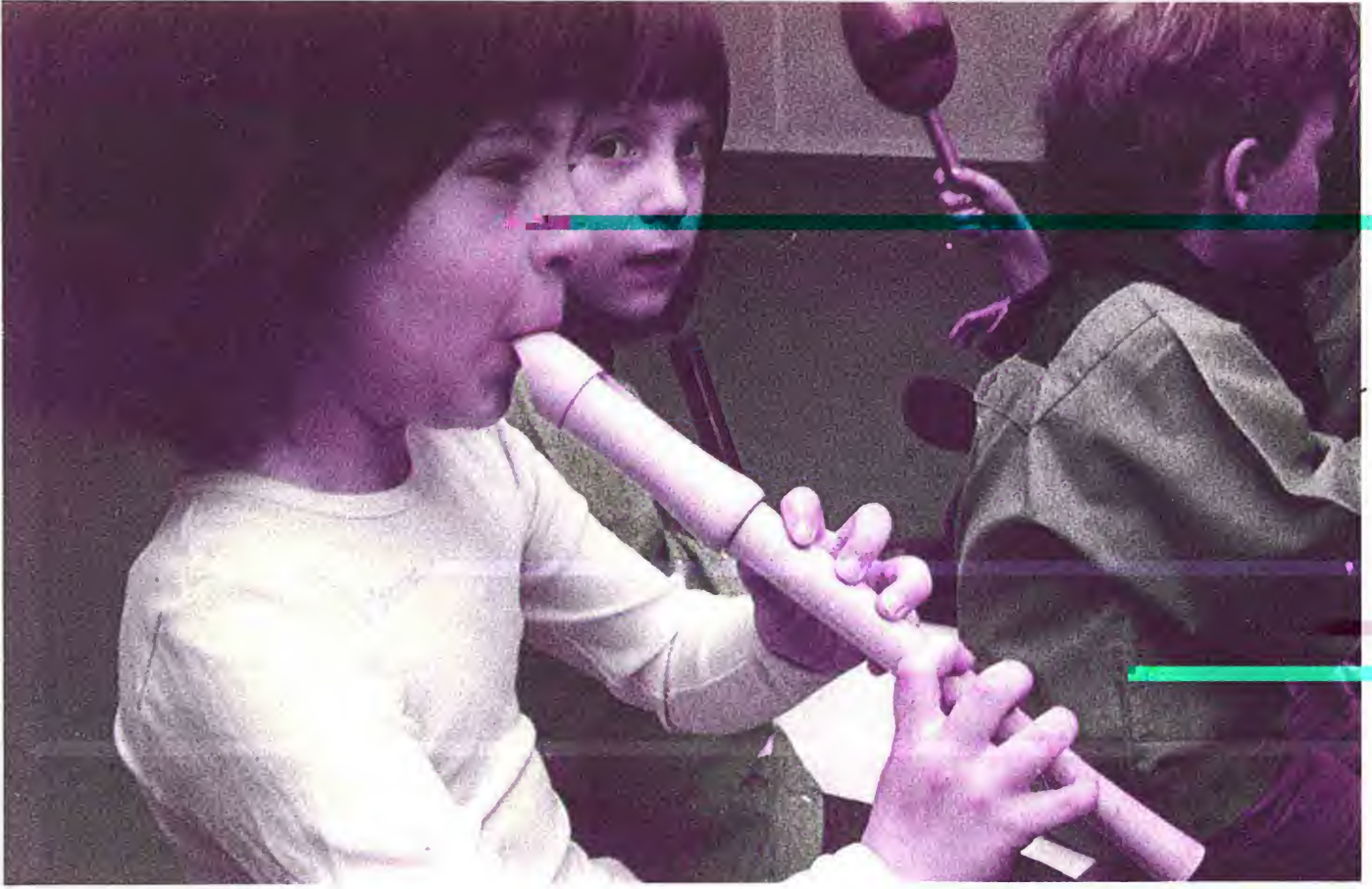
ولعل من أروع الصدمات التي قد يفاجئ بها والدته هي سؤاله إياها : كيف ولدت يا أمه! إن الأم في معظم الحالات تشيح بوجهها لكيلا يرى الطفل حمرة الخجل تغمر خديها ، وإذا فتح الله عليها ببعض الكلمات فهي في الغالب من قبيل المراوغة والتخلص . وما أشد خيبة أمه عندما يشعر أن أمه تكذب عليه إذا قالت له قولاً ملفقاً . إن خير طريقة لتقريب هذه المشكلة الكبرى إلى ذهنه هي ضرب الأمثلة ، بالطيور والحيوانات الأليفة ، فنقول له مثلاً : إن الطيور تضع بيضاً ثم تنام عليه في عشها لتدفئه حتى يفقس ، أما الحيوانات كالقطط والكلاب ، فإنها أكثر حرصاً على صغارها فتحفظها في مكان أكثر أماناً وهو بطنها حيث الدفء والحنان بحق .

وكذلك الحال معها فهي تحتفظ به في خبا أمين بين أحشائها مدة تسعة أشهر يصبح بعدها قادراً على الاستقلال بنفسه فتسمح له بالخروج ليحرب حظه في الحياة .

وماذا تفعل الأم إذا رأت طفلها يداعب (أعضائه) ؟ لئلا هذه الأم أقول : إن الطفل في هذه السن المبكرة لا يدري معنى اللذة ، وإن العادة تبدأ كمحاولة من جانب الطفل لشغل أوقات فراغه . فهناك طفل يمص أصابعه ، وآخر يقرض أظفاره ، وثالث يداعب أعضائه ، والغرض من كل منها واحد وهو قتل الوقت . فالعادة السرية لا تدل على شيء من أخلاق الطفل حاضراً أو مستقبلاً . والواقع أننا لا يمكننا تسميتها بالعادة السرية بحق إلا عند البلوغ وهي قبل ذلك لا تعدو أن تكون مجرد مداعبة يتسلل بها الطفل دون أن ينتهي به الأمر إلى حدوث رعشة عصبية يعقبها إفراز كالذي يحدث عن الولد اليافع أو مادة لزجة كالتى تفرزها الفتاة البالغة .

والطريقة الوحيدة لمساعدته على التخلص من ريقة هذه العادة هي ألا نترك له فراغاً دون أن نشغله بطريقة ما ، وإذا رأيناه يحاول مداعبة «أعضائه» فلا ننهره أو نضربه بل نطلب منه تأدية أي عمل بالمنزل أو نلفت نظره إلى صورة على الحائط أو ما شابه ذلك ، وبما حبذا لو شغلنا أوقات فراغه بأشياء أخرى ، كالألعاب الرياضية وجمع الكتب والصور المسلية وإذا ذهب إلى فراشه فلا نتركه وحده ، بل بجانبه نكلمه ونقص عليه أحسن القصص حتى يغلبه النوم .





### الطفل .. وحيوانات المنزل

وقد يدهش القارىء عندما يعرف أن بلاداً متمدنة مثل الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ عدد الإصابات الناتجة عن عض الفئران أربعة عشر ألف حالة سنوياً ، في حين أنه يبلغ عشرين ألفاً في بمومباي بالهند وأن هذا يأتي ضمن عشرين مليون إصابة منزلية تحدث كل عام في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، أدركت أن ابن آدم قد يأتي قضاؤه وقدره وهو جالس في عقر داره آمناً مطمئناً بحمد الله على الفقر أو اليسر مع السلامة .

وقد تدخل الأم الملتاعة عيادي وبرفتها ابنا البكر وغير البكر لتقول لي إن قطة خدشته أو كلباً عقره ، والطفل يعجب للفتها وهي التي تصرخ في وجهه طول النهار وجزء من الليل لأنفه الأسباب وتعتدي عليه تارة باللفظ وتارة بقبضة يدها القوية ، وسر هلعلها أنها تعلم ما لا يعلمه هو من أسرار الموقف ، فهناك احتمال تلوث الجرح والخدوش وهناك احتمال مرض الكلب الذي يؤدي إلى الوفاة ما لم يؤخذ بالجدية اللازمة وإلا تحول بعد أيام إلى إنسان غير قادر على الحركة ترعوه رؤية المياه نظراً للآلام الشديدة التي يتعرض لها عندما يحاول ابتلاعها نتيجة الشلل

منظرها ، ويهب إليها صاعداً على أقرب كرسي غير عابئ بالخطر الذي يحيق به ، وما لم تلحق به والدته في اللحظة الأخيرة ، لوقعت الكارثة الكبرى .

### الطفل في المطبخ

ومن أكثر الأحداث المنزلية بشاعة هي التي تطلب الأم فيها ابنها اليافع أو ابنتها البالغة أن تذهب إلى المطبخ وترفع غطاء الحلة أو الأبريق وهو على النار للتأكد إذا كانت محتوياته قد بلغت من الغليان مداه ، وسواء ذهبت الأم أو الابن أو الابنة لأداء المهمة ، فإن البخار الساخن المتفجر الحارق يهب في وجه الضحية على حين غرة ، فيحدث من تسليخات الوجه وتقرح العينين ما قد يستدعي علاجاً طويلاً فضلاً على كونه قد يؤدي إلى فقدان البصر .

ونفس التحذير أؤكد في حالة خروج الوالد مع عائلته في نزهة بالسيارة يلاحظ فجأة بأن مؤشر المياه ينذر بالغليان فيسرع بإيقاف الآلة (الموتور) وينزل دون روية ولا تعقل ممسكاً بمندبل أو فوطة ويزيل غطاء خزان المياه (الرادياتير) ، فيهب في وجهه نفس الصاروخ السابق ذكره مع ضحية آتية المطبخ ، مسبباً له نفس الأضرار ، وكان يجب عليه أن يترك الغطاء ببطء مبتعداً بوجهه إلى أبعد مدى حتى إذا تأكد من موقفه أزال الغطاء تدريجياً وببطء ويضيف الماء والآلة دائرة حتى يمتلئ الخزان ، ثم يحكم تركيب الغطاء وتستأنف السيارة سيرها على بركة الله .



الإنسان تتحول على مر الأعوام ، التي قد تصل إلى العشرين ، إلى أكياس يصل حجمها إلى حجم ثمرة « الجريب فروت » أو الليمونة وأكثر ما تصيب الكبد ولو أنها قد تتركز في المخ أو الرئة ، وأينا تكون فهي تحدث أضراراً بالغة نتيجة ضغطها المتزايد وبخاصة إذا حدثت داخل الجمجمة فإن أعراضها لا تختلف عن أورام المخ المختلفة الأخرى . وقد شاهدت خلال حياتي الطبية حالتين من النوع الأخير ذهب ضحيتها ولدان في عمر الزهور .

ولقد وجد أنه في أورجواي يتسبب في وفاة ستين شخصاً سنوياً وتجري لأجله ستمئة عملية جراحية لإزالته من أجزاء الجسم المختلفة .

### الطفل .. وطيور المنزل

ولنترك القطط والكلاب جانباً فقد نالها من اهتمامنا الكثير ، ولننتقل إلى الببغاء وهو ذلك الطائر الأليف الذي يبعث البهجة في جو المنزل بمداعباته التي لا تخلو من طرافة . لقد نسبوا إليه هو الآخر ما أسموه « حمى الببغاء » وهي التي وصفت لأول مرة في عام ١٩٢٩ م ، حين ظهر وباء أصيب خلاله سبعة وخمسون شخصاً مات منهم ١٤٣ نتيجة الالتهاب الرئوي الذي هو من أهم أعراض المرض ، ومن حسن الحظ أن جرثومته تستجيب بسرعة لعقار التتراسيكلين ، وقد أمكن ترويض هذه الجرثومة وحصرها بإعطاء جرعة وقائية من هذا العقار إلى بائعي الببغاوات والذين يقومون بتربيتها لأغراض تجارية . . ولا يقتصر مصدر العدوى على هذا المتهم المرح اللطيف ، إذ يشاركه فيها الحمام والدجاج والأوز وغيرها ، وتنتاب الطائر المصاب نوبة من الاسهال ، وما أسهل ما تنتشر ذرات البراز في الجو المحيط به عندما يرفرف الطير بجناحيه وكأنها مروحة كهربائية صوبت عن عمد نحو البراز السائل الذي سرعان ما يتبخر فيتشبع الجو بالفيروس المتريص ، وتصل العدوى إلى كل من في متناولها ، وتظهر الأعراض بعد مدة حضانة تتراوح بين سبعة وخمسة عشر يوماً ، حين يتأب المريض ارتفاع في الحرارة وصداع ووجع في الظهر وآلام في العضلات ورعاف وسعال جاف ، وعندما توضع السهاحة على الصدر يسمع الطبيب ما يدل على وجهود التهاب رئوي حاد ، وهو من أهم مميزات المرض . ولا بأس من ذكر أعراض أخرى مثل الإمساك أو الإسهال أو ألم البطن والتقيح السحائي المصحوب بهذيان ومن حسن الحظ أن كل هذه الأعراض تختفي بعد تناول عقار التتراسيكلين لمدة أسبوعين .

وكما نطعم أطفالنا ضد أمراض عديدة ، فإن نفس الإجراء يمكن تطبيقه على الحيوانات المستأنسة غير الناطقة . فهناك طعوم تحقن بانتظام عند أي طبيب بيطري وفيها وقاية ضد أمراض عديدة أهمها مرض الكلب المميت وإسهال الحيوانات فضلاً على أن وسائل التشخيص والعلاج جعلت علاج معظم هذه الأمراض في متناول الطبيب الذي يأخذ بيد مريضه الأيكم إلى بر الشفاء « وينقذ صداقات بريئة لحمتها لون نادر من أمثلة الوفاء » .

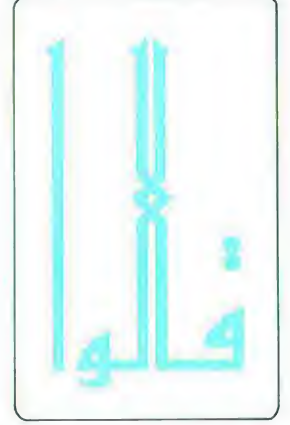
**البلعومي** وهو جزء من الشلل العام الذي يعقب دور التهيج الجنوني - **والعياذ بالله** - الذي يشبه إلى حد كبير الأعراض التي تظهر على الكلب المسعور .

أما خدشة القط فقط ثبت منذ عام ١٩٣٠ م ، أنها تحدث ما أسموه **حمى خدشة القط** ووصف للمرة الأولى في فرنسا والولايات المتحدة ، وتظهر أعراضها بعد مدة حضانة تتراوح بين العشرة والثلاثين يوماً ، وأهمها الصداع والتوعك وارتفاع متوسط في درجة الحرارة وتضخم في الغدد اللمفاوية التي يصب فيها موضع الخدش وقد تكون الغدد جامدة لدرجة التحجر أو قد تلين لدرجة تشعرك بأن بداخلها صديد يجب بذله . ومن الظواهر القليلة الحدوث ، نوع من الالتهاب الرئوي والتهاب ملتحمة العين وحدوث تضخم الغدد اللمفاوية أمام الأذن وفي أعلى الرقبة ، ومن المضاعفات النادرة حدوث التهاب المخ أو النخاع الشوكي أو كليهما معاً ، وفي هذه الحالة يكون المرض مصحوباً بارتفاع ملحوظ في درجة الحرارة وأعراض عصبية مميزة يؤكدتها فحص البائل النخاعي الشوكي ، حيث يزيد عدد الكريات البيضاء اللمفاوية وارتفاع نسبة البروتين .

ولا تظن - أيها القارئ - أن قصتي مع الكلاب والقطط والطفل تنتهي عند هذا الحد وربما تنسى مثلاً : أن القط قد يحمل فيروس مرض الكلب إذا عقره كلب مسعور ، وأن الكلب قد تصيبه انفلونزا هونج كونج التي انتشرت في السنين الأخيرة وأنه قد ينقلها إلى الآدميين من حوله وقد يصيبه أيضاً فيروس شلل الأطفال وفيروس الغدة النكفية . وكذلك الجرثومة السبحية (الستريتكوك) ، وهي من أهم أسباب التهاب الحلق واللوزتين وغيرها في جهات أخرى من الجسم ، فهل ينقلها الكلب بالتالي إلى مخالطيه ؟ هذا ما قد يثبت ذات يوم .

ويعتبر الكلب مسؤولاً عن نقل العدوى لمرض طفيلي خطير هو الكيس الكبدي الذي يتسبب عن وجود دودة شريطية صغيرة (اكيونوكوكس) تصل أكياسها إلى أمعاء الكلب عن طريق لحوم الأغنام وهي التي يلتهمها غير مطهورة ، فسرعان ما تنقلب الأكياس إلى دودة شريطية تكن في الجهاز الهضمي للكلب لتفرز بويضاتها على الدوام إذا ما خرج البراز الملوث بالبويضات وعلق بالشعر المحيط بفتحة الشرج ، ومن هنا ينتشر إلى بقية الشعر عندما يلعق الكلب نفسه بلسانه في وقت فراغ يريد قتله . وعندما تصل البويضات إلى جسم





عن:

# العدالة

★★ من المستحيل تحديد أين ينتهي القانون وتبدأ العدالة .

أرثر باير

★★ تنام العدالة ولكنها لا تموت .

قول مأثور

★★ القانون والعدالة شيان ربطهما الله ومزقهما إرباً الإنسان .

شارلس كولتون

★★ تبدأ الصداقات في المنازل أما العدالة فتنبو في بيوت الجيران .

شارلس ديكنز

★★ إن حب العدالة عند أغلب الناس هو خوفهم من معاناة الظلم .

لاروشيفوكالير

★★ القاضي هو طالب القانون الذي يصحح أوراق امتحاناته بنفسه .

ميكين

★★ أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه من ولي أمرك .

من عالم للمؤمن تظلم منه

★★ إن العادل حقاً هو من يحس أنه شريك في النصف من سيئاتك .

جبران خليل جبران



★ شارلس ديكنز ★



★ وليام شكسبير ★



الفرعونية . والثانية حضارات حوض الرافدين . ويطلق عليها اسم الحضارة البابلية . وإن تكن تشمل عدا البابليين السومريين والاكديين والكلدانيين والأشوريين . ومن اتصل هؤلاء ثقافياً أو حضارياً . وهنالك حضارات أخرى قديمة غير هاتين . ولكنها لم تتصل بالفكر العالمي اتصالاً يجعلها تتأثر به أو تؤثر فيه .

مر الفكر الإنساني قبل الإسلام بمرحلتين متميزتين . هما العصر اليوناني . وعصور ما قبل اليونان . وتبدأ عصور ما قبل اليونان من فجر التاريخ . وتمتد على مدى عشرين قرناً أو حوالي ذلك . وهي تتمركز حول مجموعتين من الحضارات . الأولى حضارات وادي النيل . ونطلق عليها اسم الحضارة

# المنجزات الرياضية

## العصر اليوناني

يقسم العصر اليوناني إلى فترتين تسمى أولاهما بالعصر الهليني . ويمتد هذا العصر من القرن السادس إلى القرن الثالث قبل الميلاد . وتسمى الثانية بالعصر الإسكندري . ويمتد من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي . وينتهي يوم هدمت مكتبة الإسكندرية وقتلت الرياضية هيباثيا التي كانت أستاذة فيها ومشرفة . فيكون عمر العصر اليوناني إذن قرابة عشرة قرون . من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي .

والمؤرخون إذ يتحدثون عن المنجزات اليونانية يقولون : لعل اليونان تعلموا من المصريين والبابليين أكثر مما ابتكروا من حقائق . ولكن المؤرخين رغم ذلك يصفون المنجزات اليونانية بالمعجزة . ولست أستنكر هذا الوصف . ذلك أن اليونانيين . رغم كثرة ما أخذوه عن الحضارات السابقة يستحقون هم وحدهم أن يعطوا قصب السبق في بناء صرح العلم . إذ إنهم هم الذين وضعوا أسس العلوم النظرية عامة . وأسس الرياضيات خاصة . هم واضعو أسس المنهج العلمي الذي بنى صرحه الأول أعظم ثلاثة فلاسفة في التاريخ . أعني سقراط وأفلاطون وأرسطو . ومن اليونانيين فيثاغورس والفيثاغوريون الذين جعلوا رسالتهم في الحياة البحث عن الحقيقة المطلقة في خصائص الأعداد . ولقد كان عمر الفيثاغورية كمنظمة وعقيدة قصيراً . بدأ ينهار سريعاً عندما اكتشف الفيثاغوريون أن نظام الأعداد الطبيعية ليس كاملاً . ولكن صوفية البحث لديهم مست كل رياضي يوناني . ومست بالذات

ونخطي إذا حسنا أن الحضارتين الفرعونية والبابلية كانت المعرفة الرياضية فيها بدائية . فالحضارة الفرعونية استطاعت أن تبني عشرات الأهرام . وكان بناء الواحد منها يستغرق قرابة عشرين عاماً ويتطلب في أثناء ذلك مقام آلاف العمال بعيداً في المحاجر . ينحتون الحجارة ويرسلونها عبر النيل . وزنة الصغير منها أكثر من طن . ثم يرفعونها إلى مواضعها في البناء . فإذا كانت في موضعها استقرت كأنما صبت فيه صباً . مقاييس دقيقة وصفت بأنها تمثل الدقة في صنع النظارات . فالحضارة التي استطاعت تنظيم أمور هذه الآلاف من العمال أثناء قيامهم بهذا العمل الشاق الدقيق الطويل المدى . مع ما يحتاجون إليه من سكن ومعاش ولباس وعلاج وتنقل وتنظيم وإدارة وإشراف . قد تطلبت بالتأكيـد خبرة رياضية تعادل على الأقل خبرة أي مجتمع من المجتمعات النامية غير المتخصصة . في هذه الأيام .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن الحضارة البابلية . فإن تكن الحضارة الفرعونية قد تميزت بالبناء الجماعي الضخم ووفرت له ما يحتاج من خبرة رياضية . فقد امتازت الحضارة البابلية بالخبرة التجارية الواسعة ووفرت لها ما تحتاج من خبرة . ويبدو كأن الحضارتين الفرعونية والبابلية تكمل إحداها الأخرى فقد كانت الأولى هندسية وكانت الثانية جبرية حسابية عديدة .

وهذه الخبرات الواسعة . خبرات الأجيال المتعاقبة على مدى عشرين قرناً أو يزيد . كانت هي التراث الذي بني عليه الفكر الرياضي اليوناني .



# الأسلامية عبر التاريخ

بقلم : د. أحمد سعيدان

العلم . كانت أكواماً من القواعد ، منها الصحيح ومنها غير الصحيح ، وليس ثمة من مقياس يفرق بين الصحيح والخطأ . كانت كما وصف البيروني العلم اخندي قبل أن يتأثر بالمنظور اليوناني ، إذا قال : منه التبر ومنه البعر . ومعدرة إذا كانت الكلمة نائية .

هذه الأكوام من الخبرات والمعارف هي ما لقبه اليونان لدى خلفاء الحضارات القديمة . ولكن قسماً من العبقرية مس عقل سقراط ، فراح يلح على تحديد معاني الكلمات ، ويتساءل ما الصحيح وما الخطأ؟ وهل الصحيح صحيح في كل زمان ومكان؟ والتقط الكرة تلميذه أفلاطون فقال قولة كانت هي الركن الأول في بناء صرح العلم ، والقطب الأول من أقطاب المنهج العلمي .

قال أفلاطون : « ما يقوم عليه دليل أقبه في حظيرة العلم ، وما لا يقوم عليه دليل أرفضه » . إذن فقد فرض أفلاطون الدليل . والدليل يعني البرهان . فما أمكن البرهنة على صحته يقبله ، وما لم يمكن البرهنة على صحته يرفضه . وبذا فهو يضع مقياساً أو غربالاً به يغربل المعارف ، فمنها ما يستفط ، ومنها ما يبقى . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . وإقامة البرهان بحاجة إلى قواعد وأصول . من ذلك مثلاً أننا لا نبدأ من لا شيء . فلا بد من مفردات قليلة نعوّدها معروفة ، وبدلالاتها نعرف غيرها . ولا بد من حقائق نعتبرها صحيحة ، فما يستنتج منها فهو صحيح .

بيّن أفلاطون هذا ، وطبقه أفليدس في كتاب الأصول . ومن أكوام المعارف التي لقيها أقام صرح الرياضيات حجراً فوق حجر ، على نظام

أقليدس صاحب كتاب « الأصول » ، وهو أعظم الكتب الإنسانية أثراً . عاش أثنى سنة زائداً لكل متعلّم ؛ ومست أرخميدس ؛ أعظم عقل علمي رياضي ظهر على وجه الأرض ، ويبدو لي أن من مظاهر الصوفية الفيثاغورية حركة إخوان الصفا في الإسلام وميول رواد النهضة الأوروبية الأوائل .

لقد ارتفع أرخميدس بالرياضيات أفليدس حتى كاد يطل على حساب التكامّل ، ومن اليونانيين أيضاً أبلونيوس الذي ابتكر هندسة القطوع المخروطية ، وبطليموس صاحب كتاب الجسطي في الرياضيات الفلكية . إن من الصعب ألا نصف الفكر الرياضي اليوناني بالمعجزة . ومع ذلك نخيل إلى أن المؤرخين الغربيين يميلون إلى المبالغة في تضخيم الدور الرياضي اليوناني على حساب الدور العربي الإسلامي ، وهذا ما سأتناوله في ما يلي بالخير والموضوعية .

ولكن ماذا عن قولنا إن اليونان هم واضعو أسس علم الرياضيات . رغم قولنا إنهم تعلموا من الحضارات السابقة أكثر مما ابتكروا؟

انظر إلى الجزر . قد يعرف الجزر مواضع العظام والأعصاب والعضلات كما يعرف البيطري وعالم التشريح ، وربما أكثر . ولكن معرفة هذين علم ، ومعرفة الجزر خبرة . والعلم ينتقل من جيل إلى جيل ، ويتكاثر ويبنى بعضه على بعض ، أما خبرة الآباء فلا تنتقل إلى الأبناء . وعلى كل صبي جزر أن يبني خبرته مع الزمن وطول المرات . لقد كانت معارف الفرعونيين والبابليين - على ما نعلم - أقرب إلى الخبرة منها إلى



للأشكال والأجسام . فماذا عن الأعداد ذاتها ؟ ماذا عن الحساب ؟ لقد أخذوا الأعداد في تشكيلات . ففي مثل التشكيل المقابل من الأعداد



وفي التشكيل التالي نأخذ الأعداد ١، ٣، ٥، ... فيتكون من مجموعاتها الأعداد ١، ٤، ٩، ...

وهذه سلسلة من مربعات ، تؤخذ أيضاً بالدراسة . فدراسة الأعداد في الفكر اليوناني من منطلق هندسي . وهذا شيء متمتع بحق به الفيشاغوريون ما يكون اليوم فصلاً أولياً في نظرية الأعداد ، وتهيداً لنظرية الألعاب والمباريات .

ولكن ما نفتقده هنا ونسأل عنه هو : كيف رمزوا إلى الأعداد ؟ وكيف عالجوها بالجمع والطرح والضرب والقسمة والتجذير ؟ بعبارة أخرى : كيف أجروا العمليات الحسابية التي لا يستغنى عنها في الحياة اليومية ؟

الجواب عن ذلك أن هذا كان بالطبع شأن الرجل العادي ، أما الرياضيون اليونان فلم يكن يعنهم ، وقد اعتبروها لعب صبيان .

### حساب اليد

لقد كان لدى اليونان أرقام يبدو أنهم أخذوها من الأبجدية الفينيقية . فقد كانوا يعبرون عن الأعداد بحروف أبجدية بترتيب معين . وهذا ما انحدر إلى العرب بالترتيب المعروف بالحجل ، وهو الترتيب أبجد هوز ... الخ . والأرقام الأبجدية كالأرقام الفرعونية والبابلية والرومانية تؤدي وظيفة واحدة وهي أن ترمز إلى أعداد محددة ، ولكنها لا تساعد العمليات الحسابية . فهذه تجري عقلياً ، مع الاستعانة بما يسمى **حساب اليد** . ولأن حساب اليد يمثل الموروث الذي تلقاه العالم الإسلامي من الحضارات التي سبقتهم ، أرى أن أفيض هنا قليلاً في وصفه :

فلنقل إننا نريد أن نضرب ٣٨ في ٤٩ . فيكتب الحاسب (عربياً كان أو يونانياً) هذين العددين بالرموز الأبجدية . فالحاسب العربي يكتب لح في مط .

مطرد رائع ، كل خطوة تسلم إلى ما بعدها ، وعلى مثل ذلك جرى أرخيدس وأبولونيوس وبطليموس ومن عاصروهم من الرياضيين .

واتخذت الأجيال التالية منهجاً محدداً للدراسة المتخصصة في الرياضيات والفلك يبدأ بكتاب الأصول لأقليدس ، وينتهي بكتاب المجسطي لبطليموس ، وبينهما اثني عشر كتاباً متوسطات .

وقد أقر العرب هذا المنهج ، غير أنهم جعلوا من المتوسطات واحداً أو اثنين من الكتب العربية المتقدمة ، وأضافوا إليه حلقات أخرى من كتب عربية تحوي من الرياضيات والفلك ما لم تحوهِ الكتب اليونانية . وهم الحق . فالعلم دائماً في تطور ، وفوق كل ذي علم عليم . إلا أن هذه الحلقات الأخرى كانت تختلف من مكان إلى مكان ، وقد يقوم المعلم بتعليم كتبه وكتب أساتذته الذين تلقى علم الرياضيات عنهم .

ولكن هل كان الإنجاز اليوناني بحق معجزة ؟ الجواب يعتمد على ما نقصد بالمعجزة ، فإن يكن المقصود بالمعجزة ، ما أعجز من سبق ، فقد كان الإنجاز اليوناني بحق معجزة . يكفي أن يلتقي في أي زمان ومكان ثلاثة من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ، أو من أمثال أقليدس وأرخيدس وأبولونيوس ، يحققوا ما يعجز عنه كل من سبق وكثير ممن سيلحق . وإن يكن المقصود ما هو خارق لقوانين الطبيعة ، فالجواب : لا . إن ما صنعه اليونان إنما هو استكمال جهود آلاف من السنين خلّت ، وتهيد لما أتى من بعد ، إنه باختصار التطور الطبيعي للفكر الرياضي .

تجلت معجزة الفكر اليوناني في فرض إقامة الدليل ، فأقام بذلك مقياساً يقاس به العلم من غير العلم ولكن الفكر اليوناني لم يكن كاملاً ، وهذا يسلمنا إلى الوجه الآخر من القضية ، الوجه الذي قلما يبرزه المؤرخون الغربيون .

كلما تمعنت في الرياضيات اليونانية تجلّى لي أنها صنع جماعة أميين ، يخططون ولا يكتبون ، أو أطفال يلعبون بالبي . ولكنهم جعلوا من بيّ الأطفال مرآة عقلياً ذا مستوى رفيع . فالبلية الواحدة تمثل واحداً من الأعداد ، وتحتل نقطة في الأشكال . أما النقطة : فلا طول ولا عرض ولا سمك ، كأنها لا شيء ، مجرد فكرة . ولكن منها تبدأ الأشكال . وكذلك الواحد : ليس عدداً ، ولكن منه تبدأ الأعداد .

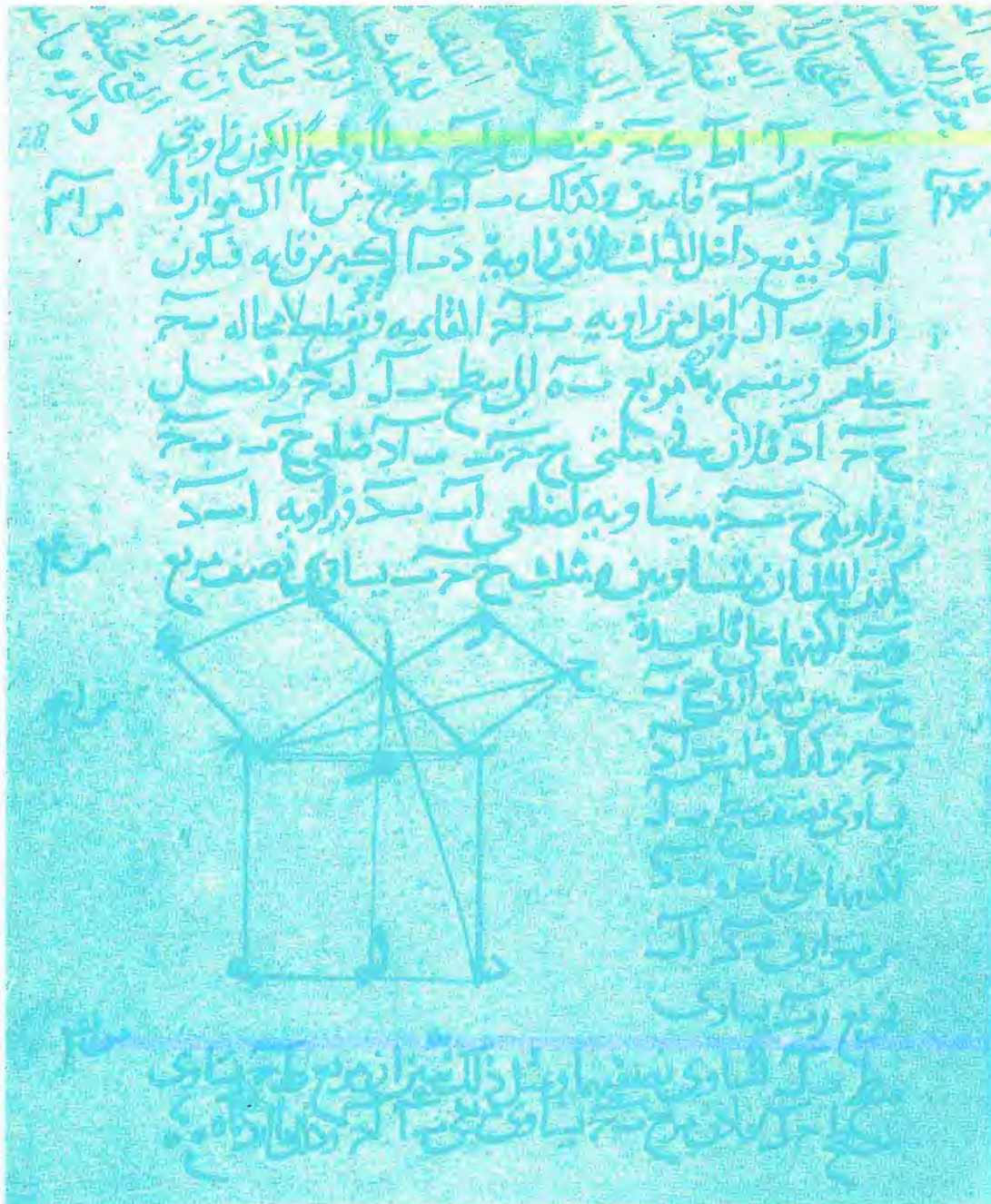
أضف بلية ثانية ، يتكون الاثنان في الأعداد ، ويتكون الخط المستقيم في الأشكال . والاثنان أبسط الأعداد ، والمستقيم أبسط الأشكال . وهناك خط مستقيم واحد يمر بأي نقطتين مفروضتين .

أضف **ثالثة** ، يكن لديك الثلاثة في الأعداد ، ويكن لديك المثلث في الأشكال ، ومع المثلث تأتي دراسة الزوايا ويتحدد المستوى ، وهناك مستوى واحد يمر بأي ثلاث نقاط مفروضة ، ليست على استقامة .

أضف **رابعة** ، يكن لديك الأربعة في الأعداد ، أما في الأشكال فإن تكن هذه الرابعة في المستوى نفسه ، يتكون لديك رباعي ، وهذا يمر معه دراسة الأشكال الرباعية ، ويفضي إلى دراسة التوازي . وإن تكن الرابعة في غير مستوى الثلاث الأول يتكون لديك هرم ثلاثي القاعدة رباعي الأوجه ، وهذا يدخلك في مضمار الأبعاد الثلاثة والهندسة المجسمة .

من ذلك يتبين أن هذا المنحى من التفكير يجر إلى الدراسة الهندسية





★ برهان نظرية فيثاغورس بواسطة تكافؤ السطوح لنصر الدين الطوسي ★

بحصل على الجواب .

ويبدو أن حساب اليد كان عاماً في العالم المأهول حتى أواسط العهد الإسلامي ، إذ نجد اشارات كثيرة في كتابات حوض المتوسط والشرق الأوسط والهند . ولكن قلما نجد له وصفاً مفصلاً ، لأن الناس كانوا يتناقلونه كابراً عن كابر ، كما يتناقل النجارون اليوم حرفة النجارة دون كتاب يفصلها ، وفي العربية أرجوزة تصف هذه العقود ، اقتبس منها الأبيات التالية :

إعلم بأن عقدك الأحادا      خصوا بها ثلاثة أفرادا  
فخنصر وخنصر ووسطا      وذلك في النخمين فاعلم ضبطا

والآن عليه أن يضرب ل في م (أي ٣٠ في ٤٠)  
ل في ط (أي ٣٠ في ٩)  
ح في م (أي ٨ في ٤٠)  
ح في ط (أي ٨ في ٩)

ثم يجمع النواتج . فهو يجري عمليات الضرب عقلياً ، ويجمع عقلياً . ولكي يتذكر النواتج الفرعية المتوسطة ، يعقد أصابع يديه عقوداً متفقاً عليها : ٣٠ في ٤٠ تساوي ١٢٠٠ فيعقد أصابعه عقداً يدل على ١٢٠٠ .

ثم ٣٠ في ٩ تساوي ٢٧٠ فيجمع ذلك إلى منا عقده ، فينتج ١٤٧٠ ، فيغير عقد أصابعه ليدل على هذا الناتج الجديد . وهكذا حتى



فواحد : أبسط يديك واخصر وركب الخنصر فوق البنصر  
وضم في الاثنين من كليهما من غير تغيير لذلك فاعلموا  
وكفّت ان أردت أن تثلثا وسطاك مع كليهما إن مكثا

ويعني الوصف فيخصص تلك الأصابع الثلاثة لعقود الأحاد ١ إلى ٩ ، ويخصص الشاهد والإبهام لعقود العشرات ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠٠ ، ٩٠ ، ثم ينتقل إلى اليد اليسرى فشاهدها والإبهام للمئات ، والأصابع الثلاثة الباقية للألوف .

وفي الكتب البيزنطية توصف هذه العقود وصفاً لا يختلف جوهرياً عن الوصف العربي إلا في أن الحاسب البيزنطي كان يستعمل اليد اليسرى للأحاد والعشرات ، واليمينى للمئات والألوف .

ومهما يكن من أمر ، فليس حساب اليد بالحساب الخصب الواعد القابل للتطوير ، القابل لاستيعاب أي تقدم في الفكر الجبري . إنه بالتأكيد دون مستوى الهندسة اليونانية . ولماذا ؟ لأن الفكر اليوناني عد الترقيم والعمليات الحسابية أموراً عملية لا ترقى إلى مستوى العلم .

وما كنا لنحاسب اليونان على ما لم يعملوه ، لولا أن الأمر يتعلق مباشرة بالمنهج العلمي الذي رسموه . ذلك أن الدليل عندهم ظل قاصراً على الدليل الاستنتاجي المنطقي . أما الدليل العملي التجريبي ، الذي تشهد به الخواص ، فلم يعروه وزناً ، ولذا فاهمهم للعمليات الحسابية كان من منطلق منهجهم الفكري . حتى الأطوال والمساحات والحجوم كانوا يعبرون عنها بدلالة بعضها بعضاً ، فكان أرخيدس مثلاً يقول : إن حجم الكرة يساوي حجم أربعة مخروطات ارتفاع كل منها يساوي نصف القطر . أما  $\frac{4}{3} \pi r^3$  فتعبير لم يكن ليخطر على البال إلا بعد استيعاب العمليات الحسابية التي أدخلها العرب في حظيرة العلم .

### الفكر الإسلامي العربي

كان الفكر الإسلامي هو الذي أدخل الدليل التجريبي في حظيرة العلم . وقد كان دخوله طبيعياً بدهياً ، ذلك أن الدليل على وجود الخالق جل جلاله جعله الإسلام يقوم على النظر والتأمل أي على ما تهدي إليه الخواص . لقد دعا الفرد للنظر في الكون وما فيه ، في البر والبحر والجو ، وفي نفسه ، وجسمه وروحه وعقله ، فكل اكتشاف جديد يعثر عليه إنما هو دليل على عظمة الخالق وحسن تدبيره . لقد قال علماء الإسلام المتقدمون كلما زدنا علماً بمخلوقات الله زدنا إيماناً بالله .

لهذا لم يكن عجباً أن أول انجاز كبير للفكر الرياضي الإسلامي كان نشر نظام للترقيم الحسابي يتمشى مع نظام العد الطبيعي العشري ، ونشر عمليات حسابية قابلة للتطوير ، قابلة لاستيعاب ما جاء نتيجة طبيعية لذلك ، أعني علوم الجبر والمثلثات والهندسة التحليلية وما تلاها .

أخذ العرب نظام الترقيم من تجار الهنود لا من علماءهم . فقد كان هؤلاء تقليديين يجرون عملياتهم الحسابية على أنماط شتى ، منها

حساب اليد . وكان تجار الهنود يحسبون على التخت والرميل ، فنشر العرب الحساب الهندي هذا في الشرق والغرب ، ولكنهم منذ تناولوه من الهنود أخذوا يعملون على تطويره حتى أوصلوه إلى النمط الشائع اليوم .

وقد أخذ الغرب من العالم الإسلامي نظام الترقيم وطرق الحساب كما عدلوها ، وعندهم أخذ أيضاً بالدليل التجريبي . ولكن هذا الدليل لم يستقر في الفكر الغربي إلا بعد معارك دامت قروناً ، وسقط فيها ضحايا . ونقرأ عنها اليوم بناسم الإصلاح الديني ، وباسم الصراع بين العلم والدين . كان أعظم مجالي العبقرية في الفكر اليوناني أنه أقر الدليل الاستنتاجي في العلم . وهذا انجاز عظيم ، لا شك ، كان من جرائه أن وضع علم الهندسة المستوية والجسمة وهندسة القطوع ، علماً كاملاً لم يستطع العالم ، على مر القرون ، أن يزيد فيه زيادة جوهريّة ، إلا في طرق العرض ، وإلا فيما نجم من هندسات لا اقليدية .

والدليل الاستنتاجي شيء جميل رائع ، ولكن به تزكو العلوم النظرية كالفلسفة والمنطق والرياضيات فلما تم وضع الهندسة الاقليدية وصل نحو العلم الرياضي إلى طريق مسدود ، حتى فكر أرخيدس لم يستطع أن يفتح ثغرة في السد . وفي نهاية المطاف تحول الفكر العلمي البيزنطي إلى عبث ضرب به العرب الأمثال ، إذ مثلوا كل حوار لا جدوى منه بالجدل البيزنطي . إن الدليل الاستنتاجي وحده لا يكفي ، حتى في الرياضيات . فكان لا بد من خطوة يخطوها العلم حتى يقبل الدليل التجريبي فتنهض علوم الحساب والجبر والمثلثات . وقد خطا الفكر الإسلامي هذه الخطوة فأدخل هذه العلوم الثلاثة في رحاب العلم ومهد السبيل إلى الهندسة التحليلية .

أما علم الحساب فقد وصل به الرياضيون المسلمون إلى إيجاد الجذور التربيعية والتكعيبية وما فوقها اعتماداً على ما نسميه اليوم بنظرية ذات الحدين . وقد عرفها العرب لأسس صحيحة موجبة وسموا معاملاتها بأصول المنازل . واعتمدوا في إيجاد أصول المنازل على ما يسمى الآن خطأً بثلاث بسكال وقد عرفوه من قبل بسكال بأربعة قرون . ثم هم ابتكروا طرقاً للتقريب تجعلنا نشعر أن لو بعث أبو الريحان البيروني حياً وكلمناه عن نظرية ماكلورن لما وجد فيها جديداً عليه سوى رونق التعبير .

ولقد بدأ علم الجبر العربي فصلاً من فصول علم الحساب ، هدفه إيجاد المجهول عن طريق تكوين معادلة وحلها ، وقد ارتقى هذا العلم على أيديهم فحوى طرقاً طريفة لحل المعادلات السيمالية ، لا سيما ما له منها علاقة بخصائص الأعداد . ولقد شارفوا حل المعادلة التكرية جبرياً . وأنه ليساوري الظن في أنهم قد حلوها وأن تراجليا وكردان نقلها عنهم .

أما علم المثلثات المستوية والكروية فهو صناعة عربية بقدر ما أن هندسة اقليدس صناعة يونانية . والهندسة الكروية قلما تدرس في هذه الأيام إذ قد جدت موضوعات رياضية أكثر التصاقاً بالحياة الحاضرة ، فكان لا بد من وضع بعض علوم الأمس على الرف ، وكان مما وضع على الرف الهندسة الكروية العربية ، وإلى حد ما هندسة اقليدس .



إذا رحنا نبحث عن أكبر المنعطفات في تاريخ الفكر الرياضي فلإننا نجدتها بالتأكيد ثلاثة لا خلاف عليها ، أولاها طلب الدليل ، وهذه خطوة بدأها الفكر اليوناني ، ولولاها لما ارتفعت الرياضيات عن مستوى القواعد التقنية التي قد نلمسها اليوم لدى علماء البناء . ولقد كان الفكر الهندي أول ما تفتحت عليه عيون العالم الإسلامي . ولكن ما إن وقف المسلمون على الفكر اليوناني حتى تعلقوا به تقديراً واستحساناً لفكرة الدليل . ثم جاء دور قام به علماءهم بتعليم الهندود فكرة البرهان . لقد كان العرب هم الذين عرفوا الهندود بهندسة اقليدس ، ذلك أنهم وجدوا الرياضيات عندهم أكوماً من القواعد ، ما تزال كرياضيات المصريين والبابليين ، فيها التبر ، وفيها ما ليس بالتبر .

ليس عجباً إذن أن نعد إقامة الدليل منعطفاً كبيراً في تاريخ العلم . ولكن هذا المنعطف بلغ في آخر الأمر مناه ، بدليل أن هندسة اقليدس لم يصبها إلى اليوم من التطور إلا القليل . كان لا بد من منعطف جديد ، وقد جاء العرب بهذا المنعطف إذ نشروا الأرقام الهندية والحساب الهندي كما عدلوه . وكان دخول ذلك عالم الرياضيات ايذاناً بقبول الدليل التجريبي . وقد كانت باكورة نتائجه ضرباً من السحر ، لو لم تكن قد ألغناها ونشأنا على تقبلها لأصابنا تصورها بالدوار . أرأيت الذي يكتب اسم عدوه على ورقة ، ثم يأخذ بتمزيق الورقة وهو يتشقى كما لو أنه يمزق عدوه نفسه ؟ أرأيت الذي يتناول صورة ولده فيقبلها ويناجيها ويغمره الشعور بالرضى ، كما لو كان يقبل ولده الغائب ويناجيه ؟ هذا وذاك تعلل بالأمال أو خيال . ولكن الرياضي يصنع مثل هذا الخيال فإذا هو حقيقة . يتصور خطأ في الفضاء فيعبر عنه بمعادلة برموز جبرية ، س ، ص ، ... ؛ ويتصور مستوى ، فيعبر عنه أيضاً بمعادلة أخرى في س ، ص ، ... ثم يحل المعادلتين بعمليات حسابية على هذه الرموز ، فيقول لك أين يقطع الخط المستوي ، وعلى أي زاوية . إنه يحول الهندسة إلى عمليات جبرية ، وهذا التحويل هو الذي أتاح للرياضيات أن تخرج من الطريق المسدود الذي وصلت إليه . وقد خطا الفكر الإسلامي الخطوات الأولى في هذا التحويل إذ جاء بالأرقام العشرية . ثم انتقل إلى تعديل العمليات الحسابية ، وبدأ علم الجبر وعلم المثلثات .

وهناك منعطف ثالث في تاريخ الرياضيات بدأ بتبسيط العمليات الرياضية عن طريق اللوغرتمات ، ثم انتقل منها إلى المسطرة الحاسبة ، فالحاسبات الالكترونية . وقد بدأ هذا المنعطف عندما تركزت أنظار نابير على قانون للعرب في المثلثات يحول به حاصل ضرب جيب زاويتين إلى حاصل جمع نسبتي مثلثتين أخريين . وكان نابير يجد عملية الضرب صعبة ، فخطر له أن يحوله إلى جمع باستعمال هذا القانون . وقد نجح بمساعدة رياضي آخر إنكليزي .

إذن فإن يكن اليونان قد جاءوا بالمنعطف الأول في تاريخ الرياضيات ، فقد جاء العرب بالمنعطف الثاني ، ومهدوا للثالث الذي بدأه رواد النهضة الأوروبية .

والمؤرخون الغربيون يذكرون للعرب فضل نقل العلوم اليونانية وحفظها ، ولكنهم ينسون الفضل في قبول الدليل التجريبي ، وينسون أن رسول هذا الدليل في أوروبا - أعني روجر بيكن - كان حافزه أن يستفيد الغرب من علوم العرب كي يكون بإمكانه أن يتافهم .

يفضي بنا هذا إلى ركن ثالث من أركان المنهج العلمي هو الموضوعية . والموضوعية أمانة علمية وصدق وأخلاق . وقد أخذ بها اليونان إذ نادوا بالعلم من أجل العلم ، ولكنهم قلما اهتموا بإحفاظة على النص وبأن ينسبوا القول إلى قائله . وأخذ بها الفكر الإسلامي من جراء أدب أدبه به الدين . لقد كانت قراءة القرآن ورواية الحديث تقتضيان كل ما في الدنيا من أمانة علمية وحفاظ على حرمة النص ، من هذا المنطلق جرى العلم الإسلامي في عصوره الأولى بموضوعية مثالية ، إن شذ عنها أناس فهم شعوبيون مغرضون .

والموضوعية صفة لم يعرفها الفكر الغربي في مطلع نهضته ، فكان ينهل من الفكر الإسلامي كمن يشرب من بئر ثم يرمي فيه بحجر يعكسه . وهو ما يزال حتى اليوم لا يراعي الموضوعية إلا في الدوريات المتخصصة . وفي ما عداها قد تكون الدعاية هي الأقوى . ولكن قد لا يحق لنا نحن أن نعترض على موضوعية الغرب الحالية ، إذ أننا نسبنا الموضوعية التي أدبنا بها الدين .

لقد عاش الفكر الإسلامي الرياضي منتجاً من القرن التاسع الميلاد إلى القرن الخامس عشر . سبعة قرن ، بالقياس بعشرة قرون عاشها الفكر اليوناني الهليني والإسكندري . ولقد ظل الغرب عالة على الفكر الإسلامي ، يأخذ علومه فيترجمها إلى اللاتينية ، وغالباً ما ينتحلها ، من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر ، ستة قرون أخذ الغرب في نهايتها يعلو فوق مستوى العلم الإسلامي في كثير من المناحي العلمية . وقد كانت خطواته الأولى استكمالاً أو استطراداً لحواضر إسلامية سابقة لم تتبلور . إننا نقرأ ما كتبه نيوتن ومن سبقه عن فكرة الزمان والمكان واللانهاية والاتصال والاستمرارية ، فتتعرف في أقوالهم على رنة من الفلسفة الإسلامية في أبحاث ما وراء الطبيعة . إن الفكر الرياضي الإسلامي ، كما يتبدى في الميكانيزيكا ، قد كشف أسس حساب التفاضل والتكامل الذي هو منطلق الرياضيات الحالية . وفي سبيل ذلك أوجد الفكر الإسلامي الرمزية الرياضية التي ما زال الغرب يدعي فضل ابتكارها ، رغم أن فلاسفة الإسلام ومناطقته كانوا من أيام يعقوب بن اسحق الكندي يتلهون بعبارات من مثل : إذا كان أ بعضاً من ب وكان ب بعضاً من ج كان أ بعضاً من ج .

إن الفكر الرياضي الإسلامي شيء يستحق أن نعترف به ، وأن نبحث عن كنوزه ، ليس فقط من أجل أن نعيد إلى نصابه حقاً وضعه الغرب في غير موضعه ، بل من أجل أن يكون لدينا الحافز لاستئناف مسيرة بدأها أجدادنا بالجهد والشغف وبالدين والأمانة .



# رحلة مع: الخط العربي



اقْرَأْ رَبِّكَ الْكَرِيمَ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

قَالَ قَبْلَهُ الْكِتَابُ يَا قُوتُ الْمُسْتَعِصِمِ عَلَيْهِ رَحْمَةُ الْبَارِي الْخَطُّ هُنْدَسَةُ رُوحَانِيَّةٌ  
ظَهَرَتْ بِالْهَجْزِ جِسْمَانِيَّةٌ أَنْ جَوَدَتْ قَلَمُكَ جَوَدَتْ خَطُّكَ وَأَنْ أَهْلَتْ قَلَمُكَ أَهْمَلَتْ خَطُّكَ

\* نموذج يوضح كتابات الخط الثلث - ونقطة خط نسخي - من كتابات الخطاط السيد إبراهيم \*



\* أحد النماذج الزخرفية المكتوبة بخط ثلثي من وضع  
الخطاط حسني الممشقي \*

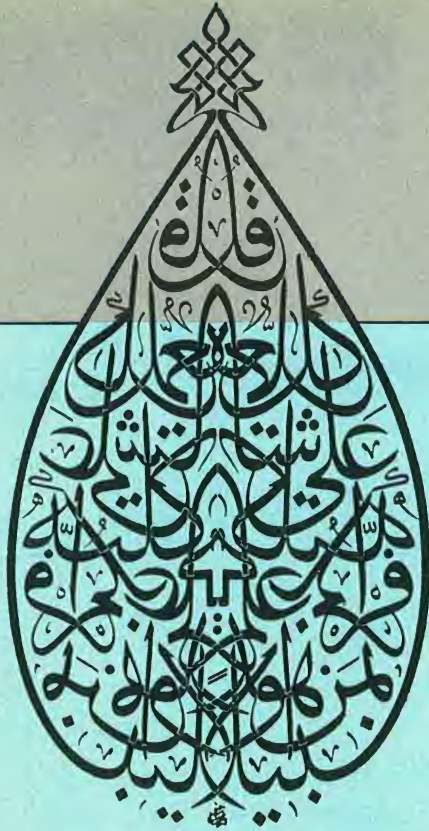


\* شكل يوضح كتابة عربية ترجع إلى عهد  
السلاجقة (١٠٧٠ هـ) وهو نوع من خط الثلث  
الذي كان شائعاً في الأندلس في ذلك الوقت . .  
وهذه الكتابة وجدت مكتوبة على الرمرمر على باب  
رباط في كوشاهية . . بدأ الخطاطون - في القرن  
العشرين - يطورون فيه ، وقد أصبح ذلك واضحاً في  
تصميمات أغلفة الكتب وفي كالتوجات معارض الفن  
الشكلية \*



# خط الثلث

★ شكل يوضح عنوان «خط الثلث» بالخط الثاني من وضع الخطاط الشيخ علي بدوي (١٣٧٧ هـ) ★



★ نموذج من الخط الثلث المصنع، من وضع الخطاط محمد شفيق... ونصها  
﴿ قل كل يعمل على شاكلته، فريكم أعلم بمن هو أهدى  
سبيلاً ﴾ آية قرآنية ★

من الخط المدني القديم، تفرع إلى ثلاثة أنواع، هي: المدور، والثلث.. والشم، ومعنى الكلمة الأخيرة «التوأم»، حيث تعود هذه التسمية، لوجود مزاولات مع خط آخر يشبهها. وخط الثلث يفضل فيه التقويس، فثلاً حرف الألف من الحروف المنتصبة.. وليس له شبيه آخر في الحروف.. وهو متميز على ألف «الثلث» مقدار نقطة، ذلك لأن ألف الثلث فيها تحديق. وهو حالياً من الخطوط المعروفة، المستعملة، المعاصرة، وبهذا الخط، كتبت الكثير من الأحاديث النبوية على جدران المساجد.. وعلى القباب.. والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة.. وعلى بعض أجزاء من المسجد الحرام في مكة المكرمة.



★ شكل يوضح خط الثلث، وهو جزء  
تفصيلي من مسجد الشيخ لطف الله أصفهان -  
إيران - القرن السابع عشر ★





# جوته

## والإسلام

### مأدًا فحان الشَّاعر العربي

القائِل الأدب . يكتب الأغنية والقصيدة . ويحاول كتابة المسرحية . واضطره المرض إلى العودة إلى بيت أبيه في فرنكفورت للعلاج والاستجمام . ومن هناك سافر في عام ١٧٧٠ م . إلى مدينة شتراسبورج . لينهي في جامعتها دراسة القانون .

هناك التقى بالأديب الفذ **يوهان جوتفريد هردر** الذي بين له طريق الأدب كما كان ينبغي له أن يعرفها . فصرفه عن الأدب المصنوع . والشعر المتكلف . وحضه على التعرف إلى الشعر الفطري الذي ينطق به البسطاء أحياناً فيما أسماه **بالأدب الشعبي** . ويعرفه عباقرة الفطرة في أحيان كثيرة أمثال **شيكسبير** و**شعراء العرب القدامى** . ومن هنا بدأ اهتمام **جوته** بشعراء العرب فقرأ ما ترجم من أعمالهم إلى الألمانية أو الإنجليزية أو اللاتينية . وأحب أصحاب المعتقدات وترجم شيئاً من أعمالهم . كذلك حرص **جوته** على قراءة القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . وأحب أن يعود إلى القرآن الكريم وسيرة النبي بين الفينة والفينة . وظهر أثر كل ذلك في شعره .

وإذا كان قد أتم دراسة الحقوق في عام ١٧٧١ م . وعاد إلى فرنكفورت . فإنه لم يفكر جدياً في احتراف المحاماة . على الرغم من اتخاذ مكتباً للمحاماة . بل صمم على السير في طريق الأدب إلى منتهاه . وما ظهرت مسرحية «**جوتس فون برلينجين** ذو اليد الحديدية» . ثم رواية «**آلام الفتى فرتير**» . حتى كان اسم **جوته** على كل لسان . وذاعت شهرته خارج ألمانيا حيث ترجمت رواية «**آلام الفتى فرتير**» إلى الإنجليزية والفرنسية .

تلقى **جوته** دعوة من أمير **فايمار** ليزور الإمارة . فقبل الدعوة . وتغيرت حياته منذ تلك اللحظة . حيث ارتبط **جوته** ب**فايمار** ارتباطاً وثيقاً . وأصبح فيما بعد وزيراً بها . ولم يغادرها إلا لفترات محدودة . حتى مات ودفن فيها .

تشعب نشاط **جوته** في **فايمار** فشمل الاقتصاد والزراعة إلى جانب الأدب والفنون . وتعرف إلى كثير من الأدباء والعلماء . واجتذب عدداً منهم إلى بلاط **فايمار** . واطلق من **فايمار** إلى إيطاليا في إجازة طويلة ليعرف بلاد الشمس الدافئة . والحضارة القديمة . والفن المشرق .

امتلات حياة **جوته** بالصدقات والغراميات . وتتابعت أعماله تشهد على اكتماله المتزايد . وحكته المتزايدة . فأخرج في عام ١٨١٨ م «**الديوان الشرقي للمؤلف**

كتب في دراسة مضى عليها اليوم ما يزيد عن عشر سنوات كلمات حاولت فيها أن أرسم صورة لأديب ألمانيا **يوهان فولفجنج فون جوته** . ثم رجعت إليها اليوم فلم أجد بي حاجة إلى أن أغير فيها إلا الشيء القليل . قلت :

«**يوهان فولفجنج فون جوته** إنسان فريد . كان أديباً وشاعراً وفيلسوفاً ومؤرخاً وعالمًا في الطبيعيات وعالمًا في اللغات والأدب العالمية . وعامياً ورساماً ووزيراً . وكان عباً للشرق والإسلام . علماً بفكر الإسلام وآدابه . متبحراً في ثقافته وفنونه . ألف الأغاني العاطفية والقصائد الفلسفية . والمسرحيات الكبيرة والصغيرة . وبرع في المأساة والملهية والمسرحية الغنائية ومسرحية المناسبات . وأنشأ الملاحم والقصص والروايات . وكتب المقالات في شتى الموضوعات . ولم يدع نوعاً من الأنواع الأدبية إلا عاجله وتفوق فيه . وأنشأ بين الثقافة الألمانية والثقافات الأخرى جسوراً قربتها بعضها من البعض . وشجعت التفاعل بينها . وبوأ الأدب الألماني بما جاد به قلمه مكاناً عالياً . لم يكن **جوته** يكتب لنفسه ولا لقومه فحسب . بل كان يكتب للناس كافة . فكان بحق أديب الإنسانية . قبل أن يكون أديب ألمانيا . وكان مواطناً عالمياً . قبل أن يكون مواطناً ألمانياً .

عاش أكثر من ثمانين عاماً . بين منتصف القرن الثامن عشر . ونهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر . حافلة بالأحداث العظام . ينتقل بين مصائد رائعة دبرها له القدر . وبين ظروف مواتية مهدتها له قدرته . يعرف السعادة فينعم بها . ويلقى الألم فيرتفع فوقه . وكانت حياته التي حكى قصتها . وكتب عنها الكثيرون وما زالوا يكتبون . قصة وتاريخاً .

#### حياته

ولد **جوته** في ٢٨ أغسطس (آب) من عام ١٧٤٩ م . في مدينة **فرنكفورت** الواقعة على نهر الماين . لأب من أعيان المدينة ومثقفها . وتعلم في البيت على يد أبيه ومعلمين خصوصيين . حتى بلغ السنة السادسة عشرة من عمره . فانتقل إلى مدينة **لايبتيش** ليلتحق بجامعة ويندرس القانون . ولكنه اهتم بالأدب والفنون أكثر مما اهتم بالقانون . واندمج في حياة الناس . وحياة الطلاب خاصة . واندفع في طريق



إذا كان الإسلام يعني الإسلام لله  
فإننا جميعاً نعيش ونموت على الإسلام  
«جوته»

## عني الديوان الشرقي

بقلم : د. مصطفى ماهر



دعوني أبكي بليل. عيط  
رؤياية ما لها هي. نياية ،  
جمال بها أخذت للسكون  
وأصحابها مثلها ساكنون ....  
.....  
دعوني أبكي ، فلا عار في سكب الدموع  
ولا دمع إلا لرجل. كريم ...  
دعوني أبكي ، فإن الدموع تحيي التراب .  
.....

الغربي ، وأتم في عام ١٨٣٢ م . قبيل وفاته . الجزء الثاني من مسرحية  
«فاهست» .

وتوفي جوته في ٢٢ مارس ( آذار ) من عام ١٨٣٢ م . وقد أصبح هذا اليوم ،  
منذ إنشاء معهد جوته لرعاية اللغة والثقافة الألمانية في الخارج ، يوم الاحتفال  
بتقديم ميدالية جوته الذهبية العالمية لشخصية عملت على تحقيق هدف من أهداف  
جوته الغالية ، وهو التقارب الثقافي بين الشعوب والتعارف من أجل خير  
الإنسانية .

### تأثره بالأدب العربي

بدأ اهتمام جوته الحقيقي بالإسلام والثقافة الإسلامية على إثر  
التقائه بالفكر الأديب هردر في اشترايبورج ، وقد تجاوز العشرين من  
عمره بقليل . كان هردر هناك يعالج عينيه ، وكان جوته هناك ليكمل دراسة  
القانون . وتحولت المصادفة إلى شيء باق . كان هردر صاحب عبقرية في التأمل ،  
والتعرف على الأفكار المثمرة ، والتجديد الفكري ، وكان واسع الاطلاع ، عظيم  
التأثير على الأدباء والمفكرين ، وكان له دوره في حركة «العاصفة والاندفاع»  
التي دعت إلى الاستسلام إلى السليقة والوجدان والعاطفة والعبقرية .  
ويمكن أن نقول إنه وضع جوته على بداية الطريق إلى التعرف على الثقافة العربية  
الإسلامية . وهكذا نجد جوته مشغولاً بالمعلقات ، ونجده قائماً على اهتمامه بها  
سنوات عديدة ، فوجدناه في مخططاته على ترجمة تعد ٦١ سطراً ، حاول  
فيها نقل معلقة امرئ القيس إلى الألمانية :

قفا نبك من ذكر حبيب ومزل

يسقط اللوى بين الدخول فحومل

معتمداً على ترجمة جونز الإنجليزي . وترجع هذه المحاولة إلى عام ١٧٨٣ م .  
بل لقد دخلت بعض عناصر هذه المعلقة في شعره . وهناك قصيدة كتبها للديوان  
الشرقي للمؤلف الغربي ، ثم لم يدخلها في منته ، واعتاد المحققون أن ينشروها في  
ملاحق الديوان ، نرى جوته يتلفف فيها عنصر «بكاء الحبيب وسط الصحراء» :

أخذ جوته من مطلع المعلقة صورة الصحراء التي يقف فيها الحبيب باكياً ، ثم  
أضاف إلى الصورة من معرفته بشعر العرب ، وشعر امرئ القيس الجبال السي  
أخذت للسكون ، وأصحابها الذين أخذوا للسكون مثلها ، ثم توسع في بكاء  
الرجل المحب ، فلما ير في بكاء الرجل مسلماً ينافي الرجولة ، بل رأى فيه دلالة على  
الطيبة ، وكرم القلب .

ولقد ذكرنا هذه الأبيات لجوته لأنها تدلنا على أن جوته لم يقف من الأدب  
العربي عند حد القراءة والترجمة ، بل أفاد مما قرأ وترجم ، وظهر ذلك في شعره  
ونثره .

ولدينا مثل آخر سبق المثل السابق بنحو عشر سنين ، فقد عكف جوته على  
قراءة القرآن في ترجمة ماراسيوس اللاتينية ، ثم ترجم آيات من القرآن هي  
الآيات من ٧٤ إلى ٧٩ من سورة الأنعام . وتؤكد هذه الترجمة أن جوته فهم  
أساس الإيمان الخفيف :

« وإذ قال إبراهيم لأبيه أزرأ أنتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك  
في ضلال مبين \* وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض  
وليكون من الموقنين \* فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي  
فلما أفل قال لا أحب الآفلين \* فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي  
فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين \* فلما رأى  
الشمس بازغاً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء



ما تشركون \* إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً  
وما أنا من المشركين \* ﴿١﴾

### يكتب عن الرسول الكريم

ولدينا قبل هذا وذاك مشروع المسرحية الشعرية «محمد» التي كان ينوي كتابتها في عصر العاصفة والاندفاع. وجوته يعرض في كتابه «من حياتي، شعر وحقيقة» (أنظر الكتاب الرابع عشر) للخطة التي كان ينوي اتباعها، ويتحدث عن الدوافع التي حدثت به إلى اختيار الموضوع. فيقول ما معناه إن الإنسان الممتاز به قيس من الربانية يؤدّ لو ينشره في العالم، ولكن العالم يقف في وجهه، فيتحم عليه أن ينازله حتى يستطيع أن يؤثر فيه. ولكنه لا يلبث أن يستسلم لما في العالم من نواح سامية، ويزيد في الاستسلام شيئاً فشيئاً. وهكذا تنقص العناصر الربانية السبابة الخالدة هيئة المساعي الأرضية.

ثم يتحدث جوته بعد ذلك عن الإنسان الممتاز، فيقول إنه بحث في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان الممتاز فوجده في النبي العربي (صلى الله عليه وسلم)، وكان قد درس حياته دراسة مستنفضة، وأنكر ما كان يروج عنه في الغرب في تلك الأزمنة من أكاذيب. وكان مشروع المسرحية ينقسم إلى خمسة فصول «الفصل الأول يبدأ بالمناجاة والاعتكاف واستعراض العبادات الجاهلية وينتهي بالهداية إلى الوحدةانية. والفصل الثاني يبدأ بالدعوة وينتهي بانهجرة. والفصل الثالث يبدأ بالنصر وينتهي بتطهير الكعبة من الأصنام. والفصل الرابع يبدأ بالفتوحات وينتهي بالسلم. والفصل الأخير تتجلى فيه نفس محمد الربانية بعد أن عرك الدنيا وأخذ منها وأخذت منه، فاستوى على مثاله وارتفع إلى أوج كماله...»

وليس من شك في أننا لا نوافق جوته على آراء مختلفة ذهب إليها في تفسير أفكار النبي الكريم ونواياه ومعجزاته، فقد حرص جوته في تلك الفترة من حياته على تفسير كل شيء في إطار مفاهيم حركة «العاصفة والاندفاع»، وما يمكن لتفسير يلتزم مذهباً جامداً أن يكون عادلاً. ولكننا نرى في هذه المسرحية التي لم تهم علامة كبيرة على الطريق لن نلبث أن نجد بعدها علامات أكبر وأعظم. ولقد كتب جوته بعض أجزاء من مشاهد المسرحية بقيت في خلفاته، وجمع طائفة منها أسماء «نشيد محمد» نصف ذبوع الإسلام بسرعة وقوة بين الناس. وهناك عدة ترجمات لهذا النشيد منها ترجمة الشاعر عبد الرحمن صدقي (عن الفرنسية) التي يقول فيها: «انظر إلى ينبوع الجبل جاشاً صافياً، كأنما هو فوق السحب شعاع دري، وقد أرضعت ملائكة الخير طفولته في مهد بين أفلاق الصخور المعشوشبة. إنه ينحدر من السحابة نثياً غميراً على صلد الجلاميد، ويتنزي منها جذلان فرحاً إلى العلا.

إنه يسير في وعر الأخاديد، يحرف أمامه مجزعة الحصاء التي لا تحصى، ويسحب في أثر أقدامه العجلى أخوة من العيون الثائرة، وكأنه المرشد الأمين. وثمة في الوادي تنجم الرياحين عند قدميه، ونحيا المروج من أنفاسه. فلا يثنيه الوادي الظليل ولا الرياحين التي تطوق ساقيه وتحاول أن تسببه بلحاظها الفواتن.

بل هو يصمد في تدفقه متسللاً متعرجاً إلى فضاء السهوب. وتبادر إليه الجداول ترفده. فيدخل السهل لامعاً كاللجين، فيتلأأ السهل بلالائه، وتطفر طرباً أنهار الوهاد وجداول النجاد، وتهيب به: «يا أخي، خذ معك إخوتك وامض إلى أهلك الشيخ، إلى البحر المحيط الأزلي، الذي يترقبنا باسطاً ذراعيه.

وا أسفا! لطلما بسط ذراعيه بلا جدوى ليضم إليه بنيه الأنضاء. ونحن في البيداء الجدياء تبتلعنا الرمال المحرقة، والشمس في كبد السماء تشفي الغليل من دماننا. ولا يستوفنا غير كتيب نستجبل عنده إلى غدير! يا أخي، خذ معك إخوتك بالوهاد، وإخوتك بالنجاد، وامض إلى أهلك! تعالوا جميعاً! «وها هوذا العباب طاماً زائحاً، ترفده الروافد، ويخلع في مجراه على الأمصار أسماءها، وتنشأ عند أقدامه المدائن. بيد أنه لا يني هادراً يتدفع، لا يثنيه أبداً ثان، مخلفاً وراءه المائر والصروح: بدائع خصبه وإنتاجه. وإنه ليقف فوق مناكبه الجبارة منشآت السفن، تخفق الألو من قلوبها فوق رأسه، وتهفو مشرعة نحو السماء، شاهدة على قدرته وجلاله. وهكذا يمضي بإخوته وكنوزه وبنيه نحو أبيه الذي ينتظره ويتلقاهم إلى صدره وهو بيع من الفرح».

### أحداث في حياته

ويمكننا أن نتقل الآن إلى عام ١٨١٤م، لنجد جوته عاكفاً على قراءة ودراسة «ديوان محمد شمس الدين حافظ» الفارسي (من القرن الرابع عشر) الذي ترجمه المستشرق النمساوي الشهير يوزف فون هامر بورجشتل ونشره في عام ١٨١٢م. وليس معنى انتقالنا السريع إلى هذه الفترة، أن جوته ظل حتى ذلك الحين بعيداً عن الاهتمام بالثقافة العربية والثقافة الإسلامية، ويكنى أن نشير إلى حكايات ألف ليلة وليلة التي عرفها في وقت مبكر جداً وبينت الأبحاث أنه ظل متأثراً بها، مغترفاً من معينها على نحو مباشر أو غير مباشر حتى وفاته. ولكن اكتشاف جوته شعر حافظ (الشيرازي) أوجد نقطة تحول في حياته وفكره، لأنه وجد في الشاعر «أخاً» له، إن صح هذا التعبير، ووجد في شعره الإسلامي الصوفي سلواناً كان بحاجة إليه، وتجديداً لحياته ونشاطه الإبداعي.

كان جوته قد أحس بشيء من الفتور اعترى عبقريته المبدعة، وبنضوب أصاب معينه الأدبي، فحاول الفرار من الواقع إلى الماضي، وراح يحكي قصة حياته في كتاب «من حياتي... شعر وحقيقة» الذي نشر الجزء الأول منه في عام ١٨١١م، والجزء الثاني في العام التالي والجزء الثالث في عام ١٨١٤م. وكان السبب في هذا الفتور بعضه خاص وبعضه عام. فقد مرت بجوته أحداث صعبة حزن لها أشد الحزن، منها مثلاً وفاة صديقه الحميم الشاعر فريدريش شيللر في عام ١٨٠٥م. كذلك حلت به بعض الأمراض مثل المغص الكلوي الناتج عن حصوة، والحمرة التي أصابت وجهه. وواكبت هذه المعاناة الخاصة، أحداث عصر نابليون التي هزت العروش، وقلبت الحكومات، وغيّرت أحوال الممالك، وأشاعت الخوف والفوضى في أعقاب المعارك الكثيرة، ولم تسلم إمارة فايمار منها، بل لم



فما على الرسول إلا البلاغ .

أما افتتاحية الديوان فقصيدة بعنوان «هجرة» .

الشمال والغرب والجنوب تتناثر  
وعروش تنفجر ، وممالك تتزعزع  
فلذ أنت بالشرق الطاهر  
لتنعم بنسيم الآباء الأقدمين

هناك حيث الطهر والنقاء  
أريد أن انفذ إلى أعماق أصول  
أجناس البشر  
حيث تلقوا من الله  
تعاليم السماء بلغات الأرض  
ولم يكذبوا أذهانهم .

حيث كانوا يبجلون الآباء  
ويرفضون كل عبادة غريبة  
أريد أن أنعم بحد الشباب  
بإيمان عريض ، وفكر قليل .  
ولقد كانت الكلمة لديهم عظيمة الشأن  
لأنها كانت كلمة يجري بها اللسان .

أريد أن أندس بين الرعاة  
وماذا ألتفتني في ظلال الحدا .  
فإذا ارتحلت مع القوافل  
تاجرت في الشيلان والبن والمسك .  
أريد أن أطرق كل سبيل  
من الصحراء إلى المدائن .  
ومهما صعدت شعباً وعرة ونزلت  
فأغانيك يا حافظ تؤنسني ،  
- نمدام نيني المدني تمتنون  
من فوق ظهر يغله العالي  
فيوقظ النجوم  
ويفزع قطاع الطريق .

يسلم منها جوته نفسه الذي هاجت الجنود بيته . ثم دارت الأيام ، وشهدت ألمانيا حرباً عارمة تهدف إلى تحرير الأمة الألمانية من الغاصب الكورسيكي .

سعد جوته بشعر حافظ ، ووجد فيه ضالته . وحدث أمران هامان في هذا الوقت بالذات ، شاء هما القدر أن يأتيا في حينها . أما الأمر الأول فهو رحلة قام بها جوته إلى المنطقة المحيطة بفرنكفورت ، مسقط رأسه ، ومرتع شبابه ، فذبت الحياة في ذكريات حبيبة ، وعاد النشاط والأمل إلى قلب الشاعر الذي بلغ السادسة والستين من عمره . وتذكر هجرة الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) من مكة إلى المدينة ، وكيف أنهى بها الرسول عصراً من المعاناة ، وبدأ عصراً من النصر والقوة والعزة والمنعة . وأما الأمر الثاني فلقاء ماريانة ، فنانة حساسة ذات فؤاد رقيق وحس مرهف ، عرفها فنشاً بينهما حب خالص ، ترسم حوله حالات مما يكون بين العشاق من هفة إلى اللقاء ، وألم للفراق ، وتأنف وشائج من التباري في قرص الشعر .

وبدا «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» يشق طريقه إلى الوجود . جوته يكتب شيئاً ، وماريانة تكتب هي الأخرى . فلما عاد جوته إلى فايمار اتصلت البريد بين ماريانة وجوته ، وظلت الصلة بين جوته وماريانة قائمة لم تنقطع ، وكان من بين ما فعله جوته قبل وفاته بعدة أسابيع إعادة خطابات ماريانة التي جمعت لديه إليها ومعها قصيدة تم عن الحب والتقدير . وظلت مشاركة ماريانة في الديوان سرّاً لم يكشف إلا في عام ١٨٥٩ م . كشف بائنة نفسها لهرمن جوتيم قبل وفاتها بعام واحد ، وعرف الناس منذ ذلك الحين أن زليخا في الديوان هي ماريانة ولم يكن قد غاب على أحد أن حاتم هو جوته .

ظهر «الديوان الشرقي» مطبوعاً في «المطبعة» في «شلسون» بين ١٨٦٠ و ١٨٦١ م . في ١٨٦١ م ، أصدرت مكتبة «موسكوفسكي» في «لننبرج» في عام ١٨٦٩ م . ونقشه الديوان إلى اثني عشر كتاباً تحمل أسماء فارسية (أغلبها من أصل عربي) وأسماء ألمانية مطابقة لها : كتاب المغني - كتاب حافظ - كتاب العشق - كتاب التفكير - كتاب الأحزان - كتاب الحكمة - كتاب تيمور - كتاب زليخا - كتاب الساق - كتاب الأمثال - كتاب الهارسي - كتاب الخلد . بل إن الديوان في مجموعه حمل عنواناً بالعربية هو «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» وعنواناً بالألمانية ترجمته : الديوان الشرقي الغربي . كما تضمن نصاً بالعربية هو :

سيلويستر دساي

يا أيها الكتاب سر إلى سيدنا الأعز

فسلم عليه بهذه الورقة

التي هي أول الكتاب وآخره

يعني أوله في المشرق وآخره في المغرب .

ونصاً بالفارسية مأخوذاً من كتاب گلستان (الروضة) لسعدي الشيرازي معناه :

لقد قدمنا هنا النصيحة الخالصة

وقضينا في تدبيرها أياماً من حياتنا .

فإذا استقبلت خبرتها أذان بعض الناس

هكذا يتوغل جوته منذ البداية في حياة العرب وقد وجد فيها ضالته المنشودة . فالشرق لديه هو الطهارة والنقاء والصفاء . إنه يحب الصحراء بياديتها ، وطرقها البويرة ، وواحاتها ومدائنها ، ويحب القوافل ورحلاتها ، والتجار وما يحملون من عطور وتوابل وثياب وطُرف ، ويحب السماء الرحبة والنجوم ، ويمضي نفسه بحياة رغدة بكل ما في الشرق من ترف ، والمحبوبة التي يهمس إليها فتحب همسه ، وبالمغني



الذي يرسل فتشق أجواز الفضاء ، وتبلغ عشان السماء ، ويرى في الغشاء راحة لصاحب القلب الرقيق ، ويرى فيه قوة تفزع العتاة . وهو يهرب إلى هذا الشرق لأن الدنيا كلها بشاها وجنوبها وغربها قد اضطربت واختلت موازينها ، ولم يبق من أمل إلا في الشرق ، لأن الشرق مهد الرسالات ، وصاحب الأصالة التي لا ينازعه فيه منازع ، وصاحب المبادئ الثابتة والتعاليم السمحة . والشرق مهد التراث ، يتلقى فيه الأبناء عن الآباء ، منذ أبيهم إبراهيم ، إلى نبيهم الكريم ، كلمات حفظتها الصدور ، تنير الطريق وتؤدي بصاحب القلب السليم إلى النعم المقيم . وإذا كان الشاعر قد هجر أهله ووطنه سعياً وراء الإيمان ، فإنه يرجو أن يدخل بكتباته الصادقة جنة الخلود .

وقد تأمل جوته القرآن وأطال التأمل ، وأدخل منه في ديوانه الشيء الكثير ، في القصيدة الثالثة من الكتاب الأول نقراً :

لقد جعل الله لكم النجوم  
لتهديكم في البر والبحر  
وزينة تتمتعون بها  
عندما تنظرون فوقكم إلى السماء .

وراء هذه الأبيات الآية الكريمة : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ ( الآية ٩٧ من سورة الأنعام ) . ويمكننا أن نقوم بجولة بين جنبات الديوان ننظر في أثنائها خاصة إلى القصائد التي ترتبط بالقرآن ارتباطاً وثيقاً . هذه هي القصيدة الرابعة من الكتاب الأول ، تحمل عنوان « طلاس » :

سبح لله المشرق  
ولله المغرب .  
وأرض الشمال والجنوب  
ساكنة في سلام يديه .  
هو الله الواحد الأحد العادل  
يأمر بالعدل  
فتبهجوا بهذا الاسم من أسمائه الحسنى  
وارفعوه مكاناً علياً . آمين .

يريد الأديب أن يضيئ  
ولكنك يا ربي تهديني  
فاسلك بي سواء السبيل  
فما أعمل وفيما أكتب من شعر .

ولو فكرت في الدنيا  
فإني أسعى بفكري لنفع عظيم  
وإذا لم يتبدد فكري مع التراب  
فإنه يندفع إلى ذاته ويندفع إلى أعلى .

والتنفس فيه نعمتان  
نعمة الشهيق ونعمة الزفير ،  
الشهيق فيه العسر ، والزفير فيه اليسر .  
ومنها معاً تألف الحياة وهي معجزة .  
فاحمد الله في العسر  
وأحمد الله عندما يجعل بعد العسر يسراً .

والحق أننا عندما نترجم هذا الشعر نجد صعوبة كبيرة لأننا نحاول أن نستشف الألفاظ القرآنية التي لم يعرفها جوته في صورتها العربية ، ولكنها كانت نجو في خاطره من خلال الترجمات . تبدأ القصيدة متأثرة بالآية الكريمة : ﴿ قل لله المشرق والمغرب ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . ثم تمر القصيدة بعد ذلك على أسماء الله الحسنى ، وتقف من بينها عند « العادل » . والتوسل إلى الله وطلب الهداية إلى سواء السبيل كثير في القرآن : ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ و ﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ . والتفكير في الدنيا بقصد الخير مطلوب في الإسلام : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ . وآية العسر الذي يأتي بعده اليسر معروفة : ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ .

إلى هذا الحد تشيع جوته بمعاني القرآن الكريم والفاظه . وما هذه إلا قصيدة واحدة من قصائد كثيرة . هناك في الكتاب الأول نفسه قصيدة بعنوان « الخلق والإحياء » يقول فيها :

الذي آتاه الله  
خلق الله منها الإنسان  
ولكن الإنسان جلب من بطن أمه  
الكثير من الحباث .  
ونفخ الله في أنفه  
أكرم روح  
فبدا أعظم مما كان  
لأنه طفق يعطس .

.....



تقول الآية الكريمة في سورة « المؤمنون » : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ وجاء في أكثر من موضع بالقرآن الكريم أن الله نفخ فيه من روحه جل وعلا : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ . ويتحدث القرآن عن الإنسان الذي يضل : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ و ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ . وأما أن الإنسان قد عطس بعد أن نفخ الله فيه من روحه فشيء ورد في نصوص دينية كثيرة تحدث عنها



المستشرقون الذين قرأ جوته لهم ، ورد مثلاً في العرائس للتعليبي « ... ثم نزلت - أي الروح - في خياشيمه فعطس » .

ولقد وصلت معرفة جوته بالقرآن إلى الحد الذي مكنته من الدخول فيما يشبه الحوار مع علماء المسلمين أنفسهم حول القرآن وأزليته وخلقه ، وصاغ ذلك كله في أسلوبه اللطيف سيرة لستة .



« كان الناس عندما يتلون القرآن يذكرون السورة والآية

وكان كل مسلم يحس بما ينبغي له أن يحس به من السكينة والمهابة في ضميره .

أما الدراويش المجد فلا هم لهم إلا اللغو في القديم وفي الحديث فشاع الاضطراب وزاد .

أيها القرآن الكريم . أيتها السكينة الدائمة » .

كذلك نفراً :

« هل القرآن قديم ؟

هذا سؤال لا أسأله .

هل القرآن مخلوق ؟

هذا ما لا أعرفه .

أما أنه أم الكتاب

فذلك ما أؤمن به وذلك واجب كل مسلم » .

وهنا يعالج جوته مشكلة من المشاكل المعروفة في تاريخ الفكر الإسلامي ، مشكلة خلق القرآن التي اختلف حولها الفقهاء والمتكلمون أشد الاختلاف ، وكان أهل السنة يرون أن القرآن قديم ، أما المعتزلة فذهبوا إلى أنه مخلوق . وقد بلغت هذه المشكلة مداها في عصر المأمون الذي استصوب رأي المعتزلة واعتبره الرأي الرسمي الأوحد ، وحرّم الآراء الأخرى وعذب المشايخ بها وقتلهم ، وكان الإمام أحمد بن حنبل من بين من أودوا وعذبوا لقوله إن القرآن قديم .

وإذا كانت قصة أهل الكهف قد أثرت على تطور فن القصة عند العرب بعد الإسلام ، واحتلت مكاناً خاصاً وقد حكاه القرآن الكريم فيما حكى من أحسن القصص ، فليس من المستغرب أن يهتم بها جوته في ديوانه . ونحن نطالع في « كتاب الفردوس » قصيدة بعنوان « سبعة نيام » أو إذا شئنا : أهل الكهف :

سنة من أصحاب الخطوة في البلاط

فروا من غضب القيصر

الذي أمر القوم بأن يعبدوه إلهاً

فظهر عجزه عن أن يكون إلهاً :

لأن ذبابة منعتة

من أن ينعم بالشهي من الطعام .  
ولكم طارد فتياه الذبابة بمنشآت صاعدة هابطة  
ولكنهم عجزوا عن الخلاص منها .  
وظلت تحوم حول القيصر وتلسمه ، وتركه  
وتصيب الجالسين إلى المائدة جميعاً بالحيرة والذهول ،  
وسرعان ما تعود إليه كرة أخرى  
وكأنها مبعوث رب الذباب الخبيث .

وقال الفتية : عجباً

هل تعجز الذبابة إلهاً ؟

وهل يمكن أن يشرب الإله ويأكل

مثلنا ؟ كلا ، إن ربنا هو الواحد الأحد

الذي خلق الشمس والقمر

وجعل من السماء ذات النجوم المسرجة قبة فوقنا

هذا هو ربنا ، فالفرار الفرار .

وتلق الفتية الصغار وما عليهم إلا خفيف الثياب والنعال

راع ، فخبأهم ، وآوى معهم إلى كهف في الصخر .

وعز على كلب الراعي أن يرحمهم

كان طريداً كسير القدم

فتمسك بسادته

وانضم إلى الخبيء

إلى من أحبوا الوسن .

وفكر الأمير الذي اعتزلوه

في عقاب ، وقد استبد به الغيظ

فنحى السيف جانباً وكذلك النار

وأرسل إلى الكهف طويلاً

وأمر بأن يبني به وبالجير سداً عليه .

واستغرقوا في نومهم

وحمل الملاك الحفيظ الموكل بهم

إلى عرش الرب خبرهم :

لقد قلبتهم

ذات اليمين ، وذات الشمال

حتى لا يمس دخان التعفن بالضر

أعضاءهم الجميلة الفتية .

وشققت شقوقاً في الصخر

حتى تجدد الشمس ، إذا طلعت ، وإذا غربت

خدودهم الفتية .

وهكذا فهم رقاد ينعمون .

وكلبهم باسط ذراعيه صحيحتين



وأحاط به أحفاد الأحفاد زمرة  
أمة من الشجعان  
وبجلوه كبيراً لهم وهو أكثرهم شباباً .  
وتجلت العلامة بعد العلامة  
حتى استقام الدليل .  
وأقام هو الدليل على من يكون  
ومن يكون رفاقه .  
ثم عاد إلى الكهف  
والشعب يصحبه والملك .  
ولم يعد الصفوة  
لا إلى الشعب ولا إلى الملك  
لأن السبعة ، وثامنهم كلهم ،  
اعتزلوا الدنيا وما فيها  
من قديم الزمن  
وشاءت إرادة الله  
أن تضمهم قدرة جبريل التي لا يعلم سرها أحد  
إلى الفردوس  
فبدا الكهف موصداً .

في هذه القصيدة الكثير من قصة أهل الكهف كما وردت في القرآن الكريم  
(سورة الكهف) ولكنها تستند على نحو أكبر إلى مواد أخرى مثل قصة الثمود التي  
أوردها الثعالبي في عرائسه ، وقصة اضطهاد القيصر (دقيوس في القرن الثالث  
الميلادي) . وكان المستشرقون الأوروبيون قد عرفوا هذه الأشياء ودونها ، وقراها  
جوتة في مختارات يوزف فون هامر پورجشتال التي أسماها «كنوز الشرق» ،  
ويمكننا أن نكون صورة عن تبحر جوتة في الدراسات الشرقية ، وبخاصة الإسلامية ،  
عندما نطالع ملحق الديوان وما يشتمل عليه من أبحاث ودراسات وتعليقات كثيرة .  
وقد عرف جوتة الكثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل  
الحديث القائل : «استوصوا بالنساء خيراً» ، فإنهم خلقن من ضلع ، فإن ذهبت  
نقيمه كسرتة ، وإن تركته لم يزل أعوج » . ونقله إلى ديوانه قائلاً :

عاملوا المرأة بالرفق  
فقد خلقت من ضلع أعوج  
فإن ذهبت تقيمه كسرتة  
وإن تركته ازداد عوجاً .  
مسكين أنت يا آدم ، هل بليت بمحنة أقسى من هذه ؟  
عاملوا المرأة بالحسنى :  
فليس من الخير أن يتحطم ضلع من ضلوعكم .

ومن أقوال جوتة في الديوان :

إذا كان الإسلام يعني الاستسلام لله  
فإننا جميعاً نعيش ونموت على الإسلام .  
فهو لا يقف عند هذا الحد بل يبرجو دخول الجنة كما يدخلها المجاهدون ، فهو  
يقول للحورية :  
اسمحي لي بدخول الفردوس :  
لقد كنت إنساناً  
ومعنى هذا انني كنت مجاهداً .



ينام نوماً حلواً .  
ومرت الأعوام وكرت  
وصحا الفتية  
وتداعى الجدار  
وقد تحلل بفعل السنين .  
وقال يامبليكوس الفتى الجميل  
أطول الجميع باعاً في الأدب  
عندما رأى الراعي خائفاً يتردد :  
إني ذاهب لآتيكم برزق من زكي الطعام  
مخاطر بجيأتي ويقطعة الذهب .

وكانت أفسوس منذ سنين  
قد آمنت بدين النبي  
عيسى عليه السلام .

فانطلق . فإذا الباب والحارس  
والصرح وكل شيء تغير .  
ولكنه أسرع إلى أقرب مخبز  
وطلب خبزاً .

فصاح الخباز : تباً لك  
هل عثرت على كنز يا أيها الفتى .  
لقد فضحتك قطعة الذهب  
فاشتر ينصف الكنز يسكوئي .

وتنازعا . وعرض الخلاف على الملك  
وإذا بالملك يريد القسمة  
كالخباز .

وتتابعت الشواهد البينة عدتها مائة  
وتحققت المعجزة .

وعرف الفتى كيف يثبت حقه  
في قصره الذي كان قد بناه بنفسه .  
فما نقبوا عن عمود سميك  
حتى انتبوا إلى كنوز أسماؤها مبينة .

وسرعان ما تجمعت العشائر  
تقيم على النسب الدليل .

وكان الجد القديم ، يامبليكوس بوجهه الوضاح  
يقف بينهم في عنفوان الصبا .  
وسمع الرهط يتحدثون عن ابنه وأحفاده  
حديثهم عن الأجداد القدامى .



## الدكتور المهدي بن عبود في سطور

- ولد بمدينة سلا بقرب مدينة الرباط - المغرب في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ م .
- دخل الكتاب العام ودرس بمدرسة أنشئت في منزلهم كان يقوم عليها أخوه الأكبر .
- التحق بالمدرسة الابتدائية الحديثة ، ثم الثانوية وكانت الدراسة أغلبها بالفرنسية .
- منذ صباه زاول بعض الأعمال التجارية مع الدراسة .
- درس الطب بفرنسا .
- ابتعث للولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الأمراض الجلدية .
- كان مبعوثاً للحركة الاستقلالية المغربية سنة ١٩٥١ م .
- انضم إلى المقاومة المسلحة وكان مبعوثاً بالشرق الأوسط .
- عين سفيراً بعد الاستقلال في الولايات المتحدة الأمريكية ومندوباً دائماً للمغرب في الأمم المتحدة .
- عام ١٩٦١ م ، عاد إلى مهنة الطب .
- ألقى عدداً من المحاضرات الدسقية بالجزيرة العربية ، المغرب ، الجزائر ، تونس ، ليبيا .
- شارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية العالمية والعربية .



د. المهدي بن عبود



أجرى اللقاء  
محمد مبارك

# الاسلام والعصر

## الإسلام .. والعصر

● « من الضروري أن تتصف عقيدة المستقبل بأوصاف معينة ، طبعاً هذه الأوصاف غير محصورة ولا يمكن أن يرى منها أي إنسان إلا ما قدر له أن يرى منها .

وعقيدة المستقبل يجمع بها الإنسان شملان .. روحه وجسده .. أما في العصر الحاضر ، فنرى صيحات كثيرة تدعو إلى أن الدين في جهة والدولة في جهة أخرى ، وجعلوا التدبير الإلهي في ناحية والتدبير البشري في ناحية أخرى . وعندما يقول قائل إن الإسلام طيب ولكن العصر الحالي فيه هذالة اجتماعية وهناك تقدم في المجتمع والطبقات تتطاحن ولا بد أن تضاف هذه الأشياء إلى الإسلام .. فنقول له على الفور :

إن الله غني حميد ، فالعقيدة جامعة مانعة جاءت لترتق الفتن كما يقولون وهي في نفس الوقت مانعة لغيرها فكل إضافة تشويه . ويقال في الأساطير اليونانية إن نحاتاً أراد أن ينحت أجمل النساء على وجه الأرض فأخذ أجمل أنف وأجمل فم وأجمل شعر وأجلى عين وأنضر وجه إلى آخره ورتق بينها فكائنات .. أبشع فتاة في الأرض وذلك لعدم مراعاة التناسب والتنسيق بين الأجزاء .. لذلك خلق الله كل شيء بقدر محدود .

وعلى ذلك فالوصف الأول للعقيدة في المستقبل هو الترميم والتنسيق ، أما الوصف الثاني فهو التكامل .. فهي متكاملة مع بعضها البعض كما أن العالم متكامل مع نفسه والله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء

في لقائنا مع الدكتور المهدي بن عبود .. العالم والمفكر الإسلامي الذائع الصيت .. ناقشنا عدداً من مواضيع الساعة ، ومواضيع المستقبل .

لم نشأ أن يكون حوارنا ولقاءنا مع الدكتور المهدي بن عبود محصوراً في إطار ضيق وفي موضوع واحد .. بل أردنا أن نساق به مع اهتماماته ، وتعدد معارفه التي عرف بها . فالرجل يمثل نموذجاً جيداً للفكر الإسلامي المعاصر المتصل بكل العلوم والفنون والمعارف الإنسانية ، وهو صورة للمفكر الحقيقي البعيد عن التزمّت ، والتقوقع ، والرفض مجرد الرفض ، أو القبول مجرد الرضا الشخصي ، ولكن الرفض والقبول عنده ينبثقان من قناعة ، وينهلان من حقيقة .

ولكي يستمتع القارئ بحديثه الموثق المورق المفيد نكتفي بهذا المدخل البسيط الذي نعتزف أنه لا يعطي الرجل حقه .

## عقيدة المستقبل

● الإسلام كعقيدة تهدي الإنسان .. كيف يجب أن تكون في المستقبل ؟



خلقه ثم هدى ، والإنسان خلق في أحسن تقويم وهو جزء من الألقاع المتناسب لعجلة الحياة . وصفة التكامل تعني تقنين الاجتماعيات والنفسانيات والماديات .

﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾ وخبر الأمور أوسطها ، فالفضيلة هي الوسط بين رذيلتين ، والشجاعة هي الوسط بين التهور والجبن . هذا التكامل كان كافياً لأرجاع العقافلين في القرون العشرين الذين يتشدقون بالحضارة .

وكثير من أصحاب المذاهب الغربية ماتوا حتى لعدم وجود التكامل بين أفكارهم واحتياجات أرواحهم وأجسادهم أو طغيان إحداها على الأخرى .

والأمة الإسلامية أمة وسطاً ، والإسلام لا يفهم إلا باستمرار التفكير فيه والتعمق في معانيه .

وعقيدة المستقبل تضمن انتصار الحق على الباطل ، وإن انتصر الباطل في أولى جولاته مع الحق . والإيمان هو الضمانة العليا لنصرة الحق على الباطل . . . والآن نقرأ عجباً في الصحف والمجلات الأجنبية وحتى من أعداء الإسلام حيث يعترفون بأن الإسلام هو العقيدة التي يمكن أن تسعد الإنسان وتشفيه من أمراضه وتشفي غليله ووصفوها بالتكامل ولم يجدوا عقيدة وحيدة على وجه الأرض تحل محله أو تمثل مكانته ورأوا ضرورة الرجوع إلى أصوله .

وهذه العقيدة المرغوب فيها في المستقبل تتوافر فيها كل ما يرضي القلب والجسد وتشبع رغبات الإنسان في حلاله وتمنع الإنسان من أن يوغل في الشر وتغنه الشعور بالقوة والسعادة مع الكرامة والعزة ولا يكون كل ذلك مستقبلاً إلا كما كان في الماضي بالعقيدة الإسلامية ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . . . »

### الشباب المسلم

●● يلاحظ أن بعض الشباب المسلم حين يقرأ أو يتتقف يتجه نحو الثقافة الغربية أو الشرقية فما رأيكم في شباب اليوم وكيف نقوم إسلامه وننمي لديه ثقافة تنفعه وتفيده؟

● « معرفة الدواء تقتضي أولاً معرفة الداء وتشخيص المرض ، فالداء يظهر على الشكل الآتي عندما نتكلم عن الشباب فإنما نتكلم عن سن معين لم يكتمل تكوينه بعد ، والثيء الثاني أن الشباب مثل الكهول أنواع

بحسب طباعهم ، فهناك الطبع المتزن ، وهناك الطبع المتهاافت ، وهناك الطبع المتهور ، وهناك الطبع المحرف ، وهناك الطبع الخامل ، إلى غير ذلك . وهذه الطباع يختلط في ذهن أصحابها الفرق بينها وبين العقول ، فالعقول كذلك أنواع هناك العقل الهندسي الخضر ، وهناك العقل العلمي الخضر ، وهناك العقل الذوقي ، وهناك العقل الشعوري العاطفي ، وهناك العقل العاطفي ، وهناك العقل الفلسفي ، وهناك العقل السطحي إلى غير ذلك .

★ أولاً ينبغي أن نتعرف على شبابنا وأن نعرفهم بأنفسهم بحسب علم الطباع من ناحية وبحسب اختلاف العقول وتفاوتها من ناحية أخرى . هذا هو الشيء الأول .

★ أما الشيء الثاني فنظراً لعدم تكوينهم تكويناً كاملاً حيث ينقصهم ما يقرب من ٢٠ سنة إلى ٣٠ سنة من المطالعة و ٢٠ إلى ٣٠ سنة من الأسفار واختيار الناس ومشاهدتهم ومخالطتهم و ٢٠ إلى ٣٠ سنة ، مما يدعى بالمحاولات والأخطاء إلى غير ذلك . . . فالتجربة هي أكبر معلم وهم ينقصهم أغلب ما ذكرته فيستجرفون مع من يعظمونهم في قرار أنفسهم فهم يرون أن الغرب قوي إذن ينبغي أن يعظم وكل ما يخرج من الغرب يكون في نظرهم صالح . . . وهذا تفكير ساذج وينبغي أن ينهوا هذه الساذجة بانتقاد ما يصدر من الغرب وإظهار سذاجته أو أغراضه أو إيضاح أخطائه ثم حتى يكتمل تكوينهم العلمي وعقلهم العملي ومنهجهم العلمي إذ بدون العقل العلمي لا إسلام صحيح .

★ الشيء الثالث - ألا يكون الشباب المسلم ضحية لمغرضين ، وهنا ندخل في مشكلة شائكة جداً وهي أن الحركة الصهيونية تتخذ من الحرب النفسية وسيلة لإضعاف العقول المسلمة وبالتالي تضعف مقاومتها وذلك بوسائل شتى .

● التحزيق السياسي بتشتيت الناس إلى أحزاب .

● إضعاف العقيدة الدينية الحقيقية التي من شأنها أن تقاومهم مقاومة جبارة نظراً لروح النقد في روح الاستشهاد فيها فهم يضعفون الدين بتشجيع كافة السبل والأحزاب التي لا تناصر الدين مهما كانت يمينية أو يسارية . فالأموال تندفق وشياطين الإنس يتسربون إلى هذه الأحزاب ويشجعونها ويسعون لإحداث القلاقل ويمرضون الناس فيها إذا ما كان الحكم يقاومهم . . . ولا أدل على ذلك من بركة صدرت بعد ٥٠ سنة من تاريخها ضمن نشرة الوثائق السرية في الولايات المتحدة الأميركية ، وقد صدرت البرقية من الملياردير العظيم بمن يسمى روتشيلد الولايات المتحدة الذي كان في أيام ويلسون . . . وقد





الشباب فدور الكهل يكمله الشاب . . فالأول عليه الحركات الإصلاحية والفكرية والتعميقية فيما يتعلق بالاستبصار في الأمور وعلى الشباب الحركات الجهادية التي تحتاج إلى قوة أيدانهم فنرى إذن أن الموضوع متشعب الأطراف والقذوة الصالحة تنير طريق الشباب المسلم في الأسرة والبيئة والمجتمع .

ويجب على الأمة الإسلامية أن تقدم لشبابها البديل الثقافي الإسلامي الذي يغني شبابها عن التزود من ثقافات غريبة سواء غربية أو شرقية .

### الإعلام الإسلامي

#### ●● الإعلام الإسلامي ما دوره في التعريف بالإسلام ؟

« الإعلام الإسلامي بمعناه الإعلام القائم على الأسس الربانية الإسلامية هذا ينبغي أن يوجد . وهناك إعلام المسلمين ، والإعلام الإسلامي ، فإعلام المسلمين تابع للحكومات في الدول الإسلامية وإذا كانت صالحة سيكون الإعلام صالحاً وإذا كانت فاسدة مستبددة فسيكون الإعلام لخدمة الحكم القائم وليس لخدمة الأمة الإسلامية .

أما الإعلام الإسلامي وهو المبني على نصرة الحق بطرق الحق ، لا بالالتواء ، ولا بالخدعة . . لا بالكذب الكبير الذي يصعب تكذيبه بعد أن ينتشر ويرسخ في الأذهان ، لا بمخادعة الناس لأن الإسلام جاء ليبرز لهم صورتهم الفطرية التي خلقت في أحسن تقويم فلا ينبغي أن تكون وسيلة الإيصال لهذه الصورة وسيلة في غير أحسن تقويم وإلا ستكون وسيلة عصيان لتبليغ الحق والعصيان لا يبلغ بالحق .

فهنا الموضوع طويل ومشعب لأنه مبني على علوم ، والإسلام علم ، والله سبحانه وتعالى عندما يتوجه لرسوله الكريم يقول ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ لا من الأيديولوجيات ولا العقائديات ولا المذاهب الفلسفية والشطط .

العلم ، والعلم الثابت الصالح الدائم القويم وهذا سيكون قدوة حسنة وبواسطة هذا الإعلام الذي هو مناهج ستكون الغاية المقصودة مربوحة نصف الطريق نظراً لأن الناس يتأثرون بالاستقامة حتى العدو يتأثر بالاستقامة ويعظم صاحبها وهذا ثابت بتجارب الأمم وتجارب الأفراد في نفس الوقت . فالإعلام الحقيقي هو القائم على الحق ، لأن الحق قوة لا تماثلها أي قوة .

أرسل هذا الملياردير برقته إلى لينين يقول له فيها إنه فتح حساباً بأحد بنوك ألمانيا ليمول ذلك الصهيوني ثورة لينين الشيوعية ، ويرقية أخرى بعد نجاح الثورة الشيوعية بهته فيها بالإطاحة بحكم كان يحارب . . أبناء جلدتنا اليهود .

ونفس الشيء يقع في عدد من الأحزاب التي تسمي نفسها تقدمية أو ثورية أو مادية أو غير ذلك نظراً لكون اليهود يتسربون إليها أو يكونوا هم الذين أسسوها في أول الأمر ، ولا أدل على ذلك من التجربة المرة التي ذكرها قدرتي قلعجي في كتابه « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » رأى بأن الحزب الشيوعي اللبناني والسوري والمصري والعراقي أسسها يهود ، بعضهم جاء من روسيا بحيث نرى أن الشبان عندما يتهافون على الأفكار الآتية من الغرب فإننا ينبغي أن ننبههم باحتيال وقوعهم في شرك الشيوعية أو الصهيونية .

وهناك موضوع آخر ألا وهو التقليد الأعمى ، فكلما كان الإنسان صغيراً اتبع أسلوب التقليد لأن التقليد هو صديق الصغار وعدو الكبار ، فالصغير دون تقليد لا يتعلم أن يتكلم أو يمشي أو يكتب ، هذا التقليد الذي هو عبارة عن مناهج يسلكه ضعاف الإرادة لأن الابتكار ينبغي مجهود وينبغي طول الزمان وينبغي عمق ومثابرة يمكن أن ترهق الإنسان وينبغي تجربة طويلة مع استبصار مع تفتح القلوب للبصيرة .

والاستبصار هو أخذ العلم مع الاعتبار بهذا العلم ومع أخذ الحكمة الداخلة في هذا العلم والاعتبار هنا هو الاعتناظ من الخطأ واتباع طريق الصواب والنجاح . . هذا من جهة ثم تأتي مسألة الطباعة فبكيفية عامة قام البرهان في علم النفس المتعلق بوصف طباع الناس أن المتهورين والمغامرين دائماً أقلية وتلك الأقلية دائماً هي التي تكون المواقف المتطرفة حيث تكون على يد أناس عددهم قليل ومغامرون ومتهورون إلى حد الشطط والحمق ومنهم من يريد تقريباً أن يؤله نفسه ولا أدل على ذلك من النموذج الكاريكاتوري الذي ظهر في شخص بوكاسا بنو كاسا ذلك الشخص الكاريكاتوري جاء ليوقظ الناس الغافلين من غفلتهم وكأنه رحمة من عند الله ليتعظ به الناس وليعلموا أن هذا الطراز الغريب لم يكن متقدماً في نوعه وسط ملايين البشر فلا بد له من أشباه حقاً قول الشاعر العربي « إن البواكس في الدنيا بلا عدد » ونرى أن المسؤولية ليست دائماً على الشباب بمفردهم ولكن المسؤولية تتقاسمها الأسرة بأسرها ، وهنا يدخل طور الأمة الإسلامية الحاكمة والحكومة فالمسؤولية مشتركة بين الحاكم والحكوم ، هذا ويتعاون الكهل مع



## الإنسان والأمانة والتوافق

● وماذا عن الإنسان .. وتحمله الأمانة .. وتوافقه مع روحه وعقله ومجتمعه؟

● « لقد خلق الناس حسب تعاليم ربانية لينسج لهم التشابه المعنوي والنفاهم العقلي رغم اختلاف الألوان واللغات والأجناس ومسقط الرأس والماضي فيما نسميه اليوم بالحضارات ، كل ذلك لتكون للإنسانية صورة صالحة مطابقة للمشيئة الربانية العليا ، أي مطابقة للنقطة التي خلقت عليها مرتبطة بميثاق ، أي معاهدة بين الخالق والمخلوق ، رحمة من الخالق وتكريماً للمخلوق حتى تكون هناك بين العليّ القدير الذي لا حد لأضلاق علمه وحكمته وقوته يكون هناك ميثاق لتنجلي في أوضح معانيه صور التفضيل والتكريم والقدرة لهذا المخلوق البشري نظراً لكون سائر المخلوقات يحتاج هذا التكريم والتفضيل ، وقد خلقت لتكون مسيرة هذه المشيئة الربانية في القوانين الظاهرة والقوانين الباطنة وما يمتلج في الصدور . إذا كان هذا الإنسان مُكرماً هذه الدرجة حتى يكون بينه وبين ربه ميثاق فهو إذاً حر ليكون مسؤولاً وهذا ينبغي أن يستحق هذه الحرية حتى تتوضح في ذهنه لماذا أُنشئت سائر المخلوقات من أجل الأمانة وحملها

إذن الحق هو طريق الصواب للتوافق بحسب لغة علم النفس وعلم الاجتماع اليوم ، أو التكيف مع الوجود . والوجود المطلق لله سبحانه وتعالى والوجود المحدد هي البلاد التي نعيش فيها واللغة التي نتكلم بها والمعاني التي تجري في عقولنا إلى آخر ذلك .

وهذا التكيف يكون غير محصور كما هو اليوم بمفهوم علم النفس وعلم الاجتماع فالتكيف مع البيئة الجغرافية يقتضي تغيير اللباس بين خفيف وثقيل . ثم إن المدن لا تكون إلا بقرب الماء في أغلب الأحيان يقول تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ إلى غير ذلك .. هذا التوافق الظاهري المحدود هو توافق موجود حقيقي ولكنه جزئي .

وإلى جانب التوافق مع البيئة الجغرافية هناك التوافق مع البيئة الاجتماعية ولذلك نزلت الشرائع لتربط بين النفوس المجزأة وهي نفس واحدة في أجسام مختلفة .

ثم هناك توافق ما بين الإنسان ونفسه وهنا يدخل ألم المدينة المعاصرة التي مزقت الإنسان من نفسه شطرين شطر يسمى بالروحانيات

والمعنويات وشطر يسمى بالماديات إلى حد أن هذا التمزيق آل إلى الغفلة بشيآن المعنويات والمعنويات العليا مع التشبث بملاء الفسارغ أو التشبث بالماديات والدخول في الوثنيات .

فالتوافق بين الإنسان ونفسه لا معنى له إلا إذا استمد أساساً قوياً يكون حجة له أو عليه وهذا الأساس هو الأسماء والصفات الإلهية . فالعلم من العلم ، والقدرة من القدير ، والرحمة من الرحيم ، والرفقة من الرؤوف .. الخ .

والعقل أساس التوافق بين الخالق والمخلوق .. فلولا العقل لما بقيت هناك أمانة يتحملها الإنسان . ولا يكون مدلول جعل الإنسان خليفة لله في الأرض .. فالحنون لا ربط بينه وبين ربه ، والرضيع مربوط بربه كسائر المخلوقات لكنه غير مكلف فلا بد أن يتوافق الإنسان مع عقله . وكما علمنا القرآن الكريم عندما يقول : ﴿ قلوب يعقلون بها ﴾ .

وهناك دائرة أخرى ينبغي للإنسان أن يتوافق معها وهي دائرة الإيمان المطلق الذي لا يكون إلا بالغيب .

فإذا تمشى الإنسان مع هذه السنن التالية لن يجد لها تبديلاً ولا تحويلاً يكون مجتمع الشمل ، شكلاً وموضوعاً تابعاً للشرائع ، وقوانين الأخلاق ، : دائرة الإيمان بالمشيئة الربانية وهي الإيمان بالغيب .

﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ .

كما أن الإنسان يجب أن يتوافق مع عالم المحسوسات ، وأولها أن يتوافق مع جسمه فلا يحمله ما لا يطيق ويتعدى حدود الله . وإذا ما فرغ القلب من ذكر الله ووقع الإنسان في شرك الملذات والانهاك فيها لأطفال الألم الذي ألم بالنفس بعد فراغ القلب يقع الجسم في المرض ثم يتلو ذلك مرضاً اجتماعياً ويكون الإنسان جائراً على أخيه بدلاً من أن يكون له كالبنیان المرصوص يشد بعضه بعضاً » .

## بين العلم والعلوم

● وعن العلم والعلوم والفرق بينها قال :





وثانياً للشوق إلى التجديد في الدعوة .

### المؤلفات الأجنبية

#### ● ما رأيكم فيما يصدر من كتب ومؤلفات عن الإسلام في بلاد الغرب وعالم الاستشراق؟

● «الحكم على الشيء فرع من تصوره ، إذن لكي نحكم على هذه الكتب والمؤلفات ، فإنه ينبغي تجميعها والبحث عنها في مكتبة معينة تخصص بما يصدر في الغرب عن الإسلام بكيفية عامة وعن أركان الإسلام بكيفية خاصة ؛ شيء آخر ، فلنعمل أن الله قد خلق الناس أنواعاً وأن المستشرقين يمكن أن يتصورهم الإنسان على أربعة أنواع .

★ النوع الأول : هو النوع المغرض الذي كان دائماً في ركاب الجيوش المحتلة للبلدان الإسلامية وكان يواكبها ويواكب أوامر المحتل في استعمارهم للرقعة الجغرافية ، كما ينبغي أن يستعمر الناحية العقلية واللغوية والفكرية بتحقيق لغة البلاد وهي لغة القرآن الكريم ، وتغيير تصور الوجود الإسلامي في ذهن الإنسان بغرض فرض تصور الوجود الغربي كما يتصوره الغربيون أنفسهم رغم ثورتهم عليه اليوم .

★ النوع الثاني : أعداء الإسلام صراحة الذين يقومون في عصرنا الحالي بحرب نفسانية شعواء على طريق الاستشراق .

★ النوع الثالث : بعض العلماء الذين يريدون الاحتفاظ بالنزاهة العلمية مع محافظتهم على ديانتهم إذا كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين ، أو على موقفهم الإلحادي إذا كانوا لا يؤمنون بشيء ولكن من الناحية العلمية يريدون أن يقوموا بدروس نزيهة رغم كونها دروس شخصية وفردية ومعرضة للخطأ وهذا ينبغي الاحتراز منه .

★ النوع الرابع : من يتندي منهم إلى الإسلام ويصبح مسلماً فهذا ينبغي تشجيعه والتعرف عليه لأن التعرف عليه فيه تشجيع ضمني مثل «مونتغ» المستشرق الفرنسي الذي أعلن إسلامه مؤخراً ومثل «بركهارك» في سويسرا وهو من أكبر المسلمين المؤمنين المعروفين اليوم في الغرب وأيضاً مثل «ميشيل» الفرنسي الذي كان إلى السنة الماضية في وزارة الثقافة بالرباط كمساعد عن طريق منظمة اليونسكو وحسن إسلامه ورأيناه في بيته يصوم رمضان .. وغير هؤلاء .

إذن كل ما جاء من الغرب حول الإسلام يجب أن يرى بهذا الاستبصار حتى لا تقع في مكائد أعداء الإسلام ، ولا تقع في المصادقة على الأخطاء حتى عند النزهاء ، وحتى لا نضل الغير وهم من المهتمين .

● «العلم إما أن يكون مستعملاً بالفرد فنقول العلم ، وإما أن يكون مستعملاً بالجمع فنقول العلوم ونرى أن هناك تخليط بين العلم والعلوم .. فالعلوم مثل النحو والصرف والكيمياء والفيزياء والرياضيات تزيد وتنقص ، تتأخر وتقدم ، ومن حين إلى آخر يكتشف أن بعض قوانينها فاسدة عندما يكتشفون خطأ ما كانوا يعتقدونه صحيح . والعلم بالفرد لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى ، لأن مفهومه مفهوم الاطلاق والصحة الحق في نفس الوقت .

وما يسمى بالعلم حالياً هو خلط واضح بين مجموعة من المعارف والعلوم المبنية على الملاحظة والاستقراء والتجربة والخطأ .

### الأخلاق .. والعصر

#### ● الأخلاق ، اليوم ترتدي أثواباً يقولون إن العصر يدعو إليها .. ما رأيكم؟

«الخير لا تفهم إلا إذا أسسناها على أساسها الصحيح الشرعي وهو ما جعل الله من فطرة في داخل الإنسان مستمدة من الأسماء والصفات الربانية العليا حتى يكون سلوك الإنسان سلوكاً فيه نوع من التقديس ، صبغة من البهاء والرفعة والعزة الربانية . واليوم تغيرت معاني الأخلاق ، ويقولون بأن الأخلاق ما هي إلا محض اختلاق للطبقة الحاكمة لتستغل الطبقة المحكومة ، إذن لم يبق أساس حتى للأخلاق بل وصل الضلال إلى جعل الضلال علماً .

التفكك المعنوي أصبح هو المنطق .. وكما يقول شوقي .. إنما الأمم الأخلاق ..

واليوم في ظل الأخلاق غير الإسلامية يقع التفكك الاجتماعي وما نراه من إباحية وانحلال واختلاطات غير مشروعة في بقاع الأرض تقع كلها من الأبناء تحت نظر الآباء والأمهات كل ذلك وغيره ما هو إلا انعكاس للنظرة غير الإسلامية للأخلاق وقوانينها وأسسها . يقول أفلاطون في الفصل الخامس من جمهوريته ما معناه إنه عندما يتملق الكبار للصغار ويثور الصغار على الكبار فانتظروا الانهيار في الدولة . فالذي يجوز هو التكامل بين المجموعتين ، وأرى إذن أن ما نعيش فيه اليوم هو نوع جديد من الجاهلية التي لها حنفاؤها .

ولكن الله سبحانه وتعالى حريص دائماً أن يجدد الرسالة على رأس كل مئة سنة .. فلا بد للبذرة الصالحة من أن تكون حاملة للأفكار النيرة



# تَشْعُ بِنُورِ اللَّهِ أَنْنَى تَلَفَّتْ

شعر :  
رضوان الشيخ محمد

قروُنْ على البلوى استكانت فلا صبرُ  
تفشَّتْ ضلالاتُ جسامٍ وأمّرعَتْ  
وأغضى على الآفاقِ ظلٌ وظلمةٌ  
فلا الشرقُ شرقٌ مثلما كان منبعاً  
تناهيه الأغرَابُ من كلِّ رقعةٍ  
وأعمل فيه الحاقدون سيوفهم  
وأنّ لنا من ديننا خيرَ ناصرٍ  
فقام إلى الجُلَى رجالٌ أعزّةُ  
رَجَالٌ لعهد الله أعطوا حياتهم  
فقامت على أرض الجزيرة دولةٌ  
تشعُّ بنورِ الله أنى تَلَفَّتْ  
صدى صوتها الصافي يَرُنُّ مَبْجَلًا  
قلوبُ الأعداءِ مثلُ أوجارِ غابةٍ  
يُريدونَ إطفاءً لنورٍ مقدسٍ  
تزيّوا بزيٍّ واضحٍ فاضحٍ إذا  
على العربِ والإسلامِ غَدّوا نصالهم  
« تَمَرَّكْسَ » رهطٌ سادرٌ في ضلاله  
وغالى سواهم « بالتغرّبِ » غافلاً  
فلو أدركوا تاريخهم ما نَبَتْ بهم  
أولئك لو عادوا إلى الأمس وانضوا

دَجَا الخَطْبُ فيها واحتوى عيشها القهَرُ  
رزايا، فعَمَّ اليأسُ وانصدغ الأمرُ  
وغابت نجومٌ، طالما لمعتْ، زُهرُ  
لأسمى ضياءٍ ما رأى مثله الدهرُ  
بشئى أساليبٍ يصاحبها غَدْرُ  
وقد فاتهم أن القفار لهم قبرُ  
إذا ما ادّهم الليلُ واعتكر الفجرُ  
نمّوا في رحابِ الله يحذوهم نصرُ  
وجادوا وضحوًا ليس يثنّهم عُسْرُ  
بتيمةٍ عصرٍ، لم يرَ مثلها العصرُ  
على السيفِ والتوحيدِ راياتها الخضرُ  
بغربٍ وشرقٍ ما به أبداً قَسْرُ  
تكيدٌ، وكيدُ الله ليس له خَصْرُ  
وقد جمعوا الأشتات واحتازهم وُجْرُ  
تبدّى ضياءٌ، لم يعد لهم سِرُّ  
فَعُدْنَ وفي شفرائهن دماءُ حُمُرُ  
أفاعيله شَيْنٌ وأقواله هَدْرُ  
من السمِّ يحسو والجساء هو الخُسْرُ  
دروبٌ فضاعوا، ليت يثنّهم الرَجْرُ  
بظلّ الهدى، فُرْنَا وحالفنا النصرُ







حينما نكتب عن علي أحمد باكثير بعد مرور عشرة أعوام على وفاته ، فإننا نكتب عن شخصية متميزة في تاريخ الأدب العربي المعاصر تؤكد الحضارة والإنسانية من خلال الفن للمنطقة العربية بأسرها .. لقد كان باكثير شخصية غاية في التفرد بين القدامى والمعاصرين .

# علي أحمد باكثير

## والمسرح الشعري في الأدب الحديث

بقلم : د. عبد العزيز مشرف





★ أحمد شوقي ★

### شكسبير ودراسة الأدب الإنجليزي

في سنة ١٩٣٤م ذهب باكثير إلى مصر وانتظم في دراسته الجامعية ؛ متخصصاً في الأدب الإنجليزي ، بجامعة القاهرة ، وما إن سلخ عاماً فيها حتى وجد نفسه في بلبلة نفسية من حيث نظرتة إلى الشعر الذي كان ينظمه وينشره في الصحف ، فقد غيرت هذه الدراسة من نظرتة لمفهوم الأدب كله فأخذ يعيد النظر في المقاييس الأدبية التي كانت عنده من أثر ثقافته العربية ؛ ويخص منها بالذكر ما يتعلق بدراسة المسرحية التي تجذب إليها أكثر من انجذابه إلى غيرها من فنون الأدب الأخرى كالقصة والأقصوصة والملاحم والشعر القصصي ، وكان يستهويه بوجه أخص أعمال شكسبير ، وقد أدى به ذلك إلى محاولة إيجاد الشعر المرسل في اللغة العربية .

### الشعر المرسل في العربية

واتفق في ذلك الحين أن حدث حادث في مقاعد المدرس كان له أثر كبير في دفعه إلى التعجيل بهذه المحاولة ، وخلاصته أن أحد مدرسيه الإنجليز تحدث ذات يوم عن الشعر المرسل وكيف أن اللغة الإنجليزية اختلفت بالبراعة فيه والتفوق على سائر اللغات ؛ وكيف أن الفرنسيين حاولوا محاكاته في لغتهم فكان نجاحهم محدوداً ، ثم قال : ومن المؤكد ألا وجود له في لغتكم العربية ولا يمكن أن ينجح فيها فاعترض عليه باكثير قائلاً : أما أنه لا وجود له في أدبنا العربي ، فهذا صحيح لأن لكل أمة تقاليدها الفنية وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية . ولكن ليس ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية فهي لغة طيبة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر . فاكثى المدرس بأن أعرض عن باكثير الذي شعر بأن عليه أن يدحض هذا الزعم بالبرهان العملي ، وبدا له خير ما يبدأ به في هذا السبيل هو أن يترجم فصلاً من شكسبير على هذه الطريقة ؛ وكان قد سبق أن ترجم لشكسبير فصولاً من مسرحية « الليلة الثانية عشرة » ولكن على طريقة الشعر المقفى ، ونشر بعض ذلك في مجلة ( الرسالة ) للزيات . ووقع اختياره على مشهد من مشاهد « روميو وجولييت » ليجري عليها تجربة الشعر المرسل ؛ فاتفق أن جاءت الترجمة على وزن بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعول) ، ثم مضى في عمله بخنثار ما يناسب المقام من البحور والأوزان فاكشف بعد لأي أن البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلية واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل ، لا تلك التي تتألف من تفعيلتين مختلفتين كالسريع والخفيف والبسيط والطويل فإنها لا تصلح .

### المكونات الأولى للرؤيا الإبداعية

ولد باكثير في ٢١ من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩١٠م ، في أندونيسيا في «سورابايا» من أبوين عربيين من حضرموت ، ولم يلبث والده أن صحبه إلى حضرموت وهو صغير حيث نشأ وتلقى ثقافته العربية . وفي حضرموت كانت نشأته الأدبية حيث بدأ ينظم الشعر منذ بلغ الثالثة عشرة من عمره .. وكان جل اهتمامه بالشعر ؛ ومبلغ اجتهاده للتبريز فيه ، فلم يدع - على حد قوله - ديواناً لشاعر من الأقدمين أو المحدثين وقع في يديه إلا قرأه التهاماً . وكان مثله الأعلى في الأقدمين أبو الطيب المتنبي ، وفي المحدثين أحمد شوقي ، غير أن باكثير لم يتح له الاطلاع على شيء من مسرحيات شوقي إلا بعدما رحل عن حضرموت ، فأقام سنة في الحجاز ؛ متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف ، وفي الطائف كتب أولى

مسرحياته الشعرية ، وكانت مسرحيات شوقي هي أولى ما عرف من هذا الفن المسرحي « فكان عنده عجباً أن يرى الشعر الذي كان يعرفه للتعبير عن ذات الشاعر أو لوصف شيء من الأشياء مهما يكن موضوعياً ، فلا بد أن يشوبه شيء من ذاتية قائله ، كان عنده عجباً أن يرى هذا الشعر وقد تحول إلى حوار ومساجلة بين اثنين أو أكثر على نحو يجعل كل شخصية تعبر عن ذاتها ووجهة نظرها ، ويضعها في صراع مع غيرها من الشخصيات ، ويدور كل ذلك حول قصة واحدة هي مادة هذا العمل الشعري » .

ويضيف باكثير أن اطلاعه على هذه المسرحيات الشوقية كان له أثر كبير في نفسه ، وأراه لأول مرة في حياته كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله إلى عالم فسح يتسع لكل قصة في التاريخ أو حدث من الأحداث . فكتب مسرحية شعرية أسماها « همام أو في عاصمة الأحقاف »

وذلك في مدينة الطائف حيث كان يقضي فترة الصيف بين طائفة من أدباء الحجاز يخص منهم بالذكر الأستاذ حسن محمد كتيبي الذي كان يطلعه على ما ينظم من المسرحية أولاً بأول ويؤكد باكثير أنه كان لتشجيع الأستاذ كتيبي فضل كبير في تجاوز هذا العمل .

وقد كتب باكثير هذه المسرحية دون أي إلمام سابق بفن المسرحية ، فكانت النتيجة - كما يعترف هو - قصائد ومقطوعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد وينظمها إطار واحد « ولكن لا يمكن تسميتها مسرحية إلا على سبيل التجاوز لافتقارها إلى المقومات الأساسية للمسرحية من بناء وحركة وحوار ورسم وشخصيات » .





★ شكسبير ★



★ أحمد حسن الريسات ★



★ حسن كافي ★

الشعر المرسل المستند إلى التفعيلة - لا البيت - كوحدة نغمية ، فتتلاحق التفعيلات في الجملة المسرحية الواحدة متصلة مترابطة دون نظر إلى الحيز الذي تشغله ، فقد تشغل ما كان يشغله بيت واحد أو أكثر أو أقل .  
وفي «أختاتون ونفرتيتي» يذهب باكثير إلى أن تاريخ مصر القديم جزء من تاريخها العام ومن ثم يكون جزء من تاريخ شرقنا العربي . وفي هذه المسرحية بصور باكثير أحزان أختاتون لوفاة زوجته الأولى (تادو) من خلال حوار مع والدته حول ذكرياته معها :

ما أنس من الأشياء فلن أنسى  
ما كنا نخرج في أنفاس الصباح الجديد ،  
إلى الروض المطلول فتنساب بين الغصون ،  
نبيل أوجهن بالطل النضيد ،  
ونسير على العشب المنصور ،  
ونعدو هنا وهناك على المرج المسحور ،  
ونجمع شتى الأزاهير ننظمها مثل الإكليل ،  
ونجري وراء الفراش الجميل  
نطارده من غصن لغصن فأمسكه ، فتشير  
علي باطلاقه من جديد فأطلقه فيطير  
فترنو إليه وفي فمها بسمه بيضاء  
كما يبسم الأريحي الكريم ارتاح لفك أسير .

#### المسرحية الغنائية (الأوبرا)

وإذا كان باكثير قد عدل عن الشعر في المسرحية بعد ذلك ورأى أن النثر هو اللغة الطبيعية للمسرحية ؛ فإنه اتجه اتجاهاً آخر يؤكد أن الشعر لا ينبغي أن يكتب به غير المسرحية الغنائية التي يراد بها أن تلحن وتغنى وهي (الأوبرا) . وقد قام بتجربة من هذا النوع في مسرحية (قصر الهودج) التي كتبها بعد (أختاتون ونفرتيتي) بسنوات ، ويعد أن كان قد كتب عدة مسرحيات قبلها بالنثر . وقد حرص في (قصر الهودج) على أن يجعل نظمها موسيقياً ما أمكن لتكون صالحة للتلحين والغناء ، ولم يتقيد فيها ببحر واحد ، بل استعمل مختلف البحور حسبما يقتضي المقام ، مراعيًا في ذلك مطابقتها لحالات التعبير المختلفة ومتحاشياً أطراد البحر الواحد والقافية الواحدة حتى لا تكون المسرحية مجموعة من القصائد مضمومة بعضها إلى بعض ، كما حرص على التنوع في الفواري ليكون ذلك أبلغ في التنعيم الموسيقي .

ومن ترجمة باكثير ، على سبيل المثال في «روميو وجولييت» حيناً أو شكت جولييت أن تحسني السائل المنوم الذي أعطاها الراهب لتكون في هيئة الموت مدة اثنتين وأربعين ساعة ، ريثما يحضر زوجها روميو فينطلق بها من القبر :

الوداع الوداع ! إلهي يعلم وحده  
أين يجتمعنا الدهر بعد اليوم  
هذي برداء الخوف النافض راجفة في عروقي  
حتى لتكاد تحمد سعر حياتي .  
فلأنادهما لتعودا إلي لتسكين روعي .  
يا حاضن ! لا لا فاذا عساها تصنع عندي ؟  
إن هذا الدور القانط لا بد لي أن أمثله وحدي .  
يا جام هلم إلي !  
ربما لا يصنع لي شيئاً البتة هذا المزيج .  
أفأغدو غداً غداً زوج باريس ؟  
كلا .. يأي خنجري هذا .. فلتبقي إلى جانبي (تضع خنجرها بجانبها)  
ربما كان سما أراد به القس ألا أعيش  
لئلا يكون زواجي الجديد وبالا عليه  
إذا علموا أنه زوجني من قبل بروميو :  
أخشى هذا ، بيد أنني غير مصدقة أن يكون .  
فهو لم يرح معدوداً بعد من الصالحين .  
ربما إن شريت الجام وألقي بي في الضريح  
استيقظ قبل مجيء حبيبي روميو لينقذني  
ويل أُمي إذن من مشهد يوم مهول !

#### أختاتون ونفرتيتي

ولم يلبث باكثير ، بعد نجاح تجربة الترجمة بالشعر المرسل ، أن كتب مسرحية «أختاتون ونفرتيتي» بالشعر المرسل ، والجديد في هذا العمل أنه التزم بحراً واحداً هو البحر المتدارك الذي أدرك «من تجربته الأولى أنه أصلح البحور كلها لهذا الضرب» . . . ولكن هذا الشعر المرسل لم يستقبل عند ظهوره بالترحيب أو الاستحسان إلا من قبل المرحوم إبراهيم عبد القادر المازني الذي كتب مقدمة للمسرحية أشاد فيها بهذه التجربة في الشعر المرسل ، وصلاحيته للمسرحية . وقد انتهى باكثير من تجربته تلك إلى أن أصلح أداة للمسرحية الشعرية هي





\* المازني \*

ومن ذلك ما نجده في تصوير موقف بين سلمى البدوية وبين الخليفة الفاطمي (الأمر بأحكام الله) حين قابلها متكرراً في زي رسول أعرابي ليخطبها للخليفة دون أن تعلم حقيقة ، فهي تحاوره في لطف لتتنصل من قبول خطبة الخليفة معتذرة بارتباطها بأبن عمها ابن مياح . ولما لم يستطع اقناعها بقبول الخليفة انقلب بغازها لنفسه بحسبائه رسول الخليفة :

هو : عشت يا سلمى طليقه لست للمدن صديقه  
لا تحبين مغانيها ولا الدور الأنثى  
هي : لطف الله بحالك قد فهمت الآن قصدي  
هو : كيف لا أفهم ذلك والذي عندك عندي  
أنا من رأيك يا سلمى وميلي مثل ميلك  
آه لو تسمح لي الأيام يا سلمى بنيلك  
أنت لي لست لغيري وأنا لست لغيرك  
إن لي قلباً كقلبك

هي : عجباً . هل أنت مجنون ؟

هو : نعم يا نور عيني

أنا مجنون بحبك

هي : (غاضبة) : حبك اخرس قطع الله لسانك

هو : يا حياتي حفظ الله زمالك

أنتين لساناً بتغني بعبيرك وجمالك وشعاعك

هي : بل لساناً كاذباً خنت به عهد أميرك باحيتالك وخداعك

هو : المليك اتسبه لا تجريه يا سلمى ببالك أو خيالك

أنا خير منه يا سلمى وأولى ببالك ودلالك

هي : آه لو سمع ما قلت الملك لعاك السيف من هذا الوجود

هو : كيف بمحو السيف صباً هام بك حبك الخالد أولاه الخلود

هي : سيف مولانا الخليفة سيغافيك غداً من جنونك

هو : ليس بـ للقتل حيلة فلقد دقت الردى من عيونك

### الموضوعات التاريخية والأسطورية

ويتميز مسرح باكثير بالوعي التاريخي واستنهاض الموضوعات كثر من مسرحياته ، وهو يرى أن الفن المسرحي بخاصة ينبغي أن يقوم على الرموز والإيماء لا على التبيين والتحديد ، فتكون الحقيقة التي يصورها العمل الفني - وهو هنا المسرحية - أوسع وأرحب من الحقيقة التي يمثلها الواقع . ويرى كذلك أن أحداث

التاريخ تعين الكاتب على بلوغ هذه الغاية أكثر مما تعينه أحداث الجيل المعاصر ، لأن أحداث التاريخ قد تبلورت على مر الأيام فاستطاعت أن تنزع عنها الملابس والتفاصيل التي ليست بذات بال من حيث الدلالات التي يتصيدها الكاتب للوصول إلى الهدف الذي يرمي إليه في عمله الفني . ولذلك أغرم باكثير أيضاً بالموضوعات الأسطورية ، لأن الأساطير أغنى من التاريخ في هذا المعنى ، فالأحداث المعاصر إذا تقادم يصير تاريخاً والتاريخ إذا تقادم يصير أسطورة .

وقد تطلع باكثير إلى أن يكون مسرحنا العربي لغة موحدة ، حتى يتكون عندنا تراث من الأدب المسرحي نعتز به ونخلفه للأجيال القادمة ؛ وهو لذلك يرجع احتفاله بالموضوعات التاريخية والأسطورية إلى ما يتيح من استعمال اللغة الفصيحة التي تجري على قواعد الإعراب ولكنها تلتزم أسلوب اللغة الدارجة ومنطقها وبلاغتها مع استعمال الكلمات الدارجة التي لها أصل في اللغة وإشارتها على مرادفاتها التي لا تستعملها العامة .

ذلك أن باكثير كان يعتقد بواقعية الحوار وضرورة أن ينبع من الشخصية ذاتها فيكشف عنها ويحمل خصائصها . ويقصد بالحوار الواقعي أن يلتزم الكاتب حدود الشخصية المرسومة فلا ينطقها إلا بما يتلاءم معها سواء أوتيت أو لم توت القدرة على الإفصاح عن ذاتها . وفي هذا يأخذ باكثير على برنارد شو في كثير من مسرحياته أنه ينطق بعض شخصه بما لا يمكن أن ينطقوا به حتى على فرض أنهم قادرون على التعبير عن ذلك .

### الواقعية الزمنية أم الفنية

ولكن ما هو المقصود بالواقعية عند باكثير ؟ الواقعية الزمنية أم الواقعية الفنية ؟ ألتزم اللغة التي يتكلم بها أولئك الشخص في حياتهم اليومية فيستعمل العامية المصرية مثلاً في حوار المسرحية المصرية العصرية ، والعامية العراقية في حوار المسرحية العراقية العصرية ، أم يكتب بلغة فصيحة تصور الخصائص النفسية والاجتماعية لكل شخصية وتفسح عن سلوكها ومنطقها ونظرها إلى الحياة كما هي في الحياة ، دون تقييد بنفس اللغة ونفس الكلمات التي تتحاور بها في حياتها اليومية ؟

ويؤكد باكثير بدهاء أن الفن في صميمه ليس تسجيلاً فوتوغرافياً أو فونوغرافياً للحياة ، وإنما هو تصوير لها وتعبير عنها ونقد لها . والمسرح لا يخرج عن كونه لوناً من ألوانه ؛ ويذهب تأسيساً على ذلك إلى أننا في مطلع نهضة عربية لم يسبق لها مثيل من قرون مضت ، وقد اقتضت منا هذه النهضة أن نعيد النظر في كل وجه من وجوه حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية





علي أحمد باكثير

١٩١٠ - ١٩٦٩ م

□ ولد في مدينة «سورابايا» باندونيسيا سنة ١٩١٠ م، من أبوين عربيين من «حضر موت».

□ تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٩ م.

□ حصل على دبلوم التربية للمعلمين سنة ١٩٤٠ م.

□ اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية بمصر من ١٩٤٠ - ١٩٥٥ م، ونقل بعدها إلى مصلحة الفنون وقت إنشائها، وظل يعمل بوزارة الثقافة والإرشاد

القومي إلى أن توفي إلى رحمة الله.

□ حصل على منحة تفرغ لمدة عامين (١٩٦١ - ١٩٦٣ م) لوضع ملحمة عن عهد عمر بن الخطاب.

□ أرسل وهو دون العاشرة إلى حضرموت حيث نشأ وتلقّى ثقافة عربية إسلامية، وغادرها ليتجول في عدن وبلاد الصومال إلى حدود الحبشة، ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى أكثر من عام متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف. وفي الطائف كتب أولى مسرحياته الشعرية. وقدم إلى مصر سنة ١٩٣٤ م، وانتظم في دراسته الجامعية، وعاش فيها.

□ بدأ حياته الأدبية بالشعر حيث نظمته وهو في الثالثة عشرة من عمره، ثم اتجه إلى القصة والمسرحية.

□ ترجم مسرحية «روميوجوليت» إلى الشعر العربي وهو طالب بكلية الآداب.

□ نشر في صحف ومجلات كثيرة منها: الجهاد - الوادي - المعرفة - الفتح - الرسالة - الثقافة - الأسبوع

- أبولو - الرسالة الجديدة.

□ مؤلفاته القصصية: سلامة القس - وإسلامه - ليلة النهر - الثائر الأحمر - سيرة شجاع.

□ مؤلفاته المسرحية: أختاتون ونفرتيتي (شعرية) - قصر الهودج (شعرية) - أوزوريس - الفرعون الموعود - مسبار جحا - دار ابن لقمان - شيلوك الجديد - مسرح السياسة (تمثيليات سياسية) قطط وفيران - عودة الفردوس - مأساة أوديب - إله إسرائيل - سر الحاكم بأمر الله - سر شهزاد - هاروت وماروت - السلسلة والغفران - شعب الله المختار - الزعيم الأوح - الدكتور حازم - إمبراطورية في المزد - جلفدان هانم - أبو دلامة - الدنيا فوضى.

□ اشترك في النشاط الثقافي بمصر رسمياً وشعبياً، وظل عضواً بلجنة الشعر ولجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، إلى أن انتقل إلى رحمة الله في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ م.

(الثاني) ١٩٦٩ م: وكان ذلك يظهر في الشعر الذي كان ينظمه في المناسبات القومية التي تدعو إلى ذلك. ولما بدأ يزاول الكتابة المسرحية كان من الطبيعي أن يتخذ القضايا العربية منبع إلهامه الأول، وأن يقع اختياره على الموضوعات المناسبة لذلك. فاختار أول ما اختار مثلاً موضوع أختاتون، وقد يبدو غريباً أن يختار هذا الموضوع الفرعوني الذي لا صلة له البتة بالعربية ولكن الواقع أنه اختاره «بالذات بدافع قوي من إيمانه بها»، ذلك أنه يرى أن التاريخ القديم للبلاد العربية كلها جزء من تاريخها العام، ومن ثم يكون جزء من تاريخ هذا الشرق العربي ينبغي أن يعتز به كل عربي وورث هذه الحضارات كلها: الحضارة الفرعونية في مصر والحضارة البابلية في العراق والحضارة الفينيقية في الشام.

ما الفرق بين هذه الحضارات وبين الحضارة السبئية أو المعينية في اليمن؟ ليست كلها منسوبة لسكان هذه البلاد الأقدمين الذين هم أجداد عرب اليوم في هذه الأقطار؟ بلى، ينبغي أن تضاف هذه الأجداد التاريخية القديمة إلى رصيد مجد الأمة العربية وارثة هذه الحضارات كلها ووارثة الأرض التي نبتت فيها هذه الحضارات.

وهذا الوعي كتب مسرحية أختاتون ونفرتيتي، وأشار إلى هذا المعنى في مقدمة الكتاب متمثلاً بيت من قصيدة نظمها على لسان أبي الطيب المتنبي بمناسبة ذكره الألفية يقول فيها مخاطباً المصريين:

أبوكم أبي يوم التفاحر بعرب

وجدكم فرعون أضحى بكم جدي

ولقد ظلت القضايا العربية محور تفكير باكثير في أغلب ما كتب بعد ذلك من مسرحيات وقصص، يستهدف من ورائها إبراز ما في تاريخنا الخافل المجيد من مثل عليا ينبغي أن تستنير بها الأمة العربية في جهادها من أجل التحرر والاستقلال وفي كفاحها لبناء مستقبل مجيد يليق بماضيها المجيد.

والفنية لنصلح ما فيها من أخطاء، ونسد ما فيها من نقص، ونقوم ما فيها من اعوجاج حتى نبنيها على أسس سليمة تهني لنا المستقبل العظيم الذي نشده.

ويتخلص من ذلك إلى أن أصلح أداة لرسم الشخصية وتوضيح ملاحظاتها النفسية وتمييزها عن غيرها من الشخصيات هي اللغة المحايدة أي التي ليست لها صبغة محلية صارخة تطمس تلك الملامح وتقضي على الخصائص وتطبعها مع غيرها من الشخصيات على غرار واحد.. واللغة الفصيحة عندنا - كما يقول كذلك - هي اللغة المحايدة التي يستطيع الكاتب القدير أن يتصرف فيها ويوجد منها ألفاظاً متنوعة من التعبير تناسب الشخصيات المتنوعة التي يرسمها. «إن مثل هذه اللغة الفصيحة المحايدة كمثل الماء الصافي الذي يمكن تلونه بأي لون تريد، فيظهر هذا اللون على حقيقته. أما اللغة العامية فمثلها كمثل الماء الملون لا يمكن أن يظهر أي لون جديد على حقيقته».

وهكذا فإن باكثير يذهب إلى أن الكاتب المسرحي يستطيع باللغة الفصيحة السهلة أن «يصور ما يشاء من الأجواء المختلفة، بأن ينفخ فيها الروح المحلية الخاصة بشخص مسرحيته.. فالروح المصرية مثلاً يمكن أن تترق في اللغة الفصيحة كما تترق الماء في كأس من البلور». ويشير باكثير إلى أن اللغة العامية ليست لغة جامعة حتى في داخل القطر الواحد، ففي القطر المصري مثلاً لهجات عامية متنوعة، وكذلك الحال في الأقطار العربية الأخرى.

#### المسرحية والرؤيا العربية

وتنفق هذه الآراء التي صنفها باكثير في مسرحه مع رؤياه العربية، التي تأثرت بفكراته الأولى للشعر العربي المعاصر في مصر والعراق والشام مذ كان يافعاً في حضرموت، ثم تمت هذه الروح عنده بعد الرحلات التي قام بها في أطراف اليمن وروبع الحجاز، إلى أن استقر به المقام في مصر، وتوفي فيها في ١٠ نوفمبر (تشرين



● اشترك في الندوة ●

- د. عبد الرحمن السبيت المملكة العربية السعودية ● د. عابد الهاشمي العراق
- د. عبد الحميد الهاشمي سورية ● د. عبدالله العجلان المملكة العربية السعودية
- د. عبدالله الطيب السودان ● د. محيي الدين عبد الشكور أميريكيا
- د. فاروق صادق مصر ● د. شهاب الدين معني الباكستان

# الاستدلال

يتمثل لدى « الفرويديين » في موضوع السلوك النفسي للإنسان « للطفولة الجنسية المكبوتة » .

٤ - اتجه في التفسير الآلي المادي الميكانيكي للسلوك الإنساني كما يظهر ذلك لدى « السلوكيين » ، وإخضاع الإنسان للمعادلة الحركية المادية « مشير ... استجابة » .

٥ - اتجه في التفسير التطوري العشوائي ، لا سيما في نظريات الوراثة والانتخاب السلوكي عن طريق الشواء كما يتمثل لدى « الداروينيين » .  
وعلم النفس باعتباره علماً يحاول إقامة معرفة منظمة للنفس الإنسانية في آثارها الانفعالية والإدراكية والسلوكية ، علم إنساني نافع ذو فوائد تطبيقية كبرى تيسر الحياة وتخدم الإنسان ، فهو في نظر الإسلام من العلوم النافعة التي هي واجب اجتماعي على نفر من المؤمنين أن يقوموا به . وهذا العلم مع أشد الالتزام في الحياد الموضوعي هو سيف ذو حدين شأن غيره من العلوم ، التي هي في يد العالم المستقيم الملتزم أداة خير وإنتاج وإصلاح ، بينما هي في يد العالم المنحرف أداة إفساد أو انحراف .

والإسلام في مصادره الأولى زاهر بما يتصل بمجال علم النفس :

●● فالقرآن الكريم تضمن عدة مواقف إنسانية نفسية في حوادث واقعية مثل مواقف الغيرة ودوافعها وآثارها السلوكية ، وكذا التقليد ، والغرور والتعلم وهي دروس هادية في تربية الإنسان .

●● في التوجيهات النبوية لمحات ومواقف في بيان بعض خصائص النفس الإنسانية تساعد المربي والمعلم في نجاح التربية والتوجيه .

●● وجود دراسات رائدة لبعض العلماء المسلمين الأوائل .

عن موقف الإسلام من علم النفس المعاصر بنظرياته واتجاهاته ، تدور ندوة هذا الشهر من خلال آراء مجموعة من الأساتذة المختصين .

## مدرسة التحليل النفسي

● من المملكة العربية السعودية يتحدث الدكتور عبد

يضم علم النفس أنواعاً من المعارف المنظمة في موضوعه من حيث دراسته للحياة الانفعالية للإنسان وما فيها من رضاء وغضب ، وفرح وحزن ، ومحبة وكراهية ، وتفاؤل وتشاؤم وإقدام وجبن ، وروح جماعية أو انطوائية وما إلى ذلك ، كما أنه يدرس الحياة العقلية وما فيها من إحساس وإدراك وتصور وتذكر وتعلم ونسيان وخيال .

وعلم النفس يدرس ذلك عن طريق السلوك الإنساني في دوافعه الباعثة ومظاهره المعبرة وأهدافه القاصرة في مجال السوء والانحراف في مختلف مراحل العمر الزمني المتعاقبة من المهد والطفولة والفتوة والشباب والرشد والكهولة والشيخوخة .

والصفات العلمية لعلم النفس تتجلى في الآتي :

أ - يهدف لفهم السلوك الإنساني في معرفة دوافعه .

ب - يحاول تفسير ذلك السلوك وتعليله .

ج - دراسة تهدف للتنبؤ عن السلوك الممثل للفرد أو الجماعة .

د - دراسة تخضع في بعض مجالاتها للاختبار والتقنين .

هـ - التقويم والتوجيه وقاية أو تعزيزاً أو علاجاً .

و - فوائد تطبيقية في المدرسة والصناعة والإدارة والقضاء والقيادة والاجتماع الخ .

وقد مر علم النفس في تاريخه الطويل بمراحل متعددة كان له في ذلك انجازات علمية تثبت أقدامه في صعيد العلوم ، بيد أنه إلى جانب ذلك ظهرت بعض المزالق السلبية التي أساءت إلى علم النفس ذاته منها :

١ - اتجه عقلي بحث مع إهمال لساثر الدوافع الإنسانية الأولى كأن الإنسان آلة حاسبة أو كمبيوتر .

٢ - اتجه التفسير الحيواني العضوي الصرف للحياة النفسية للإنسان كما يتمثل ذلك لدى « البافلوفيين » ومن قبلهم أرسطو الذي يعتبره الغربيون مؤسس علم النفس حيث جعل علم النفس جزء من علم الحياة .

٣ - اتجه في التفسير الغريزي الجنسي الجبري المطلق للحياة النفسية كما





★ د. عبيد الله بن عبد الشكور ★

★ د. عبد الرحمن السبيت ★

# وَعَلَّمَ النَّفْسَ الْمَحْصَنَةَ

ورئيس قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة . نظرة الإسلام المتكاملة إلى النفس البشرية فيقول :  
« أولاً وقبل كل شيء ، للإسلام نظرتُه الواضحة والصريحة والصحيحة للنفس الإنسانية ، فهو لا ينظر إلى النفس على أنها مجرد مادة ، كما أنه لا ينظر إلى النفس على أنها حيوانية ، ولا ينظر إليها على أنها ملاك أو روح ، أو أنها آلة عاقلة حاسبة « كمبيوتر » . ولكن ينظر إليها على أنها كل ذلك جميعاً ، فيها الجانب الجسمي والجانب الروحي ، والجانب العقلي ، والجانب الانفعالي والعاطفي . وبمثل ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ .

فالعنصر الأول في الإنسان هو الجانب المادي الجسمي الحسي العضوي الفسيولوجي من تراب ، من كل ما يتصل بالتراب من مواد . . من حديد ، من بوتاسيوم ، من ماغنسيوم . إنما جعله الله إنساناً ، وأعطاه الكرامة على سائر المخلوقات ومنحه الخلافة في هذه الأرض تلك النفخة من روح الله ، من الأعلى ، من السموات ، من الطهارة ، من الفكر . فالإسلام ينظر إلى النفس الإنسانية من هذه الجوانب ويريد من علم النفس أن يدرس هذه الجوانب كلها ، ومن هنا نجد أن النظريات النفسية المعاصرة تقع في عدة أخطاء ، فشلاً بعض المدارس النفسية ما فكرت في علم النفس إلا لأنه عبارة عن الدوافع العامة ، ثم جاء من خصص هذه الدوافع واختار دافعاً واحداً هو المهيمن وهو الأول والأكبر . ثم جاء آخرون وقالوا لا نريد إلا الجانب الظاهر المادي فكانت المدرسة السلوكية ، فهؤلاء حاولوا أن يدرسوا جانباً من الإنسان وهذا كانت النظريات النفسية المعاصرة قاصرة متميزة جانبية لا تدرس الإنسان ككل وفي إطار واحد .

## علم النفس في بداية البداية

● وعن كون علم النفس في بدايته ووجوب انتسابه إلى القرآن والسنة لا العكس ، يشترك من السودان الدكتور عبد الله

الرحمن السبيت وكيل كلية التربية بجامعة الرياض ، وعضو هيئة التدريس بقسم علم النفس قائلاً :

« إذا نظرنا إلى علم النفس بمفهومه الحديث من حيث أنه العلم الذي يهتم بدراسة السلوك ، فليس من شك في أنه علم من أهم وأوسع العلوم انتشاراً في العالم ، خاصة خلال الخمسين عاماً الماضية . ومن حيث نظرة الإسلام إلى علم النفس بصفة عامة كعلم له موضوعه وهو السلوك ، وله طريقته باتخاذ المنهج العلمي طريقة في التفكير وأسلوباً للبحث ، فعرف أن ديننا الحنيف يحث على طلب العلم وتحصيله ، ويدعو إلى الوصول إلى الحقيقة ، هذه هي نظرة الإسلام إلى العلوم ، وعلم النفس كأحد هذه العلوم وموضوعه السلوك الذي سوف تساعدنا دراسته على الوقوف على طبيعة النفس الإنسانية وصولاً إلى عظمة ما أبدعه الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلَا تَبْصُرُونَ ﴾ .

أما من حيث موقف الإسلام من النظريات النفسية المعاصرة ، فمن المعروف أن لعلم النفس مدارسه المختلفة مثل المدرسة السلوكية ومدرسة التحليل النفسي ، وكذلك له مبادئه المختلفة منها علم النفس الاجتماعي والصناعي والتربوي وغيرها ، وتبعاً لذلك فإن النظريات كثيرة ولا نستطيع في هذا المجال التطرق إليها كلها ، لكن يمكن القول باختصار إن هنالك بعض النظريات التي كان لها دور كبير بتوجيه الدراسات في علم النفس والتي لا تتفق في جوهرها مع تعاليم الدين الحنيف مثل نظرية سيجموند فرويد « زعيم مدرسة التحليل النفسي » في الشخصية والتي تعتبر غريزتي الجنس والعندوان عاملين أساسيين في تكوين الشخصية . وهنا أحب أن أذكر أنه مع أن آراء سيجموند فرويد في التحليل النفسي قد لاقت رواجاً في أول الأمر ، فإنها الآن تلاقى نقداً من كثير من علماء النفس المعاصرين .

## نظرة الإسلام للنفس الإنسانية

● ومن سورية يشرح الدكتور عبد الحميد الهاشمي ، أستاذ





★ د شهاب الدين محي ★



★ د عبد الحميد الهاشمي ★

علم النفس والإسلام التي نظمتهما كلية التربية بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup> حيث تجمع مثل هذه اللقاءات علماء الدين والنفس للبحث في هذا الموضوع .

وأستطيع أن أقول إننا لم نجد مكان من الأماكن التي ذكرت فيها النفس أو النظريات النفسية في الإسلام إلا ووجدنا لها ربط بنظريات معاصرة سواء قلنا إن هذا جاء مصادفة أو جاء بدراسة أو دراية ، أي أن علم النفس الحديث بطريقته التجريبية والاستقصائية أضاف إضافات حديثة بمفهوم الملاحظة ، ولكنه نسي كثيراً جداً من تراثنا الإسلامي .

لقد تسابقنا كثيراً إلى علم النفس الغربي ، وآن الأوان لنقف وقفة بسيطة لمراجعة تراثنا الإسلامي فيها ، ونراجع تحصيلنا في علم النفس ، ونحاول أن نكامل بين ما كان تراثنا عليه ، وهل من الممكن أن نفسر ما هو لدينا الآن من خلال تراثنا ؟ وإذا لم يكن فعلينا أن نسلح بطريقة استقصائية علمية وتنتشر في دراساتها النفسية استمراراً لتراثنا الإسلامي .

إن النظريات النفسية المعاصرة ، ونظرة الإسلام لها نستطيع أن نجد بينها كثير من الربط ، ولكن أيضاً هناك بعض التعارض ، والتعارض لم يحدث في الحقائق ، ولكنه غالباً ما يأتي نتيجة لطرق الدراسة والبحث واختلافها .

فالعلوم الدينية تعنى بطرق الدراسة الاستقصائية والاستنباطية والتفكير ، وكثير من المجرّدات في الإسلام يصعب معها الدليل العقلي ، ولكن علم النفس المعاصر يعتمد على الطريقة التجريبية الحسية فقط ، فكان هنا الفرق في الاستنتاج .

ولكن معظم الاستنتاج في النواحي النفسية في التراث الإسلامي جاء عن طريق استقراء عقلي متطور وهذا يعتبر مرحلة من مراحل المنهج العلمي . فليس بمستغرب أن نجد كثير من نظريات علم النفس المعاصر لها جذورها في تراثنا الإسلامي .

### الإسلام قوام على علم النفس

● ومن العراق يشترك في الندوة الدكتور عابد توفيق الهاشمي ، الأستاذ المشارك بقسم علم النفس بكلية الآداب بالجامعة المستنصرية ببغداد ، فيقول :

« الإسلام نظام رباني من خالق النفس ﴿ ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ﴾ ؟ وهو جميع ما ورد في القرآن الكريم ، وكله حق

الطيب ، أستاذ ممتاز بجامعة الخرطوم وأستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس بالمغرب برأيه قائلاً :

« نظرة الإسلام إلى علم النفس كنظرته إلى سائر العلوم ، وصدق الله تعالى إذ يقول جل من قائل : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ وكل باب من أبواب العلوم الحديثة إنما هو في مرحلة تجريبية ، يؤخذ به حتى يبدو خلل في بعض جوانبه فيؤخذ بسواه .

وعلم النفس الحديث ، على وجه الخصوص ، لا زال في بداية البداية ، وهل هو يعد علم أم لا ؟ هذا مكان أخذ ورد . وموقف الإسلام أن يحث القادرين على الاطلاع على أمره ، فما وجدوه منه مفيداً استفادوا من مكان الفائدة فيه ، وما وجدوه غير ذلك ضربوا عنه الذكر صفحاً . أما الزعم أن علم النفس الحديث حقائق قائمة ثابتة ، ثم الانكفاء للبحث عن مشابه لها في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزعم بذلك أن الكتاب والسنة لا بأس بهما لأن فيها بعض ما اكتشفه الأفرنج من حقائق علم النفس فهذا مذهب لا أقره . وإنزّه كتاب الله وسنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم عن مقارنته . إذ هما المرجع والأصل ، وإنما ينتسب علم النفس إليهما - بعد أن يصير علماً إذا كتب له أن يصير علماً - كما ينتسب علم الهيئة مثلاً وعلم التشريح انتساب باب من أبواب المعرفة البشرية القليلة المباحة لمن يستطيع درسها ليفيد ويستفيد من غير خروج عن الملة » .

### وقفة لمراجعة تراثنا الإسلامي

● ومن مصر يطالب الدكتور فاروق محمد صادق ، رئيس قسم علم النفس بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر ، بمراجعة التراث الإسلامي الأصيل ، ويربط بين الإسلام والنظريات النفسية المعاصرة في قوله :

« في الحقيقة إلى الآن لا يوجد ما يسمى علم النفس الإسلامي ! بل هناك ممارسات في علم النفس نحاول أن ندرس إطارها الإسلامي ، والعكس صحيح أيضاً ، فهناك في القرآن والسنة كثير جداً من المواقف والأماكن وجدنا بها إشارة إلى النفس والذات والثقة بالله ، والثقة بالنفس ، وتقسم أنواع الأنفس ، فكل هذه الأشياء لا نستطيع دمجها مع بعضها البعض ونطلق عليها علاقة الدين بعلم النفس .

واعتقد أن هناك لقاءات كثيرة تمت لدراسة هذا الموضوع وخاصة ندوة





★ د. عبد الله العبد ★

★ د. درويش ممد ★

﴿ ونفس وما سواها ، فآلهما فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ . ولقد كان لعلماء الإسلام في مختلف العصور دراسات جيدة في علم النفس ، وأن دراسة النفس الإنسانية في مختلف جوانبها يدخل في العلوم التي جاء الإسلام بالدعوة إلى البحث فيها ، والبحث على تعلم القدر اللازم منها بما يفيد الإنسان باصلاح نفسه وحياته وآخرته . وينبغي أن يستمر علماء المسلمين في مواصلة البحث في علم النفس على ضوء ما ورد عنها في نصوص القرآن والسنة ، وما توصل إليه علماءنا في كل تجربة أو بحث تم أو يتم وفق تصور سليم أو تجارب معملية .

أما موقف الإسلام من النظريات النفسية المعاصرة ، فبإني لا أستطيع أن أدعي أن ما أقوله في هذه العجالة هو رأي الإسلام ، ولكن يمكن أن أقول إن رأيي كمسلم هو أن النظريات النفسية المعاصرة هي في أصلها وانتاجها نظريات لا علاقة لها بالإسلام أو نظرتها إلى النفس ، وإنما هي دراسات نظرية أو معملية بنيت في كثير من الأحيان على تصورات غير تصوراتنا ، وكما أن النفس الإنسانية لا تستطيع ولا يستطيعون تحديدها على وجه الدقة ، فإن أبحاثها في الغالب مبنية على قوة الملاحظة ، وفيها الخطأ والصواب .

والذي أراه أن علم النفس المعاصر لا يصح أن يكون أساساً لدراستنا كمسلمين لعلم النفس . بل إن علم النفس ينبغي أن نأخذ أصوله من نصوص الشريعة الخاصة بالنفس ، وإعمال الفكر بعد ذلك في أغوار النفس وأثارها ، وإجراء التجارب على مختلف جوانبها ، ولا مانع من الاستعانة بالدراسات النفسية ، المعاصرة في توسيع دائرة الاجتهاد في هذا المجال بما يتفق مع الأصول العامة والقواعد المقررة في الشريعة ورفض كل نظرية نفسية معاصرة بنيت على أصل يناقض دليلاً شرعياً أو قاعدة فقهية مقررة .

وعلى هذا يمكن القول بأن علم النفس المعاصر يستعان به بطرق البحث العلمي والنتائج التي توصل إليها ولا يعتمد عليه في تأسيس علم نفس إسلامي معاصر .

### المشكلة التي تواجه العالم الإسلامي

● ومن الولايات المتحدة الأمريكية شارك في الندوة الدكتور

﴿ فورب السماء والأرض ، إنه لحق ، مثل ما أنكم تنطقون ﴾ ، وهو كذلك ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو شرح لكتاب الله ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ .

أما علم النفس فهو العلم التجريبي الحديث الذي لم يمتد عمره أكثر من قرن ، في محاولاته فهم سلوك الإنسان ، وله مدارسه ونظرياته التي يقيمها على تجاربه ، ولا شأن له بالروح ومجالاتها التي شغلت الكثيرين في الماضي ، وما زال المشعوذون والدجالون على الإسلام وعلى علم النفس يعيشون في غمار الحديث عنها والخداع بها .

ونظرة الإسلام إلى علم النفس تتلخص في أن الحقائق النفسية لا النظريات لا تعارض قطع مع الإسلام الصحيح - قرآنًا وسنة - وأن على المسلم ألا يتسرع في إقرار النظريات النفسية مهما رقت إلى أعلى منزلة .

وإن كانت النظريات النفسية معارضة لصريح إسلامنا ، فعليها رفضها بإباء وتفنيد خطئها العلمي ، مهما كانت الدعايات المضللة لها .

وعليها - مسلمين - أن نعتبر الإسلام قواماً على علم النفس ، وهو الميزان بعد فهم واستيعاب ، وتجديد للفهم الإسلامي مستمد من النص ومستأنس بنتائج بحوث علم النفس ، لا تقليداً ولا تزمناً من غير فهم .

وإن هذه الصلة بين الإسلام وعلم النفس تؤثّق المسلمين بإسلامهم ، وهي دعوة إلى تفهم الحقائق النفسية من صميم النص الإسلامي ، وهي دعاية وإعلام ، وهي بيان لأفضلية الإسلام على علم النفس ، وعمق تصوره للنفس الإنسانية ، وأسبقته إلى إقرار الحقائق العلمية ، وفيه التكامُل والشمول للتوجيه الإنساني ، وفيه القدوة الكاملة للسلوك بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام في حين أنها جميعها مفقودة في ميدان علم النفس الحديث »

### النظريات الحديثة لا علاقة لها بالإسلام

● ومن السعودية يسهم الدكتور عبد الله العجلان ، وكيل الرئيس العام للتعليم العالي للبنات ، برأيه في الندوة بقوله : « القرآن والسنة هما أصل الشريعة الإسلامية ، ومن غايتها هداية الإنسان إلى الخير في الدنيا والآخرة ، والنفس الإنسانية وهي التي تتأثر بما يلقي إليها من خير أو شر ، وتؤثر في توجيه سلوك الإنسان سلباً وإيجاباً ، جاءت الإنارة بالقرآن إلى أهميتها في تلقي الهداية في مثل قوله تعالى :



والذي يؤسف له أن الخصائص المميزة للملة عند المسلمين لم تجدد على امتداد تلك الحقبة التاريخية الطويلة التي اجتازها الإسلام خلال القرون الأربعة عشرة الأخيرة لنفسها تعبيراً دقيقاً دائماً في الأنظمة الاجتماعية والسياسية عند المسلمين ، لكننا نجد من ناحية أخرى أن الحيوية التاريخية التي يتميز بها الإسلام إنما تعود إلى مائة نسج هذه الملة التي تعرضت المرة تلو المرة للابتلاء على أيدي أعداء الإسلام .

وعلى هذا أرى أن من بين أكثر المشكلات أهمية وأجدرها بأن يتصدى لها المشتغلون بالعلوم الاجتماعية ، ومنها علم النفس في العالم الإسلامي ، مسألة الخصائص المميزة للملة عند المسلمين ، فهم لهم ذاتيتهم الخاصة ، وشخصيتهم الملية بحكم اشتراكهم في المعتقدات والقيم والدوافع والمعايير والأهداف ، وأن لهم كتاباً واحداً وهم قبله واحدة وهم تاريخاً مشتركاً وأبطلاً مشتركين في صدر الإسلام ، وقد تترتب على مثل هذا الموضوع فوائد تطبيقية وكذلك في مجالات التربية الصحية والعقلية للمسلمين ، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وتحقيق التكامل بينهم .. كل هذا لا يمكن أن يخدمه علم النفس المعاصر الغربي .. ولذا يجب أن ينشط العلماء المسلمين يشاركونهم في ذلك علماء النفس المسلمين في دراسة خصائص الملة لدى المسلمين .

### تعقيب

من مجموعة الآراء الواردة حول موضوع الندوة « الإسلام وعلم النفس المعاصر » نخرج بعدد من النتائج والملاحظات :

(١) أن النظريات النفسية المعاصرة أصلها غربي ، لا علاقة للإسلام بها .

(٢) أن العلماء المسلمين مطالبون بالبحث في مجال علم النفس واستنباط أساليب الإفادة منه في حياة المسلمين الخاصة والعامة وفقاً للمعايير الإسلامية الثابتة .

(٣) أن الإسلام يحث على البحث والتحصيل ، ويجب دراسة سلوك الإنسان المسلم بالوقوف على طبيعة النفس الإنسانية وصولاً إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى .

(٤) أن علم النفس ، حسب وجهة النظر الإسلامية ، لا يقتصر على جزء من نظام هو نفسية الإنسان وسلوكه وتصرفاته بل يتناول الإطار الكلي من إنسان ومجتمع وحياة وكون ، وما يتعلق بهؤلاء جميعاً من نظام وعلاقات يكون الإنسان محوراً وهمة الوصل بينها ، حيث يقوم الإسلام بتنظيم علاقة الإنسان بربه ونفسه وبغيره ، وعلاقة الإنسان بنفسه تشمل الأخلاق والمطعمومات والملبوسات ، وعلاقته بغيره من بني الإنسان تشمل المعاملات والعقوبات .

(٥) يجب مراجعة تراثنا الإسلامي للاستفادة من معطياته الخيرة .

(٦) معارضة النظريات النفسية التي تعارض العقيدة الإسلامية ، ويجب أن يكون الإسلام قوام علم النفس .

محبي الدين عبد الشكور ، أستاذ علم النفس بجامعة ولاية نيويورك ، وقد تحدث عن فروع علم النفس وفكرته :

« فكرة علم النفس فكرة قديمة من نواح وحديثة من نواح أخرى ، ولكن علم النفس السائد الآن علم غربي من جميع نواحيه ، وأصبح له تأثير كبير على الناس في جميع أنحاء العالم ، ويشعر المسلمون أنهم مسؤولون عن قيام علم النفس على أساس من نور القرآن الكريم وهدى السنة الشريفة . وعلم النفس أساساً هو علم السلوك البشري ، لكنه ينقسم إلى فروع وتخصصات كثيرة فهناك علم النفس الاكليتيكي الذي يعالج المشاكل الصعبة للمصابين بالتوتر والاكتئاب ، وعلم النفس التعليمي الذي يبحث في الكيفية التي يتعلم بها الناس وأفضل الطرق لكي يتعلم الأطفال الأرقام واللغات ، وهناك فروع أخرى تعالج مشاكل التكيف مع المجتمع المتغير والعيش في سلام .

كثير من هذه المشاكل يمكن إيجاد الحلول لها في الإسلام سواء في نصوص القرآن الكريم وهو كتاب الله سبحانه وتعالى أو في سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

والمشكلة التي تواجه العالم الإسلامي في هذا الصدد هي كيفية استخلاص هذه المعلومات من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتقديمها بطريقة يمكن تطبيقها .

### علم النفس والخصائص الإسلامية المميزة

● ومن باكستان يشرح الدكتور شهاب الدين مغني ، عضو هيئة التدريب بقسم علم النفس بجامعة بشاور وجهة نظره متطرقاً إلى موضوع الملة عند المسلمين ووجوب أن يخدمها علم النفس مع سائر العلوم الأخرى فيقول :

« مفهوم الملة هو المفهوم المركزي بالنسبة لأسلوب الحياة في الإسلام ، ذلك أن الدين عند المسلم لا يقتصر على أن يكون مسألة فردية بين العبد وربّه ، وإنما الدين يحدد كذلك علاقة الإنسان بإخوانه المسلمين وغير المسلمين وسائر مخلوقات الله على السواء . والإسلام يتضمن كل جوانب الحياة من المهد إلى اللحد ، ممتداً فيما بين الجوانب الخلقية والروحية من ناحية ، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من ناحية أخرى .

(١) المجلة : نظمت هذه الندوة في الفترة الواقعة بين ١٢ - ١٦ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ ، الموافق ١٤ - ١٨ أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٩٧٨ م .



# تاريخ طب الأطفال عند العرب



أودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان العقل ، فكان مطالباً بأن يتدبر ويتعلم ، ويستفيد مما يحيط به في تطوير نفسه ، وتكييف الحياة من حوله . . ومن هنا جاء الفارق بين الإنسان والحيوان والجماد .

فالإنسان من حرك عقله ، ونش عن مكنونات فكره ، واستفاد مما منحه الله ، فعَدَل وبدل ، وشيّد وبنى وتعمق في هذا الفكر فانقادت له العلوم ، وسهلت عليه المعارف ، لأن الله قد كرمه بالعقل ، وبغيره من الخصال التي هيأته للسيادة في هذه الأرض ، ولقد كرمنا بني آدم ، وجلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ( ٧٠ الإسراء ) .

رحلة في



كتاب

تأليف :

د. محمود الحجاج  
قاسم محمد

عرض :

د. محمد سعد الشويعر



هذا الفن تشخيصاً وعلاجاً ، وكرسوا جهدهم في ذلك ، وأعطوا نتائج لم يسبقوا إليها ، من حيث الكم والكيف .

بل إن الطب الإسلامي ، والعلوم المحيطة به ، يعتبر نقطة تحول كبيرة في حياة البشرية . فقد ربطوا الناحية العلاجية بالناحية النفسية والفلسفية . ثم إنهم آمنوا بفكرة التشخيص ، ودراسة المؤثرات ، واهتموا بالتخصص . وفي هذه اللمحة العابرة ، سنسير مع الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في كتابه «تاريخ طب الأطفال عند العرب» . . هذا الجهد الذي بذله في لَمْ شتات ما تفرق من هذه الدراسة في كتب الطب الإسلامية ، مشيراً إلى أن أجدادنا قد اهتموا بالتخصص في كل الجوانب ، وخاصة هذا الجانب المهم من جوانب العناية الطبية .

وهنا نرى لزماً علينا أن نسير مع المؤلف في جهده الموفق لتعريف العالم في عام الطفل ، بأن العرب والمسلمين ، قد سبقوا الغرب بالاهتمام بالطفولة وحافظوا عليها تربية وعلاجاً ، ورعاية واهتماماً بدءاً من اختيار الأم ، إلى أن يتحمل الطفل مسؤولية الحياة ، بعد أن يشتد عوده ، ويثبت كيانه ، في وقت كان أطفال الرومان يموتون من الأمراض ، ويفتلك بهم سوء التغذية ، بل الأشد من ذلك أنهم يقدمونهم قرايين للآلهة .

#### نظرة إلى الكتاب

إن من تيسير الثقافة على راغبيها ، أن يخرج كتاب كهذا : بسيط في إخراجهِ ، فلا رسوم ولا تكلف في الإخراج ، متوسط في حجمهِ إذ يبلغ « ١٥٢ » ، مائة واثنان وخمسون صفحة بمقاس ١٦×٢٤ ، ومعدل كل صفحة ٢٥ سطرًا مع الهامش .

رخص في ثمنه الذي يبلغ (١٥٠) مائة وخمسون فلساً ، بما يقارب ريالين سعوديين ، مع أن طباعته جيدة وحديثة عام ١٩٧٨ م ، وورقه جميل وصقيل ، في وقت ارتفع فيه كل شيء حتى ما يتعلق بالثقافة والعلم . ولعل نشر هذا الكتاب بواسطة وزارة الثقافة والفنون العراقية ، من أسباب تيسير وسهولة تناول هذا الكتاب .

وهو في حد ذاته جديد في موضوعه ، فقد فتح باباً واسعاً أمام المختصين في علمنا العربي ، لكي يسلطوا الضوء على علوم كثيرة بحثها أجدادهم ، وتعمقوا فيها .

فهي جديدة وقديمة ، قديمة في عمرها الزمني ، بعد مقارنتها بسائر العلوم التي يأتي للعامل الزمني فيها دور مهم ، في تحديد الأقدمية في البحث ، والأسبقية في الجزئيات ، والأولية في الشكل والمظهر . . لكنها جديدة وحديثة ، إذا قورنت بما وصلت إليه العلوم في العصر الحاضر .

والعرب في حضارتهم الإسلامية الزاهية ، قد مارسوا الطب كواحد من العلوم التي أحبوا وأجادوا فيها ، وتفننوا في تتبع خفاياها ، ودقائق العلاجات ، رغم أن الطب لم يكن له مكانة تذكر عند العرب قبل الإسلام ، وما يحقق البروز قبل استقرار دولة العقيدة ، في حكومة حريصة على نشر راية هذا الدين وتوسيع دائرته ، والافادة من كل جديد ، يصلح المجتمعات ، ويحقق لها بغيتها برخاء وسعادة ، في أسلوب يدعم ركائز الخير للبشرية ، لأن دينهم يهتم بهذه الأمور ، وانطلقوا من دائرته .

وفي معتقداً الإسلامي يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي ، يرويه عن ربه : « ابن آدم خلقتك لأجلي ، وخلقت كل شيء لأجلك » . فما يحيط بالإنسان في هذه الحياة من أساسات وماديات ، ومن جوهر وعنصر ، كلها جاءت لحكمة بينة ، وميزة ظاهرة .

فهو من أجل أن يستفيد هذا الإنسان مما حوله ، ويمزج بعضها مع بعض في تركيبات قد تفيد وقد تضره ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ﴾ (٢٠ لقمان) .

تفيدة إذا حكم عاطفته ، واستبصر في أمره ، وتعقل في شؤونهِ ، واهتم بجانب الخير ، وراعى شؤون الآخرين ، وابتعد عن الأنانية والتسلط . وتضره عندما ينساق خلف عواطفه وشهواته ، يضع الأمور في ميزان المصلحة الذاتية ، مشيحاً عن شعور الآخرين واهتماماتهم .

من هنا كانت جميع الديانات السبوية تدعو إلى عنصرين مهمين للفرد في هذه الحياة : العلم . وحب الخير .

ومن باب أولى أن يكون النبي ، والدعوة للابتعاد عن نقيضهما . وقد أخذ بذلك أسلافنا المسلمون ، لأن الدين الإسلامي ، دين يخاطب العقل ، ويتغلغل في الوجدان .

ودين هذه سمته ، لا بد أن يتغلغل في نفوس أتباعه ، وأن ينقل أبنائه في فترة وجيزة من حياة أشبه ما تكون بالبدائية الأولى ، في الناحية العلمية ، والإهتمام الحضاري ، إلى حياة يرتفع فيها الرسم البياني في هاتين الناحيتين ، ارتفاعاً يفوق تصورات العقول البشرية ، ونظرتها لكل أمر ، قياساً على الحالات الماثلة في حياة الأمم ، سواء كانت تلك الحالات سابقة للحضارة الإسلامية العربية ، أو تالية لها .

ولعل من أهم الأسباب في هذه النقلة البعيدة ، والمتطورة ، أن الإسلام يزِيل الفوارق ، ويكره العنصريات ، ويمقت الاستعلاء : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم - ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

من هذه النظرة العميقة ، التي سادت لدى العرب ، بعد استمدادهم المعيد من المعلم الأول صلى الله عليه وسلم سلوكاً ومنهجاً ، واهتمامهم بمن دخل في الإسلام ، واعتباره عضواً فعالاً في هذا المجتمع الجديد ، الذي دخله بطواعيته واختياره ، وجمعهم على دروبه ومدارسه ، فلأنهم على اختلاف المستويات قد أخذوا بزمام المبادرة في تقدير العلماء ، وإدنائهم من مجلس الخلفاء والقادة وإغداق المال عليهم بلا حساب أو عد ، وتهيئة فرص البحث والاستيعاب ، والتعرف على علوم ومعارف الأمم السابقة ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الأطباء الذين ضربوا بسهم وافر في العلوم ، ورقياً قياسياً بالدخل ، والسمة ، والمكانة .

في هذا الجو نشط الطب عند المسلمين ، واهتم علماءهم باستقصاء جوانب



أبرز الجزئيات في هذا الكتاب ، التي تنقل القارئ من الناحية التحليلية العلمية ، إلى التدرج مع المولود في فترات القصور والعجز ، ثم البحث عن المسببات والطرق المعينة في تقوية صحته وفكره ، وتنمية حواسه ، لتأهيله تربوياً لتحمل أعباء الحياة ، وشد أزره للنهوض بمستوى أمته ، وتحشم المشاق والثبات من أجل هدف نبيل يسعد بني جلدته .

### محتويات الكتاب

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول ، وزع المعلومات بينها حسب تقسيم ارتآه :

في الفصل الأول ( ١١ - ٢١ ) الذي تحدث فيه عن طب الأطفال عند الأمم السابقة ، حيث يرى المؤلف أن بلاد ما بين النهرين هي أقدم موطن مدنات الشرق ، وأن الطب فيها يعتبر أقدم الحضارات الطبية في العالم .

ثم يلي الآشوريين والبابليين ، المصريون ، ويأتي في المرتبة الثالثة اليونانيون والبيزنطيون .

وفي الفصل الثاني ( ٢٣ - ٣٠ ) الذي أفرده للإسلام والطفل ، استعرض فيه اهتمامات الإسلام بهذا المخلوق قبل أن يخرج للحياة من حيث « حسن اختيار الأم والأب على حد سواء » ، واستشهد المؤلف على ضمان الإنسجام والإطمئنان لمستقبل الطفل ، وأهمية الدين ورسوخه عند الوالدين بأحاديث نبوية كقوله صلى الله عليه وسلم لرجل : « تنكح المرأة لما لها وجاهها ، وحسبها ودينها ، فاطفر بذات الدين تربت يداك » ، إذ لا مصيبة أعظم على الطفل من أبوين غير متفقين في أسس التربية والأخلاق ومقاييسها .

ثم يركز المؤلف على أشياء ذات أهمية كبرى في العصر الحاضر ، لدى المهتمين برعاية الطفولة ، والوقاية الصحية لبراعم الأمة ؛ مشيراً إلى أن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً قد وضع أسساً ، ورسم قواعد في هذا المجال ، واستشهد لكل حالة ببرهان يقيني من مصادر التشريع الإسلامي ، التي لا تقبل النقض والتبديل : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كناحية مادية تسكت المحاولين الغش من مكانة الإسلام ، ووصف هذا الدين بالقصور عن مجارة الحياة .

فهو لم يكن دين عبادة وتبتل فقط ، بل هو دين حياة وتطور ، وعقل وتبصر ، مع اهتمامات كاملة بجميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم . فالمؤلف يهتم في هذا الفصل بالموضوعات التالية ، كما هو منطلق الدين الإسلامي :

مسألة الوراثة ، الرضاعة ، الوقاية من الأمراض ، التلقيحات ، اللقيط ، ألعاب الطفل .

ثم يستعرض مراحل تربية الطفل في الإسلام ، مع خطط عريضة في تربية الطفل ، ولا شك أن تطرق المؤلف لهذه الجزئيات ، ذات مغزى كبير ، فهي ترشد الراغبين في الوصول للحقيقة من أصحاب الديانات الأخرى ، في مثل هذا الموضوع المتخصص ، لكي يعرفوا أشياء جديدة عن الإسلام في اهتماماته الصحية ، ورعايته الاجتماعية ، بخلاف الديانات الأخرى التي لا تراعي إلا النواحي الروحية فقط .

ولعل هذا الجانب هو أهم ما يجب أن نبسطه أمام علماء الغرب ، الذين



★ رسم لأحد النبات الطبي مع وصفه في كتاب يعود تاريخه إلى سنة ١٢٢٤ م ★

فالواحد منهم يتفاعل مع العلم الذي أحبه ، ويعيش بحواسه مع جوانبه المختلفة ، ويخلص في الطريق الذي سلكه ، بدافع من عقيدته ، وأداء لأماته . من هنا أخذ طب الأطفال مكاناً مرموقاً عند الأطباء العرب ، وحظي من علماء الإسلام بمنزلة رفيعة ، مبعث ذلك نظرهم إلى أهمية المولود الذي تبني عليه الأمة آمالاً في تقدمها ونهضتها ، وتأمل منه أن يستعد لأداء رسالتها القيادية بين الأمم ، وفق منهج الله وشرعه .

وهذا الكتاب الذي أبان فيه المؤلف عن تاريخ طب الأطفال عند العرب ، وسلط الضوء في فصوله الستة على جوانب مختلفة من هذا العلم ، وربط مكانته في المجتمعات بمنزلته من العقيدة الإسلامية ، ورعاية الإسلام للطفولة ، واهتمام بها .

ذلك الدين الذي تحاطب تعليقاته ، وأوامره خفايا الضمائر ، وتنحسس متطلبات النفوس ، وما يسعد المجتمعات . فلقد عرض المؤلف ذلك في أسلوب موجز ، مدعوم بالشواهد المحسوسة ، والوقائع المميزة .

ولعلنا عندما نستعرض فصول الكتاب الستة ، يتجلى أمامنا بالمقارنات العلمية التي أبرزت هذا السفر ، وبالتحليلات الظاهرة التي رفعت مكانة ذلك العلم ، ما يجعل القارئ يسبح بين جنباته في رحلة تخلق به في آفاق الماضي ، وترتفع به إلى أجواء العلم والمعرفة ، والطب والصيدلة .

إن هذه الاهتمامات التاريخية التي أحاطت بهذا النوع من العلوم ، وتلك الوسائل التي بسطت لرعاية أهم كائن حي على وجه البسيطة ورعايته ، هي



فإنه لا يسمو به من أحبا إذا اقتضت بعضها عن بعض وحديث عالم  
ولذلك سميت إليه ميرزا موندوس في القرنين ٥ و ٦ وهذه الطبقة  
طبقة أخرى لا يشبهها بقدر ما إلى نانية أيقنته قوش إلى المضم من  
غشا يلتم حول الطبقة القرنية ودرجتها في الغشا والطبقات بعض  
بعضها بعضا لأنه لو غشا كله لمنع البصر من أن يتفسد  
وهي على هذا المثال



وإنما مبتدئ بالخبر عن منافع كل واحد من الرطوبات والطبقات التي وصفنا  
ابتداءً لثباتها وكونها ومنتهاها ومواضعها وفكرت، فتقدمت في أخباركم  
أن الرطوبة الجليدية في وسط العين وان خلفها رطوبة واحدة وثلاث طبقات  
فأولها رطوبة واحدة وثلاث طبقات، فتبتدئ بعون الله بالخبر  
عن منفعه الرطوبة التي خلف الجليدية وهي الزجاجية وعن تلك  
طبقات التي ذكرنا خلفها فنقول إن كل عضو من أعضاء البدن لا بد له من غشا  
وذلك لأنه لا بد له من أن ينقصر منه شيء يتخلل الحرارة الطبيعية من حرار

★ رسم تشريحي للعين من كتاب لأبي زيد  
حنين بن إسحاق العبادي ★

العرب في طب الأطفال ، ويرى أن العرب هم أول من اهتم بطب  
الأطفال كعلم مستقل ، وبوافق القائلين من علماء التاريخ الطبي ، بأن  
أول من فصل بين طب الأطفال وأمراض النساء الرازي (٢٥١ - ٣١١ هـ ،  
٨٦٥ - ٩٢٣ م) في رسالته في طب الأطفال التي ألفها في حدود عام  
(٢٨٨ هـ ، ٩٠٠ م) ، ويشير بإجمال إلى مكانة علماء الطب العرب في اهتمامهم  
بهذا الجانب ، وعلاج الطفل المريض نفسه .

ثم يستعرض في اهتمام بالغ ، تلك النواحي المهمة التي أولاها الأطباء  
العرب قسطاً كبيراً من العناية والتركيز مثل : العناية بالحامل ، المولود حديث  
الولادة ، والعناية به ، ووقايته من الأمراض ، وتغذيته ، والاهتمام بنفسيته ، ثم

يعشقون المعرفة ، وينشدون الحقيقة العلمية التي تنقلها النفس عن رضا  
وقناعة ، يصعب إزالتها مهما أحاطت الظروف ، واستحكمت العداوات . وهذا  
واجب إلزامي على كل متخصص في مجاله ، أن يعرض بضاعته بأسلوب  
رصين ، يميل إلى مخاطبة العقل وإزالة ما التبس على النفس .

ولعل الحادثة التي ذكرها ديورانت في كتابه « قصة الحضارة » ، في  
حديثه عن الصليبيين ، وحملاتهم على المسلمين ، دليل مادي يرسخ هذه  
النظرية ؛ « كان المرضى المسيحيين يفضلون الأطباء المسلمين على الأطباء  
المسيحيين » ( ج ١٥ : ٣٤ ) .

وفي الفصل الثالث : ( ٣١ - ٥٨ ) يتعرض لمساهمات الأطباء



أدوار الطفل والنمو الطبيعي للأطفال ، من ناحية صحته ، وتغذيته ، إلى أن يكون رجلاً سوياً .

وفي الفصل الرابع ( ٥٩ - ٩٣ ) ، يستعرض أمراض الأطفال عند الأطباء العرب : ولاهمية الجهاز الهضمي عند الطفل ، فإن المؤلف يوليه أهمية كبيرة ، فيبدأ بذكر أمراض المعدة وعددها سبعة ، ثم أمراض الأمعاء وهي ستة ، ثم يسير خطوات متزنة مع الأطباء العرب كالرازي ، وابن سينا ( ٣٧١ - ٤٢٨ هـ ، ٩٨٠ - ١٠٣٧ م ) ، وعريب ، والطبري ، في وصفاتهم الطبية لبعض هذه الأمراض .

ويتناول بعد ذلك : الجهاز التنفسي ، ثم الجهاز العصبي والحركي ، والجهاز البولي والتناسلي ، والأمراض المعدية مثل : شلل الأطفال ، الكزاز . ثم الأمراض الجلدية في الأطفال ، وأمراض الفم ، والأذن والحنجرة ، وأمراض العين ، وجراحة الأطفال ، والأمراض الوراثية ، والنشوهات الخلقية ، ثم الناحية الكمية في إعطاء العلاجات للأطفال . كل هذه الأشياء يبسطها ، ويتناول أنواعها ، ومسبباتها ، ويصف الطريقة المثلى في العلاجات وكيفية تناول الأدوية ، ومقاديرها حسب أوصحه الأطباء الذين الفوا في هذا الميدان ، كما سيأتي ذكر أسمائهم ومؤلفاتهم في الفصل

الخامس .

وإن القارئ المتبع ليعتد بهذا المستوى الذي أبانته الأطباء المسلمون ، لا على أساس تقديس كل ما هو قديم ، كما قالت الدكتورورة لمعان أمين زكي في تقديمها لهذا الكتاب بل ليكون هذا الاعتزاز مصدر الهام لجيل الحيرة والقلق المعاصر في جهاده لفهم الذات ، وتحديد الهوية ، وتحقيق الشخصية ، وأن يكون وسيلة من الوسائل التي يصارع بها اليأس ، والتي تؤدي به إلى الاطمئنان على الغد والثقة بالمستقبل ، في فترة تاريخية ، تكاثرت مبططات العزائم ، ومفترقات الهمم . ( ص ٩ ) .

### مؤلفات العرب في الطب

وفي الفصل الخامس ( ٩٥ - ١٣٥ ) يأتي على مؤلفات العرب في طب الأطفال ، فيذكر المؤلفين ، وبجانبهم مؤلفاتهم ، ويخرج الحديث عن هذه الكتب بالحديث عن أبرز موضوعات كل كتاب في باب الطفولة ورعايتها وهم : ١ - علي بن سهل الطبري ( ٢٤٧ هـ ، ٨٦٢ م ) وكتابه « فردوس الحكمة » .

★ فني يعالج نفسه من لدغة الأفعى بأن يقتلها ويأكلها مع بعض أوراق نبات الغار ★





الدكتور داود الجلي الموصل في كتابه محمد بن زكريا أن مؤلفاته تبلغ ٢٣٢ ، حسب ذكرها ابن أبي أصيبعة .

أما ابن سينا فله من المؤلفات أكثر من مائة ، وكان موضع اهتمام الغربيين قبل العرب ، وقد أوفاه حقه كل من الدكتور جميل صليبا في كتابه ابن سينا ، وجورج شحاتة في كتابه مؤلفات ابن سينا المخطوط منها والمطبوع ، والعقاد في كتابه الشيخ الرئيس ، وغيرهم .

٦ - أحمد بن محمد الطبري ( ٣٢٠ - ٣٦٦ هـ ، ٩٣٢ - ٩٧٦ م ) في كتابه المعالجات البقرطية الذي قال عن نفسه في مقدمته : بأنه لم يتكلم أحد قبله في علاج الأطفال كلاماً شافياً ، بل اعتمد الأوائل في ذلك على أن الطب علم ، وعلمه يشتمل على الأطفال وغيرهم في باب المعالجة .

ثم أفاض الدكتور محمود في ايضاح مرئيات الطبري في التشخيصات العلاجية للطفل كما عرضها في كتابه هذا .

٧ - ابن الجزار القيرواني ( ٢٨٥ - ٣٦٩ هـ ، ٨٩٥ - ٩٨٠ م ) في كتابه سياسة الصبيان وتدريبهم وقد سبق لنا أن عرضنا هذا الكتاب على صفحات مجلة الفيصل في العدد ٢٤ الصادر بشهر جمادى الآخرة عام ١٣٩٩ هـ .

٨ - عريب بن سعد الكاتب القرطبي في كتابه : خلق الجنين وتدريب الحبالى والمولودين .. ومع أن المؤلف اعتبره أجود مؤلف في علم الولادة . كما يعتبر من الأبحاث النفسية في علم طب الأطفال ، إلا أنه يعود بعد الإشادة بهذا الكتاب وعرض أبرز أبوابه إلى القول : « بأن هذا الكتاب مع ما يبرز فيه من مزايا قيمة يحتوي على بعض المثالب والأخطاء العلمية ، لا نقره اليوم عليها قياساً لما نعرفه في علم الطب الحديث » .

٩ - علي بن العباس المجوسي ( ١٠٠٠ - نحو ١٤٠٠ هـ ، ١٠١٠ م ) في كتابه الملكي « كامل الصناعة الطبية » الذي خصص في الجزء الثاني منه ، ثلاثة أبواب لطب الأطفال .

١٠ - أحمد بن أبي الأشعث ( ١٠٠٠ - ٣٦٠ هـ ، ١٠٧١ م ) الذي ظهر بعد موت الرازي ، وكسب شهرة عظيمة في كتابه : كتاب في الجدري والحصبة والحمية .

١١ - أحمد بن محمد البلوي في كتابه « تدبير الحبالى والأطفال والصبيان ، وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم » والكتاب لا يزال مخطوطاً ، وقد وعد المؤلف بتحقيقه .

١٢ - ابن سينا ( ٣٧١ - ٤٢٨ هـ ، ٩٨٠ - ١٠٣٧ م ) الذي ألف ٢٧٦ كتاباً ، وقد خصص في كتابه « القانون في الطب » كما يقول المؤلف ، قسماً لتربية الأطفال وأمراضهم ، ويسميه « التعليم الأول في التربية » وهو أربعة فصول .

ومع اشادته بابن سينا ، وذكره الموضوعات التي اهتم بها في علاج الأطفال وأمراضهم ، ونموذجاً للوصفة الطبية التي ذكرها ابن سينا لمرض القلاع « التهاب الفم » ، فإنه معجب بأرائه في التربية ، تلك التربية التي رأى ابن سينا أنها تنبع من الإسلام ، ثم بعد تشبعه بها يعلم التربية التي تكسبه لقمة العيش ، ولا ينسى الصفات التي يجب أن يتحلى بها المدرس ، ثم نظرته إلى العقاب فالمؤلف في تنبئه لخطوات ابن سينا في التربية ، يرى أنه « على حق في حرصه على المناداة في التربية الخلقية ، فالأخلاق هي كل شيء ، والحياة هي الأخلاق ، فالتربية الحديثة اليوم توجب على المدرس أن يذكر دائماً ، إننا لسنا في حاجة إلى العلم فحسب ، ولكننا في حاجة إلى

٢ - يوحنا بن ماسويه ( ١٠٠٠ - ٢٤٣ هـ ، ١٠٠٠ - ٨٥٧ م ) في كتابه « الجنين » .

٣ - ثابت بن قره ( ٢٢١ - ٢٨٨ هـ ، ٨٣٦ - ٩٠١ م ) في ثلاثة كتب له ذكرها ابن أبي أصيبعة ( ٥٩٦ - ٦٦٨ هـ ، ١٢٠٠ - ١٢٧٠ م ) وهي : جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر ، ورسالة في الجدري والحصبة ، ومقالة في صفة كون الجنين .

٤ - حنين بن اسحاق ( ١٩٤ - ٢٦٠ هـ ، ٨٠٩ - ٨٧٣ م ) وله ستة مؤلفات ذكرها المؤلف نقلاً عن ابن أبي أصيبعة ، وأشار إلى أنه لم يتيسر له الإطلاع على مؤلفاته في طب الأطفال وهي :

- ثمار كتاب أبرقراط في المولودين لثمانية أشهر .
- مقالة في كون الجنين ، مما جمع من أقاويل جالينوس وأبقراط .
- كتاب في اللبن أو مقالة في اللبن .
- كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر على طريق المسألة والجواب .
- المولودين لسبعة أشهر .
- رسالة في تدبير المولودين .

٥ - الرازي ( ٢٢٦ - ٣٠٣ هـ ، ٨٤٠ - ٩٢٥ م ) ، وقد أفاض المؤلف في كتبه مما يدل على أنه قد اطلع عليها ودرسها ، فهو يستخلص ما يتعلق بطب الأطفال من كتاب الحاوي ، ذلك الكتاب الذي لم يخلد اسم الرازي في أوروبا خاصة ، وفي العالم بأسره عامة فحسب ، بل أضفى على الطب العربي منزلة رفيعة بما فيه من ملاحظات سريرية تدون لأول مرة في تاريخ الطب ، وبما حوى بين دفتيه من معلومات عميقة ، ومضات متمكنة للحالات السطية والعلاجية المختلفة . وكتابه الثاني المنصوري الذي سماه باسم المستشفى الذي يشرف عليه ، وقد تكلم في الرسالة الرابعة منه عن تدبير الأطفال .

ثم رسالة للرازي في طب الأطفال ، تلك الرسالة التي حوت أربعة وعشرين باباً في الأمراض التي تعترى الأطفال ، شارحاً كل مرض ، وواصفاً العلاج ، ومعيداً الأسباب في بعضها إلى ظواهر معينة .

وقد اعتبر المؤلف هذه الرسالة « أول مؤلف في طب الأطفال » . ثم ذكر كتاب الرازي في الجدري والحصبة ، وكتابه : مختصر في اللبن ذكره ابن أبي أصيبعة ، لكن المؤلف لم يطلع عليه .

وإن ما أشار إليه المؤلف عن مكانة الرازي الطبية ، وما ناله من شهرة علمية ، فإنما هو جزء من المنزلة الرفيعة التي احتلتها المكانة الطبية الإسلامية ، وخاصة الرازي وابن سينا ، في أوروبا منذ النهضة الحديثة ، حتى يومنا هذا ، إذ بلغ الأمر بأن ترجمت كتبها وخاصة الرازي للغات اللاتينية المتعددة ، وطُبعت رسالة الجدري والحصبة باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي ١٤٩٨ - ١٨٦٦ م ، وعلقت صورته بجانب ابن سينا في مدرسة الطب بجامعة باريس ( انظر كتاب قصة الحضارة - مجلدات ١٣ : ١٨٩ - ١٩٦ ) ، وقد ذكر







تقديمها لهذا الكتاب، إلا أنها قالت: «ومن هنا أيضاً كان الحافنا على المؤلف، بأن يراجع فصوله، ويزيد عليها، ويجمعها في كتاب يسهل علينا الاطلاع على ما كتب آباؤنا في هذا الفرع المهم من فروع العلوم الطبية». فال مؤلف قد خدم المكتبة العربية بهذه هذا، وقدم للأجيال العربية خلاصة جهد أجدادهم في طب الأطفال، بعد أن بلوره في نسق تاريخي، وتعريف متكامل، لجهود الأطباء، وأعمالهم المتواصلة، والتي تفتق عنها مؤلفات ألّمت بموضوعات متعددة من أمراض الأطفال، وأعراضها ومظاهرها، وكيفية علاجها، مع إشارة عاجلة إلى أسلوب ابن سينا في التربية... وهو جهد مشكور وموفق، مع المشقة والتحمل، ناء به كاهل المؤلف رغم مشاغله التي أبان عنها في تقديمه.

وهو خير هدية - تراحم الهدايا الماثلة - التي تقدمها ثمار الفكر الإسلامي في عصور ازدهارها للبشرية عامة، ولعام الطفولة والأمومة بصفة خاصة. إلا أن القارئ المتخصص، يطمع في الزيادة التي تفتح آفاقاً جديدة من المعرفة على المكانة العلمية لدى أطباء العرب المسلمين، إبان ازدهار حضارتهم، كما تنوق نفسه إلى استيفاء الموضوع في نقاط تكميلية مثل:

- الناحية العلاجية ووصفات الدواء، وكيفية تركيبه.
- نماذج من الحالات العلاجية التي يستعصي مثلها على كثير من أطباء هذا الزمان وكانت نتائجها عند العرب البرء، سواء كان العلاج سريريّاً أو نفسياً أو جراحياً.

- تعريف عن اهتمام العرب بالغذاء كجزء من العلاج وخاصة للأطفال.
- كان للمستشفى المنصوري أقسام متعددة لعل من بينها قسم للأطفال، وقسم للنساء، وهو نموذج للمستشفيات المتعددة في بلاد المسلمين ذلك الوقت.

فالقارئ العربي يتشوق إلى أن تتجسم عنده أمثال هذه المقارنات التي تزيده ثقة في المكانة التي وصل إليها أجداده، ليستمد من مسيرتهم جذوة الحماس، ومن مكانتهم قدوة الاحتذاء.

وإذا كانت الشكليات المظهرية، التي يهتم بها بعض العلماء والباحثين في الجامعات العربية، وخاصة في الرسائل العلمية، تعني عمقاً في المدلول، ورجاحة في الميزان العام، وثقلاً في نظر بعض القراء، ممن أخذوا بهذه المنهجية في نظرهم للمجهودات العلمية... فإن هذا الفريق يطالب المؤلف بأن:

- يهتم بثبت المصادر التي استقى منها، موضحاً اسم الكتاب ومؤلفه وطابعه وتاريخها إذا كان مطبوعاً، والناسخ، ومكانه ورقه إذا كان مخطوطاً.
- يضع فهرس مختلف لكتابه ليسهل على القارئ الوصول لهدفه: كفهرس الكتب وفهرس الأعلام وغيرها.
- يراعى وضع التاريخ الهجري بجانب العام الميلادي، ذلك أن التاريخ الهجري مرتبط بدراسة التراث وتاريخ الأمة.
- ينحتم بخلاصة ما توصل إليه من آراء قاطعة، وترجيحات لم يسبق إليها.

- يلاحظ الأخطاء اللغوية والإملائية، التي جاءت بلا شك من الطباعة، وأن يهتم بالهمزات وعلامات الترقيم والوقف... تلك العلامات التي لا وجود لها في هذا المؤلف.

- وضع تاريخ ولادة و وفاة من يتعرض للحديث عنه، مع لفت النظر إلى تاريخ كل كتاب وأهم الأحداث إذا وجدت.

السخيفة، وانتشرت العقاقير الغربية المروعة، والصيغ السحرية العجيبة، فبعض الحجارة إذا أمسكت باليد كانت في نظر بعض الناس تمنع الحمل، كذلك كانت بعض السوسة، وبعض الرجال - حتى في سبلر مدينة الطب نفسها - يأكلون روث الخمر لتقوى قدرتهم على الإخصاب» (١٧: ١٨٧).

ثم يشير إلى أن جامعة نابولي بعد عام ١٢٦٨م عندما بدأت تهم بتدريس الطب كانت تستورد عقاقير كثيرة من بلاد الإسلام، وظلت محتفظة بأسمائها العربية... (١٧: ١٩٠)، كما أن روجر الثاني صاحب صقلية قصر مهنة الطب على الذين ترخص لهم الدولة، وأكبر الظن أنه جلدًا في ذلك حذر السوابق الإسلامية القديمة (١٧: ١٩٠).

والباحث في مكتبة التراث العربي يكتشف كل يوم شيئاً جديداً في علوم الطب والأدوية عند المسلمين، تلك العلوم التي فتحت آفاقاً واسعة، وقصرت مسافات طويلة أمام النهضة الأوروبية الحديثة، فهذا كتاب ينفرد بالعلاجات المتخصصة: كطب الأطفال، والعيون، والحميات... كما مرّ بنا نماذج ذلك، وهذا كتاب ينفرد بالأدوية، ووصف اختصاصات كثير من الأعشاب والنباتات وفائدة أنواع الأغذية للجسم مثل كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية وهو سفر كبير لضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (٥٠٠ - ٥٦٤هـ، ١١٠٠ - ١٢٤٨م).

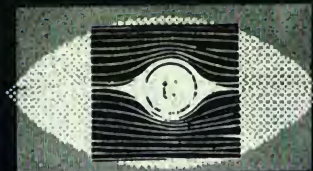
كما أن كثيراً من العلماء والأدباء كان لهم الملم بالعلوم الطبية، كما نرى عند ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١هـ، ١٢٩٢ - ١٣٥٠م) في زاد المعاد، والنويري (٦٧٧ - ٧٣٣هـ، ١٢٧٨ - ١٣٣٣م) في نهاية الأرب.

وما ذاك إلا بما تشعبت به نفوسهم، وطفح به معيارهم، فكان الطب واحداً من العلوم الشائعة، يستمدون بعض وصفاته من مصدري التشريع الديني عند المسلمين: كتاب الله، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وحيداً لو كانت الجامعات الكثيرة في العالم العربي والإسلامي في شتى العلوم والمعارف وخاصة الطب والعلوم الإنسانية، والفلك والكيمياء، تضع في مناهجها ما يربط الطالب بعلوم أجداده، فيدرس نظرياتهم وتجاربهم... إذ في ذلك حافزاً قوياً للحماس والإقتداء، وتركيزاً على الأصالة والبعد عن التبعية... فلقد تعلم الغرب وأفاد من العلوم أكثر مما نعرف نحن عنها.

## هذا الكتاب

لقد آمن المؤلف في مقدمته بأهمية مثل هذا الكتاب، ليكون كاشفاً أمام الأجيال الجديدة، ولتعلم أن آباءهم كانوا بناء للحضارة والعلم. وقد أيدته الدكتورة لمعان أمين زكي أستاذة طب الأطفال في كلية طب جامعة بغداد



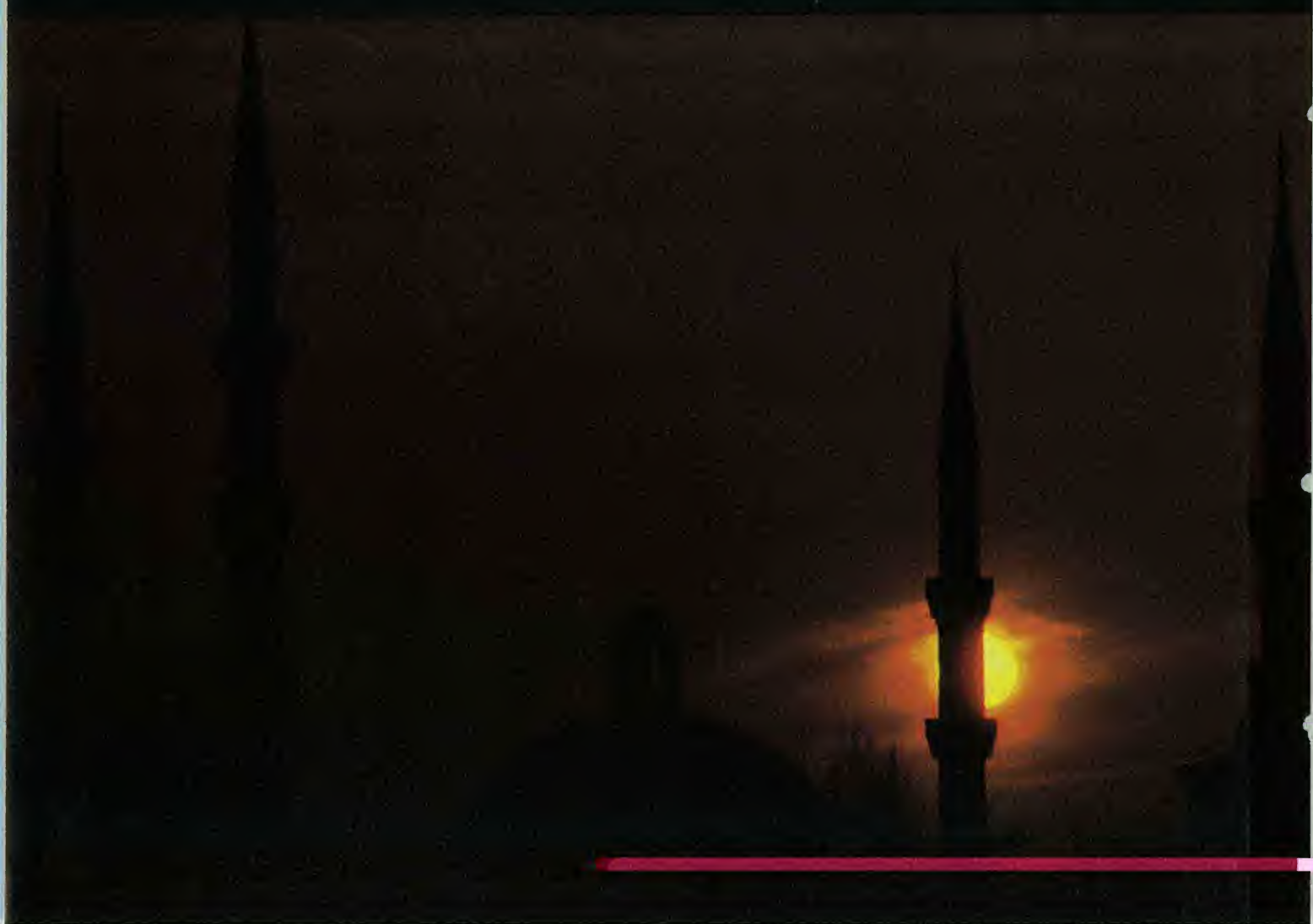


موضوع  
خاص

# المساجد ..

## وفن العمارة الإسلامية

بقلم : شريف يوسف





# المساجد

## وفن العمارة الإسلامية

لبناء المساجد والجوامع نظام خاص قلما تخرج عنه التصميم والخططات الخاصة بها . فهذا النظام مستمد في أساسه من المسجد الأول الذي أقامه النبي العظيم صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، فعندما وطئت قدماه أرض المدينة وجه عنايته إلى إنشاء مسجد يضم شتات المسلمين ، ويكون مظهراً من مظاهر الرابطة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار . بنى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أول ما بنى (مسجد قباء) في ضاحية تبعد عن المدينة المنورة مسافة فرسخين إذ ذاك . ومكث فيها أربعة أيام ، ثم بنى مسجده داخلها . ولشدة تعلقه بالمسجد أقام بيوت أزواجه حوله ، كما أقام أصحابه بيوتهم بالقرب منه .

وقاص) ، وهو في الكوفة ، وإلى (عمرو بن العاص) وهو على مصر يمثل ذلك . ويعتبر تخطيط مدينة البصرة أول تجربة لتخطيط المدن في العصر الإسلامي ، وكان مؤسسها (عتبة بن غزوан المازني) وذلك سنة ٦٣٥ م . وقد جعل المسجد ودار الإمارة وبيت المال في وسط المدينة ، وجعلت الطرق والشوارع تؤدي كلها إلى المسجد ، كما شيدت الأسواق قريبة من المسجد لتيسر لعامة الناس الاتصال بالولاية وأداء فريضة الصلاة ودفع الضرائب وردها إلى بيت المال .

كان هذا المسجد خال من البناء ، فهو يشغل ساحة مكشوفة مسورة بسياج من القصب ما لبث حتى شيد له سور من اللبن والطين ، وجعل له سقفة من القصب يحمي بها المصلون من حرارة الشمس نهراً . وفي ولاية (زياد بن أبيه) على البصرة ، سنة ٦٦٤ م ، أعيد بناء المسجد ، واستبدل السقف القديم بسقف من خشب الساج ، وجعل حرم المسجد بخمسة صفوف قائمة على أعمدة من الرخام ، وحول دار الإمارة إلى خلف المسجد من جهة القبلة ، وفتح في حائط المسجد باباً يتصل بدار الإمارة ليسنى للامير الدخول إلى المسجد وقت الصلاة ، وبني في المسجد مقصورة كما بني له منارة .

ثم بنيت الكوفة على غرار مدينة البصرة ، وجاء بناؤها بعد عامين أو ثلاثة من بناء مدينة البصرة ، بناها (سعد بن أبي وقاص) ، وجعل مسجد الكوفة ودار الإمارة وبيت المال في وسط المدينة أيضاً ، ولم يكن للمسجد سور في بادئ الأمر بل كان صحته مكشوفاً يحيط به خندق وله سقفة يستظل بها المصلون في الجهة الجنوبية من الصحن ، ثم أحيط المسجد بسور من اللبن والطين . وقد وسع (زياد بن أبيه) هذا المسجد بحيث صار يتسع لستين ألف مصل ، وبني الجدران بالأجر المستخرج من خرائب الحيرة القريبة من الكوفة ، وجلب الأعمدة الحجرية منها لرفع السقوف عليها ، وكان حرم المسجد مكوناً من خمس بلاطات ، وفي الجهات الأخرى الثلاث بلاطتان ، ويستند السقف مباشرة فوق الأعمدة التي يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين ذراعاً .

وعندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس حرّ ساجد الله تعالى وسار حتى دخل كنيسة القيامة وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً ، ثم طلب من البطريق أن يريه موضعاً يبني فيه مسجداً للمسلمين ، فقال له البطريق : « على الصخرة التي كل الله عليها يعقوب » . فانطلق إليها عمر رضي الله عنه فوجد عليها ردماء كثيراً ، فشرع في إزالته ، وتناوله بيده يرفعه بشو به ، فهرع المسلمون إلى الاقتداء به وأمر في بناء المسجد في ذلك الموضع . ويذكر المقدسي أن الخليفة عبد الملك بن مروان بنى سوراً حول تلك الأرض المقدسة ، وجعل

ويذكر ابن النجار في كتابه (الدرة الثمينة) عن الإمام مالك أن : «حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليست في المسجد ، ولكن أبوابها شارع في المسجد» . وكانت هذه المنازل تسعة ، بنيت باللبن ولها حجر من جريد مطور بالطين ، وجعل للمسجد باباً تجاه باب عائشة رضي الله عنها ، يخرج النبي صلى الله عليه وسلم منه إلى الصلاة .

كان مسجد المدينة المنورة بناء يترجم في بساطة بنائه عن بساطة الدين الإسلامي الخفيف . وللمسجد صحن سور من اللبن ، وأساسه من الحجارة ، ولم يكن لهذه الرحبة سقف في أول الأمر ، فلما شكوا المسلمون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شدة الحر أقام ظلة ، وجعل في المسجد سواري من جذوع النخل ، ثم طرحت عليها العوارض والخصف . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب واقفاً على قطعة جذع نخلة ، ثم استبدل ذلك بمنبر من الخشب بثلاث درجات ، وعند الصلاة يقف المصلون خلف النبي في صفوف مستقيمة مستقبلين بيت المقدس ، ثم تحول هذا الاتجاه سنة ٦٢٤ م ، إلى جهة الجنوب حيث الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، وأقيمت سقفة (ظلة) أخرى في الجهة الجنوبية من المسجد ، فأصبح المسجد قريباً من مربع طول جدار القبلة فيه تسعون ذراعاً ، ومنه إلى جدار المؤخرة مائة ذراع ، وكانت الظلة مكونة من ثلاثة صفوف ، فيها تسع سوار من جذوع النخل ، ثم دفعت سنة التطور إلى الوصل ما بين السقيفتين الشمالية والجنوبية بسقيفتين جانبيتين إحداهما إلى اليمين والأخرى إلى اليسار ، وفي الوسط صحن مكشوف .

لم يكن للمسجد مئذنة ، فقد كان المؤذن بلال يؤذن من أعلى سطح دار مجاورة أو من أعلى أسطوانة ، وقد جاء في كتاب (وفاء الوفاء) للمسمودي : «كان في دار عبد الله عمر أسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال ، ويرق إليها بأقناب ، والاسطوانة مربعة يقال لها «المطهار» ، وهناك رواية تقول : «كان بلال يؤذن على منارة في دار حفصة بنت عمر التي تلي المسجد ، وكان يرقى على أقناب فيها» .

### أقدم المساجد في البلاد الإسلامية

كثرت المساجد وزاد انتشارها بتوسع الفتوحات الإسلامية ، وقد روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى (أبي موسى الأشعري) وهو في البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ، ويتخذ مسجداً للقبائل ، وليتضمنوا إلى مسجد الجماعة يوم الجمعة ، وكتب إلى كل من (سعد بن أبي



ولكن (بشر بن صفوان) عامل الخليفة هشام بن عبد الملك على تونس أعاد بناء الجامع ووسعه ، وحرص على أن لا تتغير معالمه الأولى رغم ما أدخل على البناء من إصلاحات جديدة . ويتميز هذا الجامع بمشذنته التي جعلت على هيئة برج ، قاعدته مربعة ، وتعد هذه المشذنة أقدم المآذن في تاريخ العمارة الإسلامية .

مما تقدم نلاحظ أن بناء المساجد والجامع في البلاد التي فتحها المسلمون وحتى مسجد المدينة المنورة كانت أبنية بسيطة البناء ، أقيمت لغرض الصلاة والوعظ والاجتماع العامة ، وليس في هذه الجوامع نزوع إلى اتقان في العمارة والزخرفة ، وفي مثل هذه الأبنية البسيطة لم تكن هناك حاجة إلى استعارة أساليب معمارية من مكان ما ، إذ لم تكن هناك ضرورة لمثل هذه الأساليب .

### المساجد والجامع في العهد الأموي

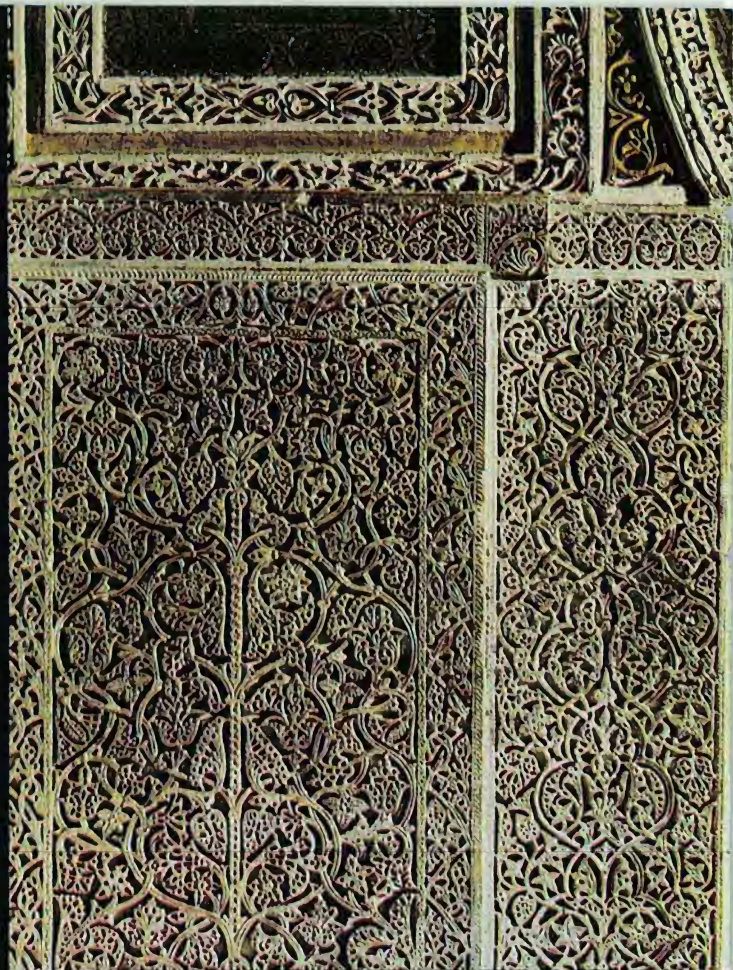
عندما انتهى عصر الخلفاء الراشدين وأصبحت الخلافة للأمويين عام ٦٦١ م ، وصارت دمشق عاصمة الخلافة بدلا من المدينة المنورة ، انتقل العرب من القناعة بالضرورة اللازم إلى الطموح في إقامة أبنية ومساجد توازي في عظمتها الكنائس المسيحية التي كانت في بلاد الشام . وقد تم فعلاً في زمنهم تجديد أبنية مسجد المدينة بإقامة جدران ودعائم من الحجر له ، ثم ظهرت المآذن والمحاريب الجميلة المزخرفة ، كما أدخلت زيادات ثانوية على البناء كالأبواب والأروقة التي تحيط بصحن الجامع ، رفعت فوقها الأقواس والعقود المتنوعة الأشكال من مدببة الأطراف إلى مسطحة وغيرها من الأشكال ، وعلت السقوف فوق أعمدة من الرخام ، كما ظهرت القباب في أفق البلاد الإسلامية بأشكال مختلفة ، وشيدت الصوامع العالية للأذان ، ووضع المحراب المحوف في جدار القبلة .

إن أهم المساجد والجامع التي أنشئت في العصر الأموي هو (المسجد الأموي) في دمشق ، ذلك المسجد العظيم الذي شيده الوليد بن عبد الملك على أنقاض كنيسة (القديس يوحنا) والتي كانت قائمة على معبد روماني قديم . لقد تم بناء هذا الجامع سنة ٧٠٧ م . وجاء آية في الفن وروعة الزخرفة ، تمثلت فيه ظواهر معمارية إسلامية عديدة ، منها ترتيب الأروقة والبلاطات في الحرم وحول الصحن ، وإدخال المحراب في جدار القبلة ، واستعمال العقود والأقواس الشبيهة بحدوة الفرس ، وكذلك تزيين الجدران والعقود بالفسيفساء التي لا يضاهيها أي عمل مماثل عند الرومان .

يتكون المسجد الأموي هذا من صحن كبير مستطيل الشكل ، تحيط به سقيفة محمولة على أعمدة واكتاف ، وفي بيت الصلاة ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة ، وتحمل الأعمدة الرخامية المرتبة في داخل الحرم أقواساً وضع فوقها سقف بشكل جملون . إن هذا التصميم أصبح النموذجاً لتصاميم المساجد التي أنشئت في العهد الأموي في بعض الأقطار العربية ، ويظهر لنا هذا التأثير بصورة جلية في مسجد حلب وجامع الزيتونة ومسجد القيروان في الأندلس ، أما العراق وإيران فلم يتأثرا بالطراز الأموي كثيراً .

ومن أعمال عبد الملك بن مروان بناء قبة الصخرة عام ٦٩١ م . وقد جعل تصميمه بشكل مشمن ، في داخله رواقان يحيطان بالصخرة المقدسة ، وفي كل ضلع من أضلاع الرواق الأول المثنى ثلاثة عقود محمولة على ستة عشر عموداً ونمائية اكتاف . والرواق الثاني فيه اثني عشر عموداً وأربعة اكتاف ، تحمل هذه ربة القبة الاسطوانية التي يبلغ قطرها ٢٠،٤٤ متراً ، والقبة مغطاة من الخارج بطبقة من الرصاص . وجعل للمسجد أربعة مداخل متقابلة ، وقد استخدم عبد الملك أمهر الصنائع والفنانين في زخرفة البناء بزخارف الفسيفساء الرائعة الجمال .

أما في العراق فإن (الحجاج بن يوسف الثقفي) عندما ولي عليه سنة



★ من خاصيات من الزخرفة في العمارة الإسلامية ، فنانان الفناء المسلم مدته من الطبيعة ، وتبدو في هذا التشكيل الزخرفي المبعيع أوراق ومراوح مخفية ، وفروع نباتية ★

السور قائماً على أسس سور قديم ، فكان هذا السور أبراج ومدخل ، وهو مستطيل الشكل طوله (١٥٠٠) قدم . ومعدل عرضه (١٦٠) قدماً ، وضم هذا السور الآن مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وقد تغير بناء هذا المسجد عندما أعاد عبد الملك بناء سنة ٧٠٩ م . كما أن الخليفة العباسي المنصور أجرى فيه تجديدات كثيرة سنة ٧٥٨ م . وبعد فتح بلاد مصر اختط (عمرو بن العاص) معسكراً لجيشه في مكان سماه (الفسطاط) ، ووضع أساس أول مسجد جامع فيه ، وصلى فيه يوم الجمعة سنة ٦٤٢ م . وجعل البناء في أرض مستطيلة الشكل ٣٠×٥٠ ذراعاً ، وبني الجدران كلها من اللبن ، فيها بابان في كل ضلع من أضلاعه ما عدا جدار القبلة ، وفرشت الأرض بالحصى ، وأقيم السقف على جذوع النخل . ثم استبدلت بعد ذلك بأعمدة حجرية كانت موجودة في أبنية قديمة ، وقد توسعت مساحة المسجد في زمن معاوية حيث قام عامله (مسلمة بن مخلد) بتشييد أربعة أبراج للأذان في أركانه الأربعة .

وفي زمن عبد الملك بن مروان قام عامله (قره بن شريك) في هدم جميع البناء القديم وأقام مكانه بناء جديداً ، وضم الدار التي بناها عمرو بن العاص والطريق الذي يحيط بالمسجد إلى مساحة المسجد .

وعندما أرسل الخليفة عمر بن الخطاب القائد (عقبة بن نافع) لفتح تونس ، وتم له ذلك سنة ٦٧٠ م . قام بتأسيس (مدينة القيروان) في وسط الصحراء لتكون مقراً لجيشه ، وبني الجامع الشهير فيها سنة ٦٧٥ م . كما اختط دار الإمارة ، وجعل الدور من حول المسجد . وقد قام البربر بثورة بعد عقبة وهدموا الجامع ،



٦٩٤م. في زمن عبد الملك بن مروان قام بإنشاء مدينة جديدة على ضفة نهر دجلة القديم وصمماها (واسط) لتوسطها بين البصرة والكوفة، وجعلها مقراً لحكمه، وبني مسجداً جامعاً كبيراً فيها، وجعل دار الإمارة وراء جدار القبلة. يشغل هذا الجامع، الذي تم اكتشاف أسس جدرانه، أرضاً مربعة الشكل تقريباً مساحتها حوالي أحد عشر ألف متر مربع، تحيط بصحنه بلاطات من جوانبه الأربعة، أكبرها بلاطة القبلة، وترتفع السقوف على أسطوانات حجرية منحوتة، وأظهرت الحفريات الأثرية أن أسس الجامع في الطبقة العليا مشيدة على أسس مسجدين أقدم منه بإضافة بلاطة واحدة في كل من الجانبين، وتغيير بسيط في اتجاه القبلة.

وفي المغرب العربي يعتبر مسجد الزيتونة في تونس المسجد الثالث من حيث السعة والاتقان في البناء، فالمسجد الأول هو مسجد قرطبة والثاني مسجد القيروان، ويعرف هذا المسجد بمسجد تونس الكبير، ويذكر المؤرخون أن (حسان بن النعمان) هو الذي أنشأ هذا المسجد عندما دخل تونس في سنة ٧٠٣م. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن جامع الزيتونة أنشئ في سنة ٧٣٢م، إثر فتوحات (عبيد الله بن الحبحاب)، وأن (زيادة الله بن الأغلب) زاد في مساحته حتى بلغ أكبر مساحة في أيام (بني حفص).

إن طراز بناء سور الجامع أشبه برباط أو ثكنة لحراسة الثغور، فهذا السور يتربك من أربع قلاع، في كل ركن قلعة صغيرة مستديرة للاستكشاف والاستطلاع والدفاع. وللمسجد صحن مكشوف يحده من الجهة الجنوبية الشرقية رواق القبلة، بينما يشرف على الصحن من الجهات الثلاث الأخرى سقيفة معقودة ومحمولة على أعمدة مكونة من بلاطة واحدة. ويتكون رواق القبلة من سبع عشرة بلاطة، جعلت البلاطة الوسطى أوسع من بقية البلاطات تؤدي إلى المحراب. وللمسجد مئذنة تقع في الركن الغربي من المسجد بنيت سنة ١٨٩٤م.

وللمسجد قبتان تقعان في رواق القبلة، إحدهما تعلو المربع الواقع أمام المحراب، والثانية تشغل المنطقة المربعة في نهاية البلاطة الوسطى الماصفة لصحن المسجد، ولهذا يمكن القول بأن (جامع الزيتونة) له شبه كبير (بجامع القيروان)، فالقبلة الرائعة البناء التي تتقدم محراب تعتبر من الأسلوب القيرواني. من هذه الأمثلة القليلة يمكن القول إن العرب قد تأثروا بمحضارات ومدنيات الأمم التي فتح العرب بلادهم، وكان تأثرهم بالأساليب الفنية التي كانت زاهرة في كل من الشام والعراق وإيران والهند وغيرها من البلاد ظاهراً، فلا نستطيع أن ننكر مقدار استعانة العرب الأوائل برجال الفن والصناعة من أهل هذه البلاد التي كانت ذات حظ وافر من الحضارة والمدنية في ذلك العهد، فالعمارة العربية الإسلامية القائمة في العالم الإسلامي اشترك في إظهار دقائقتها وتفصيلاتها صنّاع ومهندسون من مختلف الجنسيات والأمم التي اتخذت الإسلام ديناً لها وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبزنطيين وهنود وغيرهم. ولكن العرب ما لبثوا أن أفرغوا تلك الفنون القديمة في قوالب متجانسة ومتناسبة، لها طابع خاص، وميزة بارزة. وأساليب معمارية جديدة تختلف كل الاختلاف عن الفنون المعمارية المعروفة في العالم، فالطراز المعماري الأموي الذي جمع بين الطرز والأساليب المعمارية الهلنستية والمسيحية الشرقية (البيزنطية)، التي كانت موجودة في الشام والشرق الأدنى، وبين المقاصد التي توخاها المسلمون لأبنيتهم ومنشآتهم، بقي سائداً في سائر الأقاليم الإسلامية حتى بعد زوال ملك بني أمية في الشرق.

#### المساجد في العصر العباسي

عندما زالت دولة الأمويين وآلت الخلافة إلى العباسيين عام ٧٥٠م. وانتقلت العاصمة من دمشق إلى بغداد ظهر طراز جديد

كان فيه للأساليب المعمارية الساسانية بعض التأثير، كما أن هذا الطراز قد تأثر بالأساليب الفنية الموروثة عن البابليين والآشوريين والبارثيين وغيرهم من الأمم التي حلت في العراق ردحاً من الزمن. ففي الطراز العباسي تغيرات جوهرية عن الطراز الأموي، فقد استعمل الأجر بدلا من الحجر في البناء، وصارت الأكتاف المبنية بالأجر أو الأعمدة الخشبية تستعمل بدلا من الأعمدة الحجرية أو الرخامية، ونقشت الزخارف في الأجر أو الجص، واستعمل التخطيط المستطيل الشكل في أغلب المباني. وقد بلغ الطراز العباسي أوج عظمته في كل من بغداد وسامراء والرقعة، ونجح العباسيون في فرض أساليب عماراتهم على الإمبراطورية الإسلامية كلها، وأصابوا توفيقاً كبيراً لا سيما في مصر في العصر الطولوني الذي سيأتي ذكره.

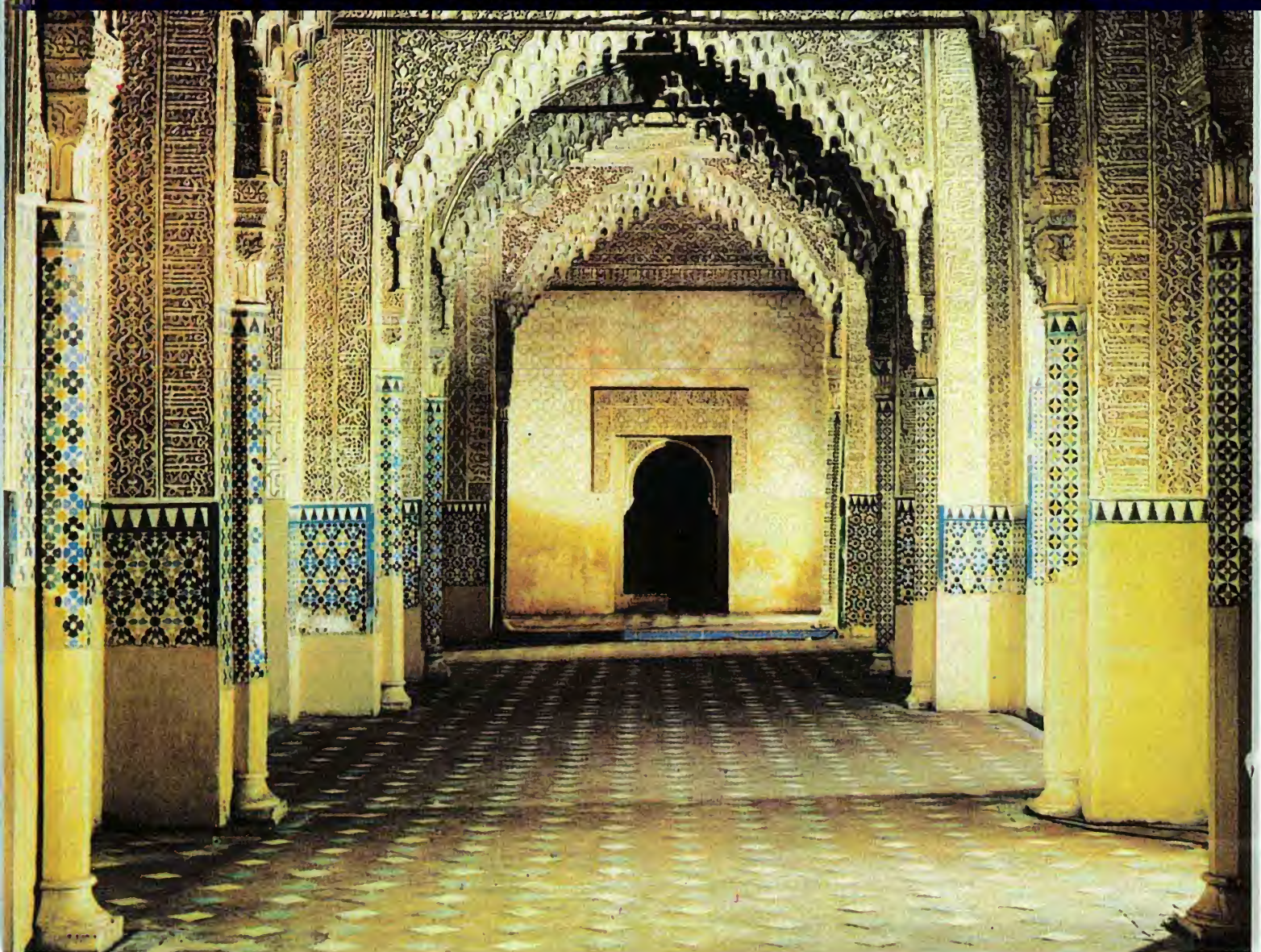
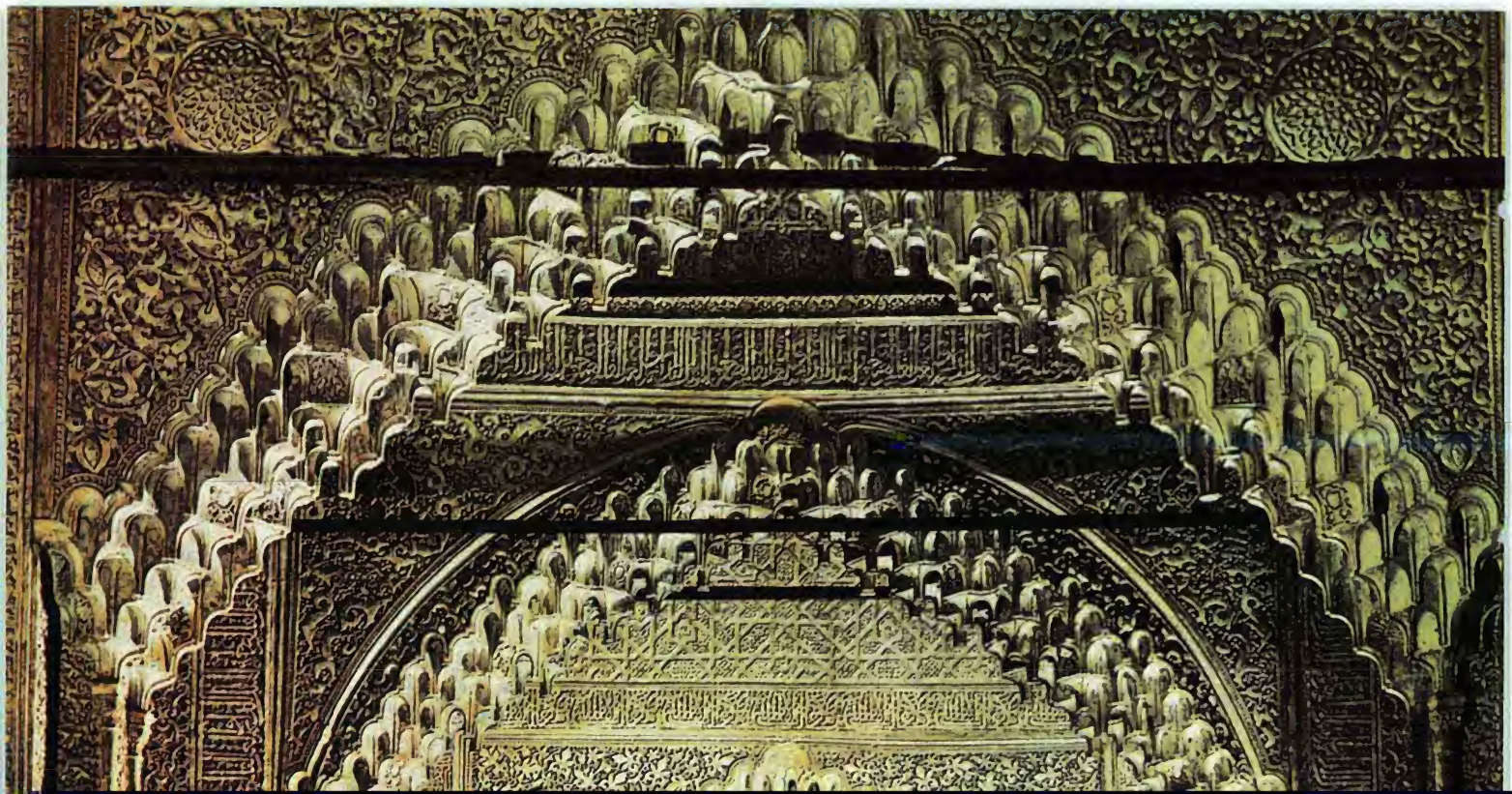
في سنة ٦٧٢م. أنشأ المنصور مدينة بغداد وجعلها مدورة الشكل. لها أربعة مداخل رئيسة عمورية، وأنشأ المسجد الجامع في قلب المدينة على أرض مربعة الشكل طول كل ضلع حوالي ٥٠٠ ذراع، واتخذ لأروقة المسجد أساطين من الخشب، لها تاج مدور يركز عليها سقف الجامع. لقد مرّ على هذا الجامع عدة أدوار تطورت خلالها عمارته وتبدلت أوضاعه، وصارت مساحته ضعف ما كانت عليه في زمن المنصور. وكان للمسجد مئذنة في الزاوية الجنوبية بين جدار الجامع، وجدار قصر المنصور الملاصق للجامع، وقد تعرض الجامع للغرق ولم يبق

★ الأعمدة في العمارة الإسلامية جزء من صلبها. وهذا العمود المنحوج، واحد من أعمدة قاعة نيلوك في قصر الحمراء بقرطبة الأندلسية ★

★ قاعة الملوك... توضع العدة في قصر الحمراء تسمية عريضة. وتبدو العقود. وتقرصت لي مثل مظهر من مسطهر فس العمارة الإسلامي يشد الأهمام. ويصح النفس ★

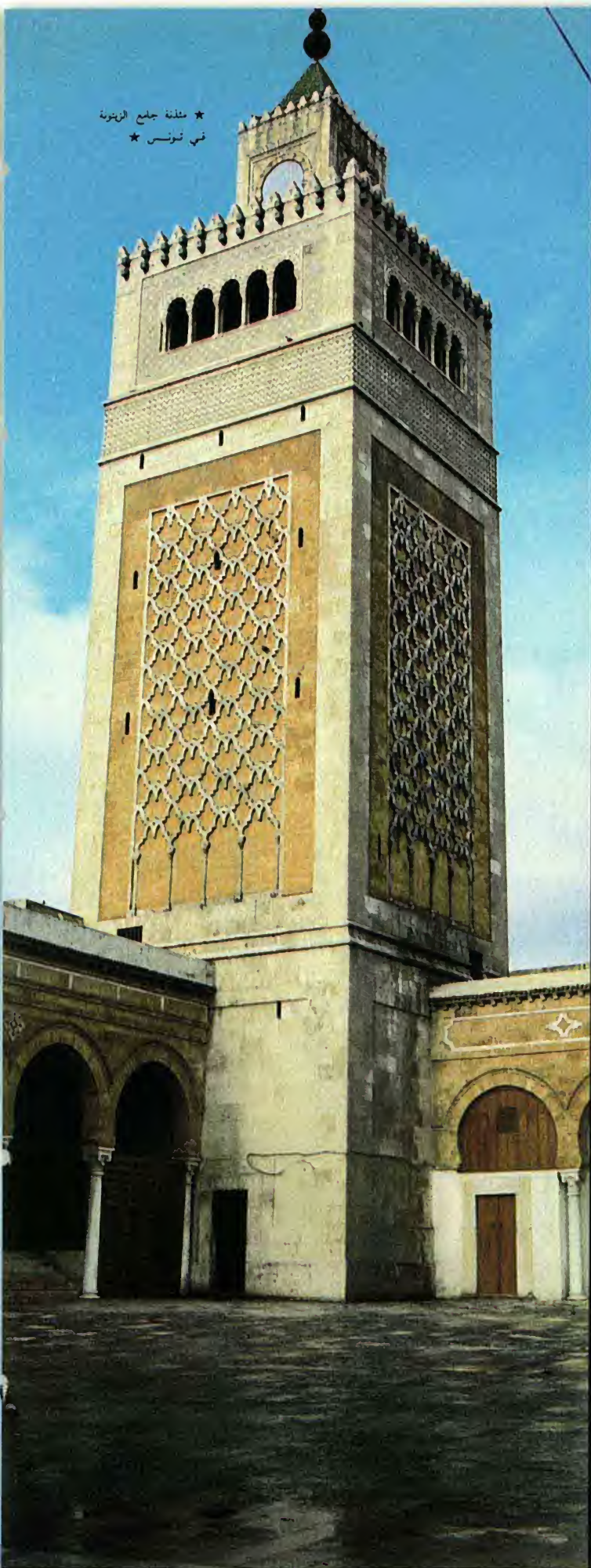








★ مئذنة جامع الزيتونة  
في تونس ★



★ نموذج للمئذنة  
أحد مساجد الجزائر ★





له من أثر في نهاية القرن الثامن الهجري سوى محرابه المصنوع من المرمر الأبيض المحفوظ في المتحف العراقي .

وعندما انتقل مركز الخلافة العباسية إلى مدينة سامراء ، التي أنشأها المعتصم بن هارون الرشيد سنة ٨٣١ م . وشيّد فيها أكبر مسجد في العالم الإسلامي من حيث المساحة وضخامة البناء ، وقد ضاق هذا الجامع بالمصلين ، فأمر ابنه المتوكل في هدمه وشيّد مكانه الجامع الكبير القائم الآن في سامراء سنة ٨٥٢ م . واشتهر هذا الجامع بمشذنته الملوية القائمة على قاعدة مربعة طول كل ضلع منها ٣٢ متراً وارتفاع القسم الحلزوني نحو ٥٠ متراً يدور خمس دورات حتى يصل إلى قمة المئذنة . ولما انتقل المتوكل إلى ( المتوكلية ) شمال سامراء أسس فيها مسجداً جامعاً يسمى ( جامع أبي دلف ) وجعل مشذنته حلزونية أيضاً ولكنها أصغر حجماً من ملوية سامراء ، وكان البناء جميعه بالأجر ، أما الزخارف الحصية فلم يبق لها من أثر .

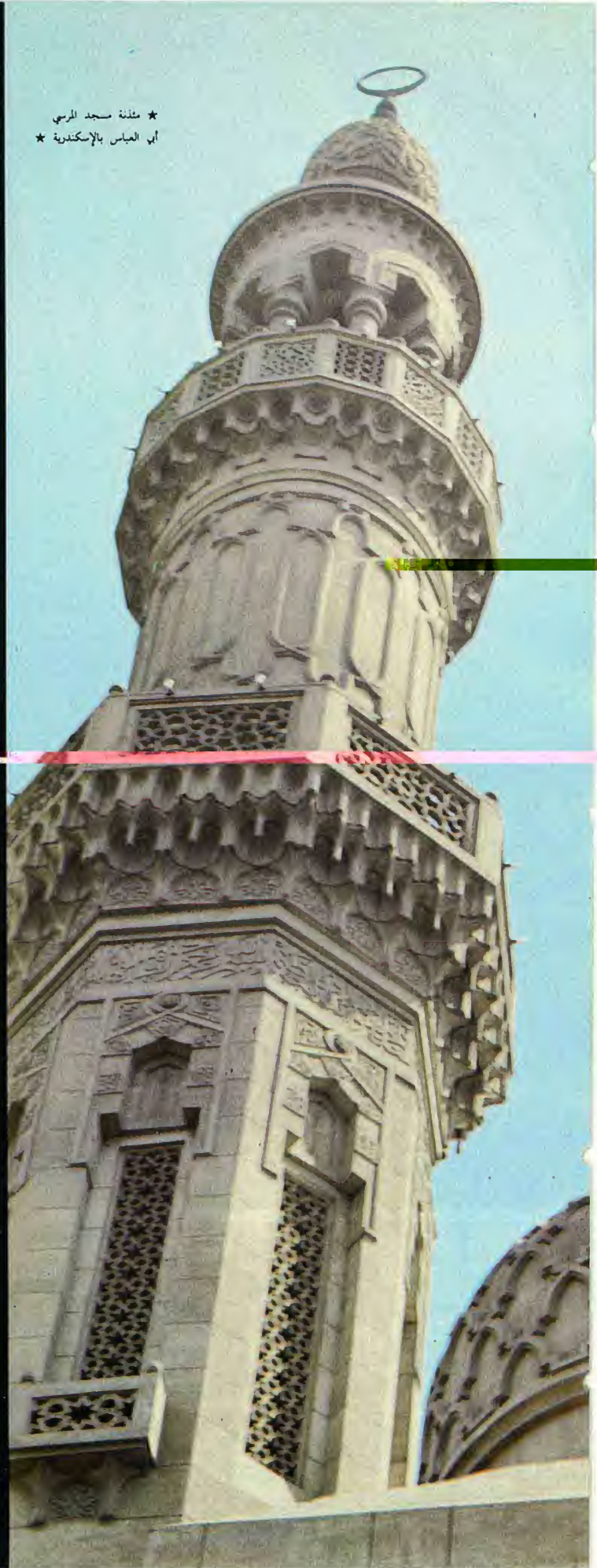
وبعد رجوع الخلفاء العباسيين إلى بغداد شرعوا في إعمار الضفة الشرقية من بغداد فأنشأ الخلفاء بجوار قصورهم جامعاً كبيراً عاش أكثر من ألف سنة إلا أنه اعتراه من نوائب الزمان ما اعترى جامع المنصور في المدينة المدورة ، ولم يبق له من أثر إلا مئذنته القديمة المعروفة بـ ( منارة سوق الغزل ) والتي يرجع تجديد بنائها إلى عهد الوالي ( عطا ملك خدابنده ) سنة ١٢٧٩ م . في زمن ( أباك بن هولاكو ) . ويبلغ ارتفاع هذه المئذنة الكبيرة نحو ٢٦,٧٠ متراً ، وفيها من الزخرفة الأجرية والمقرنصات الجميلة المرتبة في صفوف تزداد في كل صف حول بدن المئذنة من الأعلى ليستند عليها حوض المئذنة ، ما يجعلها من التحف الإنشائية الرائعة .

هذا وقد امتد تأثير الطراز العباسي إلى خارج العراق ويظهر ذلك بوضوح في شمالي إفريقيا لا سيما في مصر في العهد الطولوني ، وكذلك في تونس في فترة حكم الأغالبة . كما أننا نلاحظ هذا الطراز في مدينة الرقة التي أنشأها المنصور على الفرات الأعلى ، وبنى فيها مسجداً كبيراً لم يبق منه الآن إلا بعض أسس الجدران وبقياً مئذنة داخل سور المدينة ، ويجمع هذا المسجد في طرازه بين الفن المعماري العراقي والفن المعماري السوري ، فالتأثير العراقي واضح في تخطيط المسجد وبناء الدعائم في السور الخارجي ، أما التأثير السوري فثراه في رواق القبلة المكون من ثلاث بلاطات موازية لحائط القبلة ، وكانت تغطيها ثلاث جملونات .

ولما أرسل ( أحمد بن طولون ) من بغداد ليكون والياً على مصر سنة ٨٦٨ م ، أسس مملكة لها شخصيتها ومكانتها بين الممالك الإسلامية ، عرفت بالمملكة الطولونية . وقد خطط ابن طولون حاضرة جديدة لدولته بجوار القسطنطينية ( القطنع ) وجعلها غائل سامراء قصبة الخلافة العباسية في عهده تلك العاصمة التي ترعرع فيها ، وأعجب ببهاها وبرحابة ميادينها ، وعظمة قصورها ومساجدها ، فبأمر في بناء مسجد جامع فيها انتهى من بنائه سنة ٨٧٩ م . ولجامع ابن طولون صحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه ٦١ متراً تقريباً ، حوله بلاطات من جهاته الأربع ، أكبرها رواق حرم المسجد ، ومن الأمور التي تجعل هذا الجامع أقرب في مظهره من مساجد سامراء مشذنته الشبيهة بالملوية وإن اختلفا بالمظهر والبنيان ، وترتفع هذه المئذنة بأربع دورات فوق قاعدة حجرية مربعة ، ويبلغ ارتفاع المئذنة الكلي ٤٠,٤٤ متراً ، وقد أعاد بناءها ( لأجين المملوكي ) سنة ١٢٩٦ م ، على مثال ما كانت عليه من قبل ، ولكنه أضاف إليها مبخرة مضلعة .

وإذا ما اتجهنا إلى الأندلس نجد أن العرب بعد استيلائهم على قرطبة اشتروا نصف كنيسها المعروفة بكنيسة ( سنت فنسنت ) وجعلوها مسجداً جامعاً لهم ، وكانت هذه الكنيسة معبداً رومانياً من قبل . أسس هذا الجامع ( عبد الرحمن

★ مئذنة مسجد المرسي  
أبي العباس بالإسكندرية ★



★ المأذن من المظاهر المميزة للفن العباسي الإسلامية في  
الساكنة . . وقد تعددت أشكالها وأحجامها في مختلف  
العصور ★







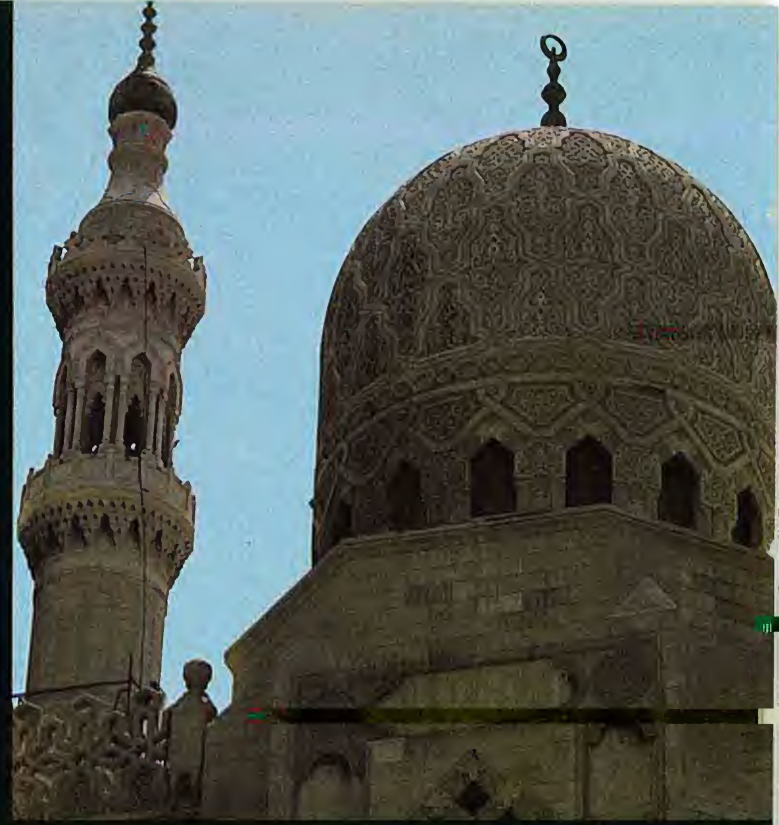
**الداخل** سنة ٧٨٦ م. وجعل رواق المسجد يضم إحدى عشرة بلاطة ، تفصلها بوائك محمولة على أعمدة ، تعلوها عقود مزدوجة على هيئة حدوة الفرس ، وتستند العقود على أعمدة صغيرة . ويمتاز هذا الجامع بقبته وعمرانه الذي ازدان بزخارف الفسيفساء المذهبة ذات الرسوم الجميلة ، كما يمتاز بأبوابه المزخرفة وشبابيكه الرخامية المفرغة . وقد توسع الجامع عدة مرات حتى أصبحت مساحته ٢١٨٧٥ متراً مربعاً .

وإذا ما رجعنا إلى الشرق نجد **(الحكام البويهيين)** قد استقلوا في غرب إيران وجنوب بحر قزوين في القرن التاسع الميلادي ، وضموا أجزاء من غرب إيران إلى مملكتهم ، واستمروا في التقدم حتى وصلوا إلى بغداد في حوالي سنة ٩٤٠ م. وصاروا الحكام الفعليين للدولة العباسية . وقد شيدت في عصرهم مساجد ظهر فيها أثر الطراز العباسي واضحاً . فمن أقدم تلك المساجد **(مسجد مدينة نائين)** التي تقع بالقرب من مدينة يزد وتكون هذا المسجد من صحن مربع يحيط به أربعة أروقة ، ويتوسط كل ضلع من أضلاع المربع عقد كبير يمكن اعتباره بدء ظهور الأيوان الذي انتشر بعد ذلك في عمارة المساجد في إيران . ويتكون سقف المسجد من قباب مبنية بالآجر . ويمتاز هذا المسجد بزخارفه الجصية الجميلة التي تماثل زخارف سامراء .

وعندما تمكنت القبائل السلجوقية **(التركية)** من الاستيلاء على البلاد التي كان يسيطر عليها البويهيون ، وتمركزوا في العراق عام ١٠٥٥ م ، أصبح الخليفة العباسي تحت سيطرتهم ، وفي عهدهم أنشئت بعض المساجد في إيران وحدث بعض التغيير في تصميمها ، وأدخل الأيوان العالي المقيب وجعل في وسط واجهة صحن المسجد ، كما زيد في ارتفاع المآذن . ويعد جامع أصفهان الذي شيده **(نظام الملك)** في عهد السلطان **(ملكشاه)** حوالي عام ١٠٧٣ م ، خير مثال للطراز السلجوقي المبكر ، وقد انتشر تصميم هذا الجامع حتى أصبح الطراز التقليدي لعمارة المساجد في إيران مثل **(جامع قزوین)** وغيره من الجوامع التي نشأها في المدن الإيرانية الأخرى ، وربما كان **(جامع السلطان)** في بغداد ، الذي لم يبق له من أثر الآن ، قد بني بهذا الطراز أيضاً .

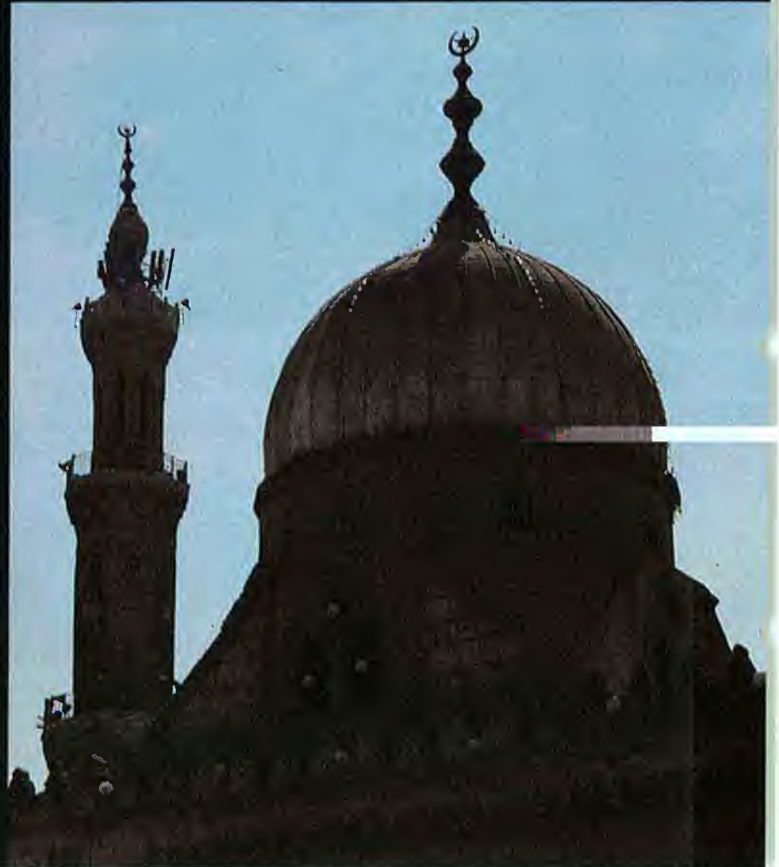
وبعد أن تمكن السلاجقة من السيطرة على إيران والعراق والشام اصطدموا بالدولة البيزنطية التي كانت تحكم آسيا الصغرى **(الأنضول)** ، وتمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن فيها ، واتخذوا **(مدينة قونية)** عاصمة لهم . وقد ازدهر الفن السلجوقي في هذه البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي فشيدت في عهد السلطان **(علاء الدين)** كثير من المساجد ، ولكن هذه المساجد تختلف في تصميمها عن المساجد الموجودة في إيران ذات الأواوين والصحن المكشوف ، حيث نلاحظ هنا عدم وجود الصحن في المساجد . ومن أهم المساجد التي شيدها السلجوقيون **(جامع مجدة)** عام ١٢٢٣ م ، الذي تعلوه ثلاث قباب فوق الممرات الثلاثة الموجودة في رواق القبلة ، أو يكتفي في بعض الحالات بقبة واحدة في نهاية الممر الأوسط العريض كما في الجامع الكبير **(أولو جامع)** في مدينة **(ديفرجي)** وفيه قبة أشبه بالخيمة المديبة .

وعندما تمزقت دولة السلاجقة في إيران استقل بعض الولاة في البلاد التي كانوا يحكمونها من قبل الأسرة السلجوقية ، من هؤلاء **(الأتابكة)** ، وهم أسرة **(زنكي)** الذين استقلوا بحكم بلاد الشام ، فبلغت دمشق في زمن **(نور الدين زنكي)** مكانة عالية من الناحية العمرانية . وقد حافظ المعمار السوري في هذا العهد على تصميم الجامع المستطيل الشكل الذي تفتتح أروقه على الصحن المكشوف ، إلا أن جامع حلب يتميز بأساليب معمارية مختلفة بالإضافة إلى بعض العناصر المعمارية الموروثة كالثندة الحجرية المربعة ورواق الصلاة المتسع .

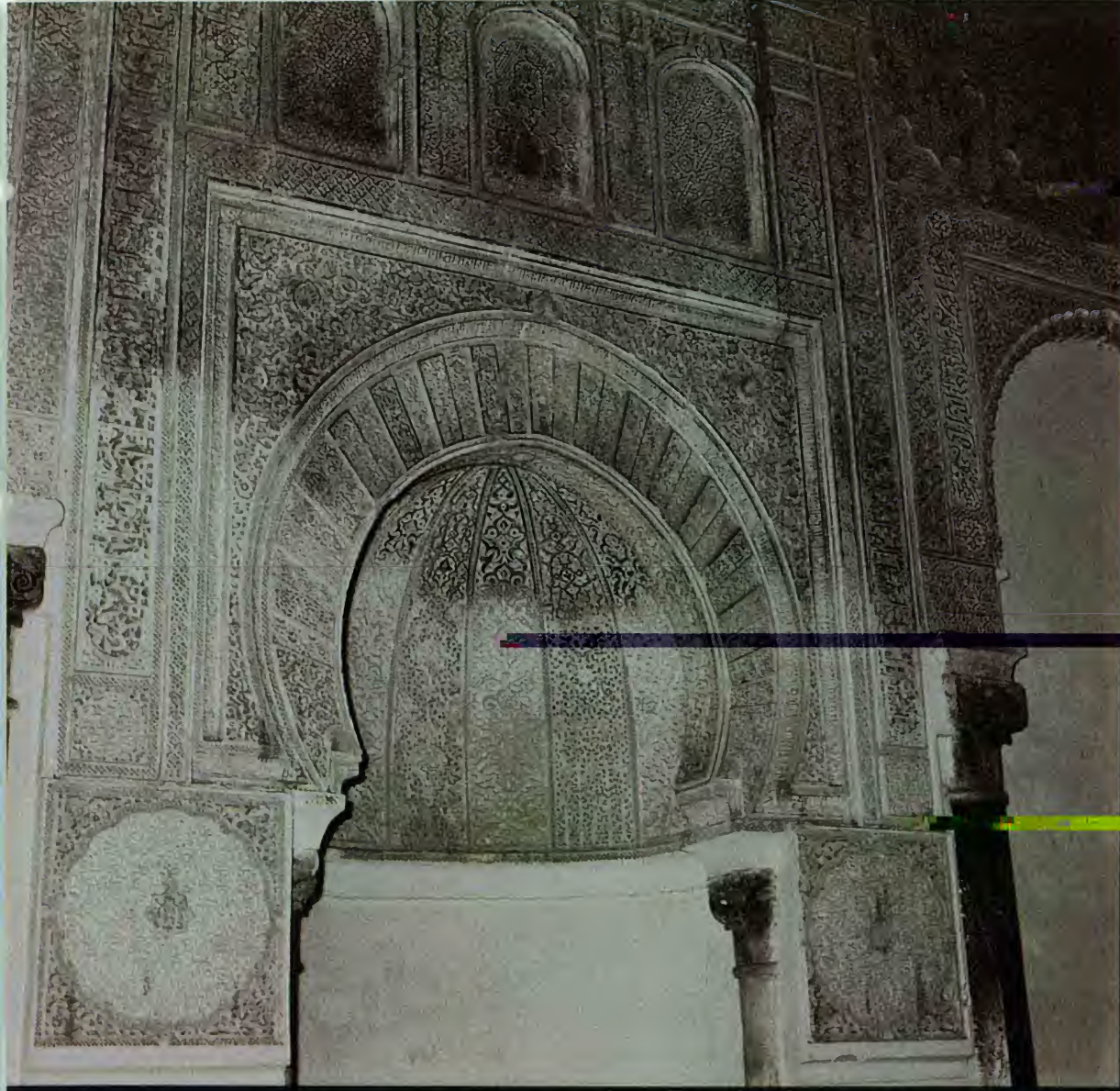


★ الجزء العلوي من الصدف التي تغطي محراب جامع قرطبة وفيه تظهر مهارة الفنان المسلم العمارة في إبراز قذوائه الرائعة من خلال النحت لأظهار عناصر زخارفه كالكتابة بالخط الكوفي ، والشعيرات ، والأقراص ★

★ القباب .. انتشرت في العالم الإسلامي حتى غدت من الخصائص المميزة للعمارة الإسلامية .. وقد تعددت أنواعها بعضها ما هو نصف كروي ، ومنها ذو الأضلاع ، وبعضها مذهب الرأس ، والبعض بصلي الشكل أو ما يشبه زهرة اللوتس (طالع مجلة الفصل العدد ٢١ الصادر في شهر ربيع الأول ١٣٩٩ هـ / فبراير ١٩٧٩ م) ★







وزينوها بنقوش ذات عناصر متعددة وبأشكال هندسية ونباتية بعضها منقوش في الحجر وبعضها في الأجر أو الجص .

وبعد جامع الأزهر من أبرز الأبنية الفاطمية في القاهرة . وقد تم تشييد هذا الجامع عام ٩٧٢ م ، في زمن الخليفة الفاطمي ( المعز ) . إن الجامع الحالي يختلف كثيراً عن الجامع الأصلي الذي شيده جوهري ، ومع هذا لا تزال بقية من الجامع القديم باقية لحد الآن . فقد قام أربعة من الخلفاء الفاطميين بإدخال إصلاحات كثيرة متتالية في بناء هذا الجامع ، فنجد فيه مشدنتين يرجع بناؤهما إلى عصر المماليك ، وتبلغ مساحة الجامع اثني عشر ألف متر مربع ، ولكن هذه المساحة

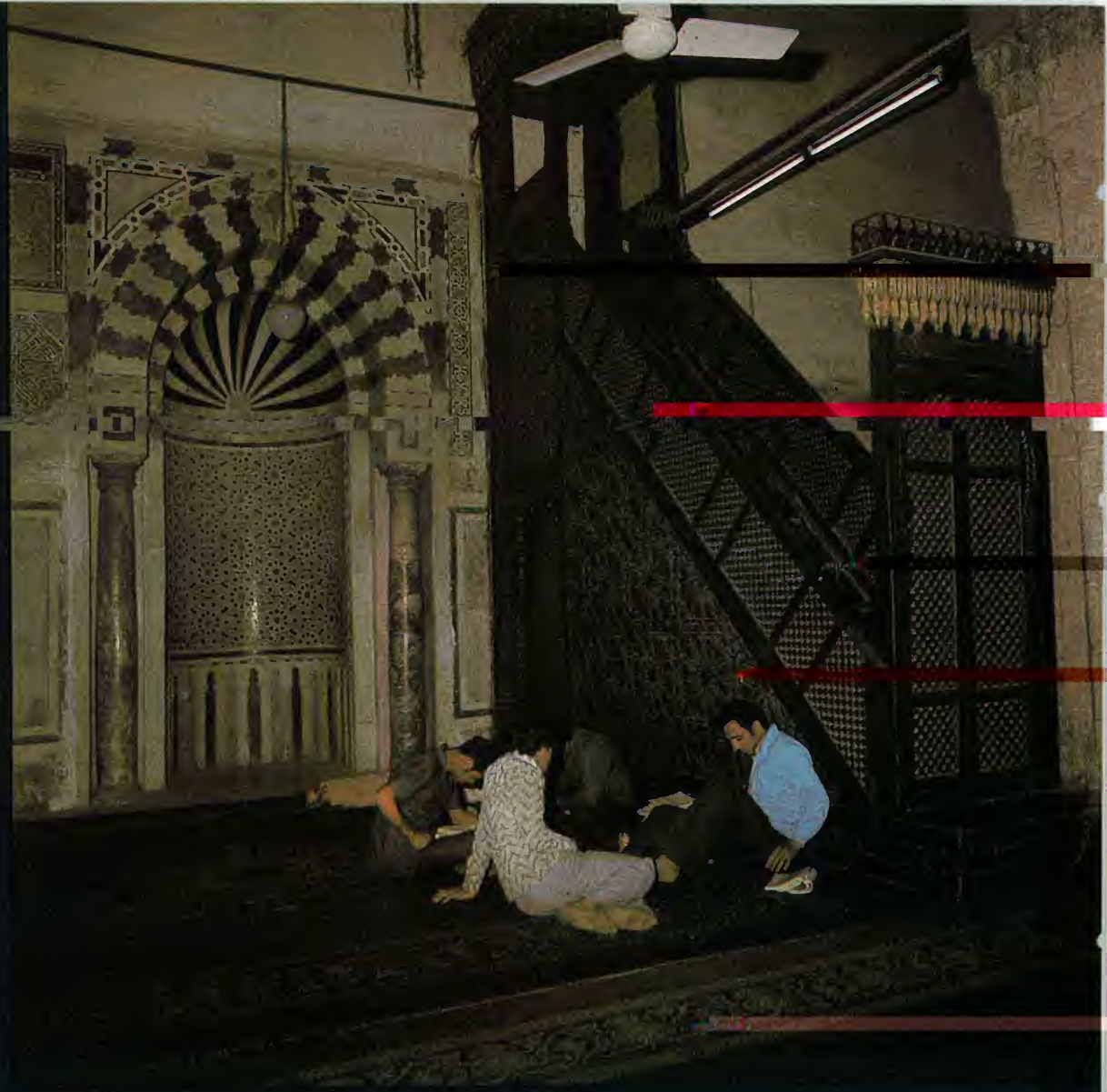
وقد خضعت مدينة الموصل لحكم فرع من فروع هذه الأسرة بين عام ١١٢٧ وعام ١٢٦٢ م . وكان من أشهر حكام الموصل ( بدر الدين لؤلؤ ) الذي ازدهرت في زمنه الفنون في هذه المدينة كثيراً ، ومن آثار هذا العصر بناء جامع الموصل الكبير الذي شيده ( نور الدين محمود الأتابكي ) عام ١١٤٨ م . وقد اشتهر هذا الجامع بمئذنته المائلة القائمة على قاعدة مكعبة وجسم أسطواني مرفوع فوق القاعدة ، ويضيق هذا الجسم تدريجياً كلما ارتفع حتى ينتهي بقبة صغيرة تشبه الخوذة .

### العصر الفاطمي

تمكن الفاطميون من الاستيلاء على بلاد المغرب ومصر في أوائل القرن العاشر الميلادي ، وقام القائد ( جوهري ) بتأسيس عاصمة للخلفاء الفاطميين في الجهة الشمالية من القطائع أسماها ( القاهرة ) . وقد ترك الفاطميون في مصر عمارات دينية كثيرة أهمها : جامع الأزهر ، وجامع الحاكم ، وجامع الأقصر ، وجامع الجيوشي ، والصالح طلائع ، والسيدة رقية ، وغيرها من المساجد ، راعوا في بنائها الأسلوب الطولوني والمغربي ، واهتموا كثيراً في زخرفة واجهات المساجد ،

تضاعفت على مر العصور بما أضيف إليها من مبان كانت مجاورة للجامع . وكان في ركن إيوان القبلة قبتان إحداهما في الركن الأيمن في يمين المحراب ، تقابلها قبة أخرى في الركن الأيسر ، وفي أعلى جدران الجامع شبابيك جصية مفرغة بأشكال هندسية بدعية أحيطت بأقراص كتبت عليها آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي الجميل . وتمازى العمارة الفاطمية في استخدام الأجر في البناء في بداية عصرهم ، إلا أن عماراتهم تميزت فيما بعد في استخدام الحجارة بدلاً من الأجر ، وقد عني البنائون في قطع الحجارة وصقلها وتنسيقها ، وتفننوا في الزخرفة المنحوتة على الحجر ،





فن أهم ما أنشئ في هذا العصر جامع (الإمام الشافعي) الذي بناه (السلطان الكامل) سنة ١٢١١م. وأقام فوق الضريح قبة ضخمة ضمت قبر الشافعي وبعض قبور الأسرة الأيوبية. وتمتاز هذه القبة بما فيها من نقوش وزخارف. كما أنشأت (شجرة الدر) سنة ١٢٥٠م. تربة لزوجها (الصالح نجم الدين أيوب) يلاحظ في واجهتها التجاويف والمقرنصات الزخرفية والكتابات النسخية والصنع المعشوق، والعقد المنحوت في الحجر. وقد أنشئت في عهد هذه الدولة بعض المدارس أهمها (المدرسة الصالحية) التي ترتفع فوق بوابتها الرئيسية مشدنة عظيمة ترتفع قبتها عن سطح الأرض بنحو ٣٢ متراً، وفيها ثلاثة طوابق: الأول

مكعب، والثاني مشمن، والأخير هو تاجها أو مبخرتها التي تنتهي بقبة مضلعة. وقد أكثر (الملك الصالح أيوب) سابع ملوك الدولة الأيوبية من شراء الممالك، وجعل منهم خاصة بطانته وأمرائه دولته، وعندما توفي الملك الصالح بسوء ابنه (الملك المعظم غياث الدين)، إلا أن الممالك شعروا بعض الاهانة منه فوثب عليه أربعة منهم وقتلوه، وأقاموا (دولة الممالك البحرية) وبايعوا (عز الدين أيبك) بالسلطنة سنة ١٢٥٠م، ولقب بالملك المعز (الباشنكير التركماني الصالح)، ولكن سرعان ما قتله (شجرة الدر) وتولت إدارة المملكة

واستخدموا الصنع المعشقة لعمل العقود المنبطحة للعتبات الأفقية والأبواب بدلا من العقود المقرّسة أو المدببة، وأن أكثر العقود شهرة ومظهراً في عمارات الفاطميين هي تلك العقود المنفرجة، وقد تطور بناء المحارِب بتحول أنصاف القباب التي تعلو المحارِب إلى أشكال عمارات شمسية.

#### المساجد في العصر الأيوبي وعصر المماليك

ضعفت الدولة الفاطمية في أواخر أيامها، وكان (العاضد) آخر خلفائها، فحاول السلاجقة في الشام السيطرة على مصر، وقد تمكن (نور الدين) السلجوقي، سنة ١١٦٨م. من إرسال جيش تحت قيادة (شريكوه)، وابن أخيه (صلاح الدين يوسف بن أيوب)، إلى مصر، وأصبح شريكوه وزيراً للعاضد، وبعد سنة خلفه صلاح الدين، وعندما توفي العاضد تولى الحكم صلاح الدين وأسس الدولة الأيوبية سنة ١١٧١م. فكانت حياته حافلة مجلات الأعمال لاسيما ضربته القاصمة للصليبيين، وقد صلب قيام الدولة الأيوبية نشاط معماري كبير في كل من مصر والشام.





البحرية في تعمير القاهرة، وقد شيد سلاطينهم برقوق وقايتباي والغوري تحف معمارية فريدة في العالم الإسلامي. وتمتاز عماراتهم في استعمال الحجارة في البناء، وجعلوها بألوان مختلفة، ممتدة بخطوط متساوية، وفي عصرهم ظهرت المتدليات السقفية (المقرنصات)، كما برزت في هذا العصر مزيتان اتصفت بهما الزخرفة الإسلامية هما: الأشكال الهندسية والحروف الكوفية. وإن أفضل نماذج لعمارهم التي لا تزال باقية حتى اليوم والتي تثير الإعجاب هي (جامع الظاهر بيبرس)، (مسجد الناصر) بالقلعة، و(مسجد السلطان برقوق)، و(جامع السلطان الملك المؤيد)، و(جامع قايتباي)، و(جامع الأمير المجاي اليوسفي)، و(جامع جوهر)، و(مسجد الغوري). فعصر المماليك يعد بحق العصر الذهبي لمدينة القاهرة. وفي هذا الوقت أصبحت مصر عظم أنظار العالم كله بعد أن أقل نجم بغداد باستيلاء المغول عليها سنة ١٢٥٨ م. واستيلاء الفرنجة على قرطبة سنة ١٤٩٢ م.

#### عصر الدولة العثمانية

زحف السلطان (سليم الأول) العثماني على بلاد الشام وقتل السلطان الغوري

بنفسها، واعتبرت المؤسسة الأولى لدولة المماليك البحرية. وعندما لم اسم (الظاهر بيبرس) أحد مماليك الصالح أيوب، وتغلب على المغول في بلاد الشام، وقضى على الدويلات الصليبية في سواحل الشام، تودي به ملكاً على مصر، ثم خلفه (قلاوون) أحد قادة الجيش.

في هذا العهد تقدمت صناعة البناء تقدماً لا مثيل له في تاريخ مصر، إذ ظهر إنتاج باهر في العمارة وهندسة البناء، فكانت المساجد والمدارس والأضرحة التي شيدها قلاوون والناصر والحسن قد بلغت أبهى مظاهرها المعمارية. إن مسجد السلطان حسن الذي تم انشاؤه سنة ١٣٦٣ م، يمتاز بزخارفه التي تشبه خلايا النحل، كما يوجد في الجدران العالية لهذا الجامع تجاويف عمودية طويلة شقيقة، رتبت التوافد فيها على ثمان طبقات. وللجامع أربعة أرواق متعامدة حسب الطراز المملوكي، يتوسطها صحن مكشوف، وأكبر الأرواق الأيوان الشرقي، فيه محراب من الرخام الأبيض، وعلى يمينه بابان يوصلان إلى تربة السلطان حسن الذي تعلوها قبة عظيمة محمولة على مقرنصات تعتبر من أجمل ما صنع من نوعها.

وبعد ذهاب دولة المماليك البحرية قامت (دولة المماليك البرجية) - الشراكسة - فحكموا مصر من سنة ١٣٨٢ إلى سنة ١٥١٧ م، وحذوا حذو المماليك



## تأثير الطراز التركي في البلاد العربية

كان من نتائج سقوط مصر في أيدي العثمانيين أن قبض السلطان سليم على الخليفة العباسي المتوكل وأجبره على الرحيل معه إلى اسطنبول والتنازل عن الخلافة له. وقد ظلت مصر خاضعة للدولة العثمانية حتى سنة ١٧٩٨ م. حين غزاها الفرنسيون بقيادة نابليون، ومهما أصاب مصر من تأخر في هذه الفترة، وتوقف العمران فيها، فقد ظل قبس من نور الماضي يلمع في أفق القاهرة، حيث قام بعض الولاة في إنشاء بعض المساجد فيها، من ذلك (مسجد المحمودية) الذي أنشأه أحد الولاة الأتراك سنة ١٥٦٧ م. في ميدان صلاح الدين، وجعل تصميمه مشابهاً لجامع السلطان حسن، كما أنشأت (الملكة صفية) والدة محمد خان الثالث مسجداً في شارع القلعة سنة ١٦١٠ م. وأنشأ (سنان باشا) سنة ١٥٧١ م. مسجداً يتكون من قاعة واسعة، تعلوها قبة شاهقة بها من الجوانب الثلاث أوابين صنعت أسقفها من قنوط صغيرة محمولة على عقود متكئة على أعمدة.

أما في العراق فإن الأتراك دخلوا بغداد سنة ١٥٣٤ م. بقيادة السلطان سليمان القانوني وطردوا القرس منها، ثم تركوا حكم العراق للباشاوات الذين يبعثهم السلطان من اسطنبول. فمن أشهر هؤلاء الولاة الوالي (مراد باشا) سنة ١٥٦١ م. - الذي وسم عهده في بناء (جامع المرادية) في الميدان، وهذا الجامع قبة كبيرة منبسطة مبنية بالأجر ومزخرفة بالقاشاني الجميل. وهناك جوامع عديدة أنشأها الولاة في عهود مختلفة لا تزال قائمة في بغداد منها جامع (الوزير) الذي بناه (حسن باشا) سنة ١٥٩٧ م. و (جامع القبلاية) الذي شيده الوالي (قبلان مصطفى باشا) سنة ١٠٨٧ هـ. وجامع (السيد سلطان علي) الذي يرجع بناؤه إلى الوالي (إبراهيم باشا)، وجامع (جديد حسن باشا) الذي شيده الوالي حسن باشا سنة ١٧٠٤ م. وهو الذي وضع أسس نظام المايك في العراق.

واهتم السلاطين والولاة بتعمير المراقد في العراق كمرقد الإمام أبي حنيفة ومرقد ومسجد الكاظميين، ومرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرها من المراقد. إلا أن الطراز العراقي لم يتأثر كثيراً بالطراز العثماني الذي كان متبعاً في اسطنبول، فالمساجد البغدادية التي قام بإنشائها الولاة العثمانيون كانت ذات خصائص بغدادية في شكلها العام وطرق بنائها واستعمال المواد الأولية في البناء وشكل القباب والمآذن.

## المساجد في المغرب العربي

تمكن عدد من أسر البربر التي كان مركزها شمال إفريقيا من الاستيلاء على الحكم في الأندلس عام ١٠٣١ م. وأسسوا عدة دويلات من المدن الأندلسية، حكمها ملوك عرفوا باسم (ملوك الطوائف)، وقد خلف هؤلاء في حكم الأندلس قبائل أخرى من البربر تعرف باسم (المرابطين) عام ١٠٩٠ م. ثم اتحدت الأندلس والمغرب تحت حكم المرابطين وانتقلت الزعامة إلى شمال إفريقيا في عهد (يوسف بن تاشفين) ملك المرابطين، وقد زاد هذا الاتحاد رسوخاً في عهد (الموحدين). وكان الجزء الساحلي من المغرب الذين خلفوا المرابطين في الحكم عام ١١٣٠ م. وياتتقال الحضارة الأندلسية إلى المغرب ظهر طراز مغربي أندلسي جديد ونشطت حركة العمارة في عهد أسر البربر التي حكمت مراكش والجزائر وتونس.

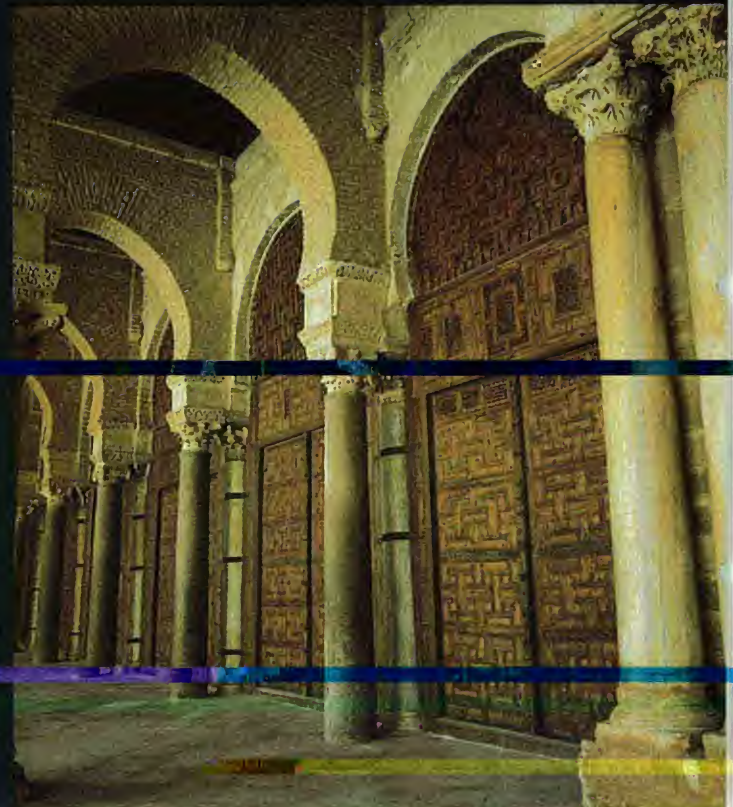
شيد الموحدين في مراكش (جامع تلمسان)، وفي فاس (الكتيبة)، والشيء الظاهر في هذه العمارات هو استبدال الأعمدة الحجرية بدعامات أو أكتاف آجرية لها حواف مستنة الأركان، وعقود على هيئة حدوة الفرس المستديرة تماماً أو مدببة قليلاً أو مشرشرة، وجعلت المئذنة تتوسط الجهة المقابلة للصحن كما في (جامع المنصورة) و (جامع حسن) الذي شيده (يعقوب المنصور)

سنة ١٥١٦ م، واستولى على مصر، فأخذت الأنظار منذ ذلك الحين تتجه إلى اسطنبول. توجه العثمانيون إلى بناء المساجد والجوامع الكبيرة الفخمة التي فيها الشيء الكثير من البذخ الفني بأسلوب مبتكر. في القرن السادس عشر ظهر طراز تركي جديد يكاد يكون مستوحى مباشرة من الطراز البيزنطي الذي بقيت (كنيسة سنت صوفيا) نموذجاً رائعاً بلا منازع. وقد كانت هذه الكنيسة مصدر وحي للمعمار التركي (كمال الدين) الذي أنشأ بعض المساجد في اسطنبول أشهرها (مسجد بايزيد) سنة ١٥٠١ م. ثم ظهر المعمار الفنان (سنان) الألباني الذي ينسب إليه بناء أكثر من ٣٤٠ بناء، وهذه الأبنية لم تكن نظائر لآياصوفيا بل تطبق معقول لأسلوبها، فيها الشيء الكثير من التجديد للطراز البيزنطي حينما يضطلع بواجب جديد. فجامع (السليمانية) الذي بناه هذا المهندس تمييز صارخ للطراز التركي المهيّب، وقد أصبح هذا الجامع نموذجاً رائعاً لعدد كبير من الجوامع التي بنيت فيما بعد. كما أبدع سنان في بناء جامع (أدرنة) فبلغ القمة في طراز العبارة العثمانية.

أما (جامع السلطان أحمد) الذي شيد في سنة ١٦١٤ م. فيعد مثالا لمناقة ورصانة البناء التركي بالإضافة إلى تناسق الأبعاد فيه. أما من حيث الزينة فقد جعل للمساجد مآذن أسطوانية عالية جداً ذات شرفتين أو ثلاث شرفات، متبعية برأس مرتفع مخروطي قمي الشكل، وقد جعلت هذه المآذن قائمة في زوايا الكتل الضخمة من البناء، وأقيمت مآذن أخرى في زوايا الصحن كما يشاهد ذلك في مسجد السلطان أحمد المزود بست مآذن.

لقد أخذ بناء المسجد في تركيا شكلاً هرمياً راسخاً بقبته نصف الكروية وأنصاف قبابه وقبباته وأروقه القائمة على أعناق أسطوانية وعلى جدران المسجد الضخمة، واستعملت الأقواس المنكسرة والمقرنصات المشورية التي تزين العقود، كما تم تغطية الجدران في الداخل بالوالب القاشاني البديع الصنعة والزخرفة.

★ من عقود وأبواب جامع عقبة بن نافع في القيروان بتونس ★





عام ١١٩٨ م. بالرباط، وتشيد المآذن أحياناً في زاوية من زوايا الصحن، وهذه المآذن على شكل أبراج بقاعدة مربعة تعلوها شرفات، وفي قبتها برج مربع أصغر حجماً يعلوها قبة صغيرة.

### العصر الصفوي في إيران

وإذا ما رجعنا إلى الشرق نجد ظهور أسرة إيرانية في بداية القرن السادس عشر الميلادي مركزها في اردبيل في شمال غربي إيران، ينتمي مؤسس هذه الأسرة (الشاه إسماعيل) إلى ولي فارسي يدعى (الشيخ صفي الدين)، وعنه أخذت هذه الأسرة اسمها. وقد اتخذ الشاه عباس (أصفهان) عاصمة له سنة ١٦٢٦ م، وكانت هذه المدينة من أجل المدن الشرقية، وفيها ازدهرت الثقافة والفنون الإيرانية في العهد الصفوي، كما ظهرت حركة فنية كبيرة في تزيين وقزوين. وقد اشتهر (الشاه طهماسب) وحفيده (الشاه عباس) بتنشجيع الفنون ورعايتها، فشيدت في أصفهان العمائر الفخمة المزينة بالقاشاني.

اتبع الصفويون في تصميم المساجد النماذج الإيرانية القديمة التي تعتمد على صحن يحيط به أربعة أرواق، أكبرها إيوان القبلة الذي يتكون من قاعة كبيرة فيها قبة. فشيّد (مسجد الشاه) أفخم المساجد في أصفهان سنة ١٦٣٠ م. وفي هذا المسجد بلغ الفن المعماري الإيراني ذروته وإن اتبع في أغلب عناصره الرئيسية الأسلوب السلجوقي الذي كان معروفاً في إيران، ذلك الأسلوب الذي يتوسط الجامع متنوع محاط بمبانٍ من طابقتين ذات عقود مدببة، ويتوسط كل ضلع من أضلاع الصحن إيوان مفتوح، الحق به قاعة تعلوها قبة.

وتتميز إيوان القبلة باتساع كبير في الحجم عليه قبة سلجوقية الطراز، ويكتنف مدخل المسجد المرتفع من الناحيتين مئذنتان طويلتان ولكنها أقل ارتفاعاً من مآذن رواق الصلاة. وترجع شهرة هذا الجامع إلى الزخارف القاشانية التي تغطي الجدران والقبة والمآذن.

وإكراماً للشيخ لطف الله الذي قدم إلى أصفهان من إحدى قرى جبل عامل في لبنان بنى الشاه عباس مسجداً سمي به (مسجد الشيخ لطف الله) سنة ١٦١٨ م، وقد أجاد الفنانون في زخرفة جدران وعمراب هذا المسجد بالرخام والفسيفساء البديع. وقد جعل هذا المسجد الآن متحفاً. ومن المساجد التي شيدت في العهد الصفوي (مسجد الشيخ صفي) في اردبيل، ولهذا المسجد قبة عظيمة، وتكسو جدرانه ألواح من الخزف المزجج ولهذا عرف به (صيني خانه).

ولشدة تعلق الإيرانيين بالعتبات المقدسة في العراق أسهموا في بناء هذه العتبات وقدموا لها أثمن الهدايا من حلي وجواهر وسجاد لا تزال محفوظة في خزائن هذه العتبات في كل من النجف وكربلاء وسامراء، كما اهتموا بمشهد الإمام علي ابن موسى الرضا في مدينة مشهد الواقعة في خراسان، وعلى هذا المشهد قبة ضخمة تضم قبري الإمامين الرضا وعلي بن موسى.

### الآثار الإسلامية في الهند

دخل المسلمون الهند ٧٠٩ م، تحت قيادة الفاتح العربي (عمد بن القاسم) في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. وفي القرن الحادي عشر الميلادي ظهر (الغزنويون) وهم فرقة من التركمان اتخذت غزنة موطناً لها، ثم أخذوا في التوسع في فتوحاتهم داخل الهند. وقد اشتهر من ملوكهم (عمود الدين غياث الدين) الذي لقبه الخليفة العباسي القائم بسم الله بالدولة دأمة الملة لحاسن الكه في نشر الدين الإسلامي في ربوع الهند والقضاء على الوثنية فيها. ثم استمر المسلمون في فتح أقسام أخرى من الهند في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بواسطة

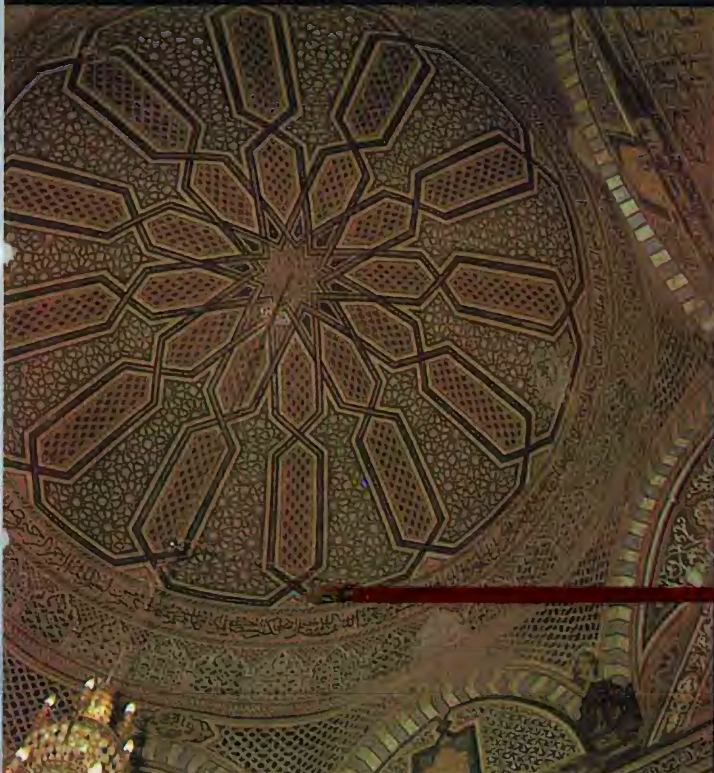
(الغوريين)، وكانوا من أهم أمراء إيران في أفغانستان. وقد اشتهر (قطب الدين إيبك) الذي استولى على مدينة (دهلي) وهدم أكثر معابدها واستخدم موادها الإنشائية في بناء مسجد فيها سنة ١١٩٧ م، سماه (مسجد قوة الإسلام).

تتكون واجهة مصلى مسجد قوة الإسلام من طاق وسطي عريض ارتفاعه ١٦ متراً وعلى جانبيه طاقان أقل عرضاً وارتفاعاً من الطاق الوسطي، وقد زينت هذه الطواق بزخارف جميلة فيها التأثير الهندي واضح وجلي. ولهذا المسجد مثذنة تعرف به (قطب منار) ذاعت شهرتها في العالم، وهي رمز لانتصارات قطب الدين الحربية الباهرة، وفي نفس الوقت مثذنة لمسجد قوة الإسلام، وقد أتم بناء هذه المثذنة صهره وخليفته (التمشش). فجعل بناء المثذنة من الحجر الأحمر والحجر الرملي والرخام، وللمثذنة خمسة طوابق لكل من الطوابق الثلاثة الأولى تصميم خاص به، فالطابق الأول مكون من أضلاع مستديرة تليها أضلاع ذات زوايا، والطابق الثاني أضلاع مستديرة فقط، أما الطابق الثالث فهو ذات زوايا فقط، ولكن التخطيط يمتد في الطوابق الثلاثة، ولكل طابق شرفة تبرز فوق مقرنصات منحوتة من الحجر دقيقة الصنع، وفيها أشرطة مكتوبة، والارتفاع الكلي للمثذنة ٧٢,٥٠ متراً.

### العهد المغولي في الهند

أسس (بابر) أحد أعقاب (تيمورلنك) دولة السلالة المغولية في الهند، وكان بابر بناءً نشيطاً وإن ما تم في عهده من أعمال البناء والتعمير كالمساجد والقصور والحدائق كانت نموذجاً رائعاً لفن العبارة المغولية في الهند، وقد اكتمل هذا الفن بعهد يمتد من الإمبراطور (أكبر) إلى (شاهجهان)، وقد ظهرت آثارهم العمرانية في سمرقند وبخارى وهرات.

★ سقف قبة من الداخل، وتظهر روعة النقوش الثقنة بعناية ★







الحروب التي وقعت في هذه المنطقة ولحودت بعض الزلازل فيها . لقد كان لشعوب هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي تقاليد راسخة معمارية وفنية ، وقد مكنت هذه التقاليد من مواصلة فن العمارة في العهد الإسلامي . ففي القرن التاسع الميلادي كانت آسيا الوسطى تابعة للخلافة الإسلامية اسمياً ، وكان عمال الخليفة ( السامانيون ) حكاماً مستقلين ، قاموا في توسيع المدن وشيدوا المساجد والمنشآت الأخرى أضخمها المنشآت الدينية .

من تلك المساجد (مسجد نمازگاه) في بخارى عاصمة (القراخانيين) وقد شيد في القرن الثاني عشر الميلادي لهذا المسجد صحن كبير غرست في صحته الأشجار كان المصلون يصلون في ظلها في الأعياد إذا امتلأ الحرم بالمصلين ، ومن المؤسف لم يبق من هذا المسجد سوى الحائط الغربي والحراب ، وهذا الحائط مزخرف بالأجر مصفوف بأشكال هندسية وكتابات تكرر فيها الجملة التالية : (الملك لله) في عدة مرات في الإطار المحيط بالحراب . وكان في بخارى (مسجد الجمعة) ، شيد في مكانه في القرن السادس عشر الميلادي مسجد آخر هو (مسجد كلان) ، وفيه مئذنة يرجع تاريخها إلى سنة ١١٢٧ م ، وترتفع بمقدار ٤٦ متراً وزينت بزخارف آجرية جميلة .

بني (أكبر) جامعاً شامخاً استغرق بناؤه خمسة أعوام ، وتتألف بوابة الجامع من قوسين ضمن إطار مستطيل ارتفاعه ٣٦ متراً ، ويتقدم البوابة درج عال ، وفي قمة البناء رواق مفتوح وجواسق ذات قباب ، وأحيط الصحن بأروقة من جهاته الثلاث ، وفي جهة القبلة واجهة الحرم عليها ثلاث قباب فارسية الطراز ، ويفتح وسط المصلى بواسطة إيوان عميق أشبه بإيوان مسجد الجمعة في أصفهان ، وفي ركني الجدار الغربي منارتان جميلتا البناء والزخرفة .

أما (شاهجهان) فقد أنفق مبالغ طائلة في بناء (جامع موقى مسجد) ، والبناء كله من الحجارة الحمراء من الخارج ، ومن الرخام في الداخل ، وفناؤه مربع الشكل ، وترتفع فوق المسجد قباب جميلة متناسبة الحجم وعلى كل ركن من أركان الجامع منارة .

#### المساجد في آسيا الوسطى

إن المنشآت الإسلامية كثيرة في آسيا الوسطى وكازاخستان والقفقاس والقرم وتتاريا وباشكيريا وغيرها . وتتميز أذربيجان بكثرة المنشآت ذات القيمة المعمارية الفنية . وقد أصاب بعضها التلف بسبب



ما تقدم نلاحظ أن للعمارة العربية الإسلامية التي تمثلت في بناء المساجد خير تمثيل، شخصية معينة وطابع متميز تبيته العين مباشرة سواء كان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم للعناصر المعمارية المميزة أم للزخارف التي تزين هذه المباني، ولا شك أن كل هذا قد ألزم المهندس والفنان المسلم أن يكون متعمقاً في علوم الهندسة والرياضة والميكانيك بحسب فني ممتاز.

إن من الأمور البارزة في تصميم المساجد عامة هو عدم خروج هذا التصميم على نظام بناء المساجد الأولى التي بنيت في صدر الإسلام، فلمعظم هذه المساجد جزء يتوسط المسجد يسمى الصحن، تحيط به في الغالب أروقة بها بوائك أكبرها رواق القبلة وفيه المحراب، وعلى يمينه المنبر، ويحمل السقف على أعمدة من الحجر أو اكتاف من البناء أو تقوم هذه السقوف على عقود ترتفع فوق الأعمدة أو الاكتاف، ومن أهم العناصر المعمارية في المساجد أيضاً وجود مثناة أو عدة مآذن للمسجد الواحد، وهذه المآذن وإن اختلفت أشكالها ومظاهرها الخارجية إلا أن وظيفتها الأساسية هو أن يرتفع من فوقها اسم الله جل وعلا يدعو الناس إلى الصلاة في أوقاتها المعينة.

ومن العناصر الأساسية في بناء المساجد القباب التي تعلو بيوت الصلاة أو حرم المسجد، وقد انتشرت في العالم الإسلامي حتى غدت من الخصائص المميزة للعمارة الإسلامية، وقد تنوع شكل هذه القباب، فمنها ما هو نصف كروي، وبعضها ذات تضليع، وبعضها مدببة الرأس، وأخرى بتلاتية الشكل أو ما يشبه زهرة اللوتس.

أما الأعمدة فإنها في بادئ الأمر كانت قد انتزعت من المباني القديمة التي تم للمسلمين فتحها، ثم بدأ يظهر العمود الإسلامي الذي أخذ بالتدرج شكلاً يميزه عن أشكال الأعمدة الأخرى، فكان أول هذه الأشكال أعمدة ذات تيجان ناقوسية أو رُماتية، وجعل بدن العمود أسطوانياً أو مضلعاً قطاعه مشمن، وزخرف بعضها بالزخارف النباتية الدقيقة، وهناك من استعمل قواعد للأعمدة بشكل ناقوس مقلوب.

وأما العقود فقد نجد أنواعاً مختلفة لها، منها ما كان نصف دائرية، ومنها ما هو مدبب أو يشكل حدوة الفرس الدائر أو المدبب، وهناك عقود ذات فصوص، وهي سلسلة من أقواس متتالية في أطراف العقود، وقد زينت بعض العقود بالقرنصات، واستعمل العقد الفارسي الذي يتكون من خطين يتقابلان في الأعلى بزوايا منفرجة، ويتقوس طرفاهما إلى الأسفل عند ارتكازهما على كتفي الجدار، كما استعملت العقود المستقيمة المكونة من أحجار يشد بعضها البعض، أو من أحجار متداخلة فيها التعشيق وتكون خطأ مستقيماً.

واستعمل العرب المقرنصات كحلية زخرفية، أو لتحويل المربع إلى شكل دائري ترتكز عليه القبة، كما استعملت المحاريب لهذه الغاية، كل ذلك جعل للعمارة الجوامع والمساجد وغيرها من المنشآت الإسلامية ميزة فريدة تميزها عن طراز الفنون المعمارية الأخرى.

هذا ونحن حين نتتبع تاريخ بناء المساجد في الأقطار الإسلامية نلمس بوضوح آثار وحدة حضارية قديمة امتدت من أقصى بلاد المغرب العربي إلى أقصى بلاد الهند. إن مثناة جامع الكتبية بمراكش، ومثناة جامع قطب منار بدلي تديان أمام المتبع كبرج الحدود وروج القوة على حدود البلاد الإسلامية، وإن كانت هذه الحدود قد امتدت إلى أبعد من مراكش من جهة الغرب، وإلى أبعد من دلي من جهة الشرق. ونحن نعلم أن هاتين المنارتين قد شيدتا في زمن واحد فليكنائنا أن نعتبرهما بمثابة رمزين جميلين لوحدة العالم الإسلامي الأصلية، وكان لسان حال كل من هاتين المنارتين يسبح بقوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب، لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً﴾. صدق الله العظيم.

وفي (جرقورغان) مثناة شيدت سنة ١١٠٩م، على مقربة من مدينة (ترمذ) يمتاز تصميمها بالأصالة، حيث نجد برجها عبارة عن حزمة مكونة من ١٦ عموداً مربوطة في أعلاها بنطاق كتبت عليه بعض الآيات القرآنية الكريمة، وأما زخارفها فهي على نمط مثناة كلان.

ومن المساجد المشهورة (مسجد بي بي خاتون)، وهذا المسجد في الحقيقة منشآت عديدة تحيط بها الأسوار، في جهتها الغربية بناية المسجد الرئيسي الجبارة، وفي جهتها الشرقية بوابة المدخل الرئيسي وعلى جانبيها مثناتان، وكان في وسط الجهتين الشمالية والجنوبية مسجدان صغيران، ثم اتصلت جميع المباني بعضها ببعض برواق ارتكزت سقوفه المنيعة على ٤٠٠ عمود رخامي، وارتفعت المآذن في أركان الأسوار التي تحيط بالمجموعة، وكانت جدران المسجد مزخرفة بالنقوش الهندسية الجميلة على شكل شبكة من الأجر الأزرق المطلي بالمينا المنقوش عليه حروف كوفية.

#### المباني الإسلامية في الصين وأندونيسيا

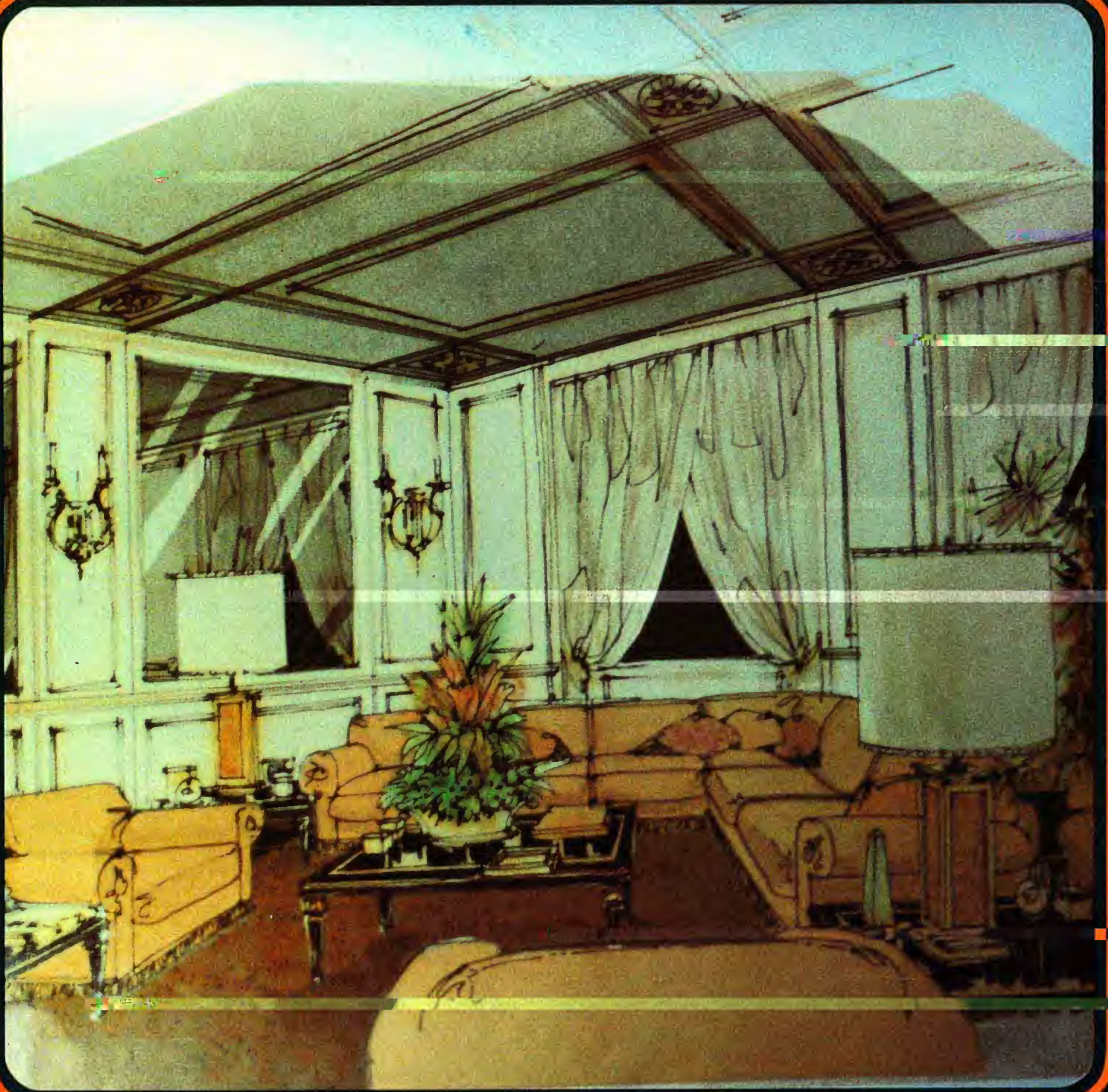
كان للعرب اتصالات تجارية ببلاد الصين قبل الإسلام وبعده، ففي العهد العباسي استنجد أحد أباطرة الصين بالخليفة المنصور وسمونه (بو جعفر) وطلب إليه استرداد عرشه من أحد القواد الذي ثار عليه، وقد لبى المنصور طلبه وأرسل إليه أربعة آلاف فارس كما تذكر المصادر الصينية، وتم استرداد العرش وقتل الثائر، ولكن بعض الجنود العرب فضلوا البقاء في الصين وتزوجوا من الصينيات. وفي زمن المغول غزا الصين (قبلاي خان) أخو هولاكو (١٢٠٨م)، وأصبحت الصين تحت حكم المغول وهذا أدى إلى تسرب الثقافة الصينية إلى إيران وساق الممالك الإسلامية.

وفي الصين اليوم نحو خمسين مليون مسلم تقريباً، وهم بقوميات متعددة، وتكاد تكون المناطق الشمالية الغربية من الصين كلها للمسلمين. وقد انتشر قسم منهم في الجهات الشرقية والجنوبية من الصين طلباً للرزق. وأهم الآثار الإسلامية فيها بعض المساجد المشيدة حسب طراز المعابد الصينية القديمة في مظهرها الخارجي وفي بيت الصلاة محراب ومنبر، ويعلو هذه المساجد قباب أشبه بالقباب الروسية أو الهندية البصلية. وفي هذه المساجد تقام جميع المراسم والمناسبات الدينية.

إن أهم المساجد (مسجد كوانتا) في مدينة (كانتون)، فقد بني هذا المسجد قبل ألف سنة تقريباً، وللمسجد مثناة أشبه بالبرج أو الصومعة ذات شكل أسطواني خال من كل زخرفة، وطراز رأسها الأعلى طراز هندي محض. وفي كانتون مسجدان هما (مسجد تسينجو) و (مسجد فونبو آتغ).

أما في أندونيسيا، التي يبلغ عدد سكانها نحو المئتين مليون نسمة، فقد انتشر الإسلام في بادئ الأمر في شمال جزيرة سومطرة، ثم توسع المسلمون في (بورنيو) و (سلبس) و (جزيرة ملاقا)، وقامت فيها حكومات إسلامية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وكان انتشار الإسلام في جاوة قبل ذلك أي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي. وقد شيد المسلمون في معظم المدن الأندونيسية مساجد وجوامع فخمة فيها أساليب معمارية مختلفة، لكنها أقرب للأساليب الإيرانية الهندية.





المشهوره .. تشير البهجة في قصوركهم و فلكهم بديكوراتها الرائعة  
المشهوره: الممثلون الوحيدون لمؤسسة جنسان العالمية

الناصرية - خلف قصر الضيافة الملكي  
تلفون ٢٧٣٤٥ / ٢٧٣٠٠ - الرياض

مؤسسة المشهورة





\* كامل كيلاني \*

# عاماً.. في خدمة الطفل العربي

اعداد: مصطفى عبد الله

## بين التاريخ .. والشعر .. والقصة

يقول «أنور الجندي» :

بدأ «كامل كيلاني» حياته الأدبية عام ١٩٢٢م ، على أسلوب يسوعي بأنه سيأخذ مكانه الطبيعي بين صفوف الأدباء والمؤرخين ، وذلك حين ألقى محاضراته ، عن الأدب الأندلسي ، في الجامعة المصرية القديمة ، وقد كان اتجاهه التاريخي أغلب ، تشهد بذلك مؤلفاته : «ملوك الطوائف» و«مصارع الأعيان» و«نظرات في تاريخ الاسلام» .

ثم برز اتجاهه إلى الشعر - وهو شاعر مجيد ، يخفي أحياناً آثاره الشعرية ، ويحتفظ بها لنفسه - حين بدأ يراجع «ابن زيدون» و«ابن الرومي» ، ووجد نفسه مع «أبي العلاء» ، فقد اتجه إليه بعنف وعاش معه طويلاً ، وراجع أثره الكبير في «الغفران» ، وحفظ أغلب شعره ، وكان يستشهد به في كل مناسبة .

إلى هنا كان كامل كيلاني قد أنفق صدراً من حياته في هذا الجو الأدبي التاريخي .. فكيف قفز بعد ذلك ، إلى القصة فعاش لها ، وحشد لها جهودها كلها ؟ .

والواقع أن الاتجاه القصصي عند كامل كيلاني اتجاه أصيل ، ولكن الاتجاهات الأصلية قد تختفي في النفس فترة من الزمن ، ثم تبرز - بعد ذلك - قوية واضحة ، وقد حدث هذا مع عدد كبير من الكتاب .

وقد كان الاتجاه القصصي عند الكيلاني نتيجة طبيعية لتسوية شخصيته ولعالم نفسيته . ولو أنه لم يكتب القصة ، لعمق فطرته ، لظل في عداد الأدباء ، ولم يقفز إلى صفوف الرواد .

إن كل أثر من آثاره - في مستهل حياته الأدبية - يعطينا خيطاً من خيوط شخصيته القصصية ، كما جاءت - من بعد - قوية خلاصة ، عندما أبدعت هذا

كامل كيلاني .. اسم محفور في ذاكرة تاريخ أدبنا العربي نظراً للدور الريادي الذي لعبه صاحب هذا الاسم في مجال من مجالات الأدب راده هو وأصله ، هو مجال فن الكتابة للطفل العربي .

لقد أمسك كامل كيلاني القلم وكتب ، فعلم أجيالاً بعد أجيال كيف تمسك القلم وتخطب من خلال القصة القصيرة والحكاية المصورة الجميلة . ورغم كل ذلك فلم يستوعب واحد من تلاميذه كل فنه ، ولم يتفوق ، حتى بعد مرور ١٩ عاماً على وفاته ، واحد من تلاميذه عليه .

لقد أسس كامل كيلاني بمفرده مكتبة ضخمة للطفل . أودع فيها أكثر من ألف قصة بخط يده ، وما يزيد على المائتي قصة مطبوعة أكثر من عشر طبعات ، ومنقولة إلى معظم اللغات الحية .

وكامل كيلاني الذي وافق يوم السادس من شهر شوال الماضي ، ذكرى مرور ١٩ عاماً على وفاته . ولد في يوم ٢٠ أكتوبر ( تشرين الأول ) ١٨٩٧م ط . . عاش حياته بكل أبعادها .. بطولها ، وعرضها ، وعمقها . ولم يعيش يوماً على هامش الحياة .

لم يكن كامل كيلاني رائداً لأدب الأطفال في عالمنا العربي فحسب ، بل كان قبل ذلك .. شاعراً وأديباً وناقداً ومؤرخاً ومترجماً وصحفيّاً ومعلماً .. ومع ذلك فقد أعطى للطفل العربي من وقته ما لم يعطه أحد غيره .

وإذا كانت حياة الكيلاني الأدبية المتعددة قد تركت بعض الحيرة لدى الذين كتبوا ويكتبون عنه ، إلا أن الجميع متفقون أنه رائد فن الكتابة للطفل العربي .

\*\*\*

في هذا نتعرف على كامل كيلاني من خلال آراء وخواطر وأفكار الأدباء الذين عاصروه .



اللون الجديد من الأدب العربي ، وهو قصص الأطفال .

كان التاريخ والشعر والأدب كلها نوافذ على الفن القصصي ، وإعداد له ، وهي النواة التي تكون الرواية .

فإذا عدنا إلى مطلع شبابه وجدنا حياته قد رسمت وفق أسلوب قصصي ، فقد تفتحت روحه على الأسطورة العربية ، فاندفع يقرأ كل أسطورة في كل أدب .

قرأ : ذات الهمة ، وعنتر ، وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه ، وحزرة البهلوان ، والظاهر بيبرس ، وهي في مجموعها تبلغ ( ١٧٠ ) كتاباً ؛ ولكن هذا الرصيد الضخم لم يكف القارئ الذي اندفع يقرأ الأساطير في الأدب الأوروبي ، فقرأ : روبنسون كروزو ، وجليفر ، وغيرها من أساطير الهند ، واليونان ، فأنشأ بهذه القراءات - في أعماقه - منطقة سحرية عجيبة ، ظلت تعيش في أعماقه ، حتى انفجر حاجزها عندما بلغ قوته على هذه الصورة الرائعة .

وقد أمده التاريخ بالمادة الخام ، إذ قرأ كل القصص التي حوتها أمهات كتب التاريخ ، وأمد الشعر باللوحات الفنية .

ولعل أعجب مظاهر حياته أنه في الوقت الذي حفظ فيه ألفية « ابن مالك » - وهي من الدراسات الأزهرية الخالصة - حفظ « لافونتين » و « الحريري » ، وكأنما أريد له أن يجمع أسباب التبريز في الأدبين .. العربي والغربي على السواء .

وقد وصف أمير الشعراء « أحمد شوقي » كامل كيلاني وصفاً دقيقاً حين قال :

الكيلاني كمعرب الشواني

قصير ولكنه سريع الخطى

منتج يأتي بدقائق الأمور .

#### أحد الرواد في الاهتمام بالطفل

وعنه قال الدكتور عبد الحميد يونس :

كايد كامل كيلاني الأدب ، وعمل على نشر الثقافة ، ما يقرب من أربعين سنة ، وإذا لم تكن شهرته بين أبناء الجيل الصاعد ، كشهرة الذين يصطنعون وسائل الاعلان والفن في هذه الأيام .. فإن أجيالنا تعرفه حق المعرفة .. تعرفه بشخصه ، وأدبه وثقافته كما عرفت النوايا والمثابرين في السبع الثاني من هذا القرن .

والذين عاصروه يذكرون أنه أثر أن يعيش في القاهرة القديمة المتطورة بين الحلمية وعابدين .

وكانت نشأته في هذه المنطقة ، تحكي وحدة متجانسة ، تألف فكره ، وعاطفته ، وإرادته ، وسلوكه جميعاً . ومن يقرأ الآثار المتنوعة التي صدرت عنه يستطيع أن يدرك - في سر - أنها كانت تركز على تراثنا الأصيل ، ارتكاز القاهرة القديمة ، وتتطور في هدوء وأناة ، محتفظة بجميع مقوماتها .

وقبل أن يعنى التربيون بتثقيف الطفل ، على أساس جديد يستغل الصورة واللون .. أهم .. كامل كيلاني هذه الثمرات الغضة وأوقف عليها كل نشاطه أو أكثره ، وأصدر لها مكتبة كبيرة مستقلة عرفت بـ « مكتبة الطفل » .. وكان بذلك واحداً من الرواد الأوائل في الاهتمام بالطفل .

وأياً كان رأي « البيداغوجيين » في صنع الكيلاني فإن الذي لا شك فيه ، أنه كان من أوائل الذين فكروا وديروا وأفادوا من أمجاد العرب ، وسير الفحول ، كما أفادوا من أقاصيص الشعب العربي .

ولم يكن الرجل - رحمه الله - يؤلف لطفل لا ينمو على الأيام ، وإنما كان يؤلف طبقاً للمراحل التي يتدرج إليها ، فيبدأ بالبسيط ، ويأخذ في التطوير والتعقيد شيئاً

فشيئاً ، وكان اهتمامه باللسان العربي يفوق كل اهتمام .

وإذا كان الكيلاني - كأبناء جيله - قد احتفل بالفصح ، فإنه لم يغفل إطلاقاً الأدب الشعبي الذي يتوسل باللهجات العربية ، ولكنه لم يجعله غاية في ذاته ، بل أفاد منه في تطوير وتقويم الدرس الأدبي ، وإبراز الفلسفة الخاصة التي يستمد منها الأدب ، كما فعل في محاولته اظهار فلسفة « جحا » ، وإذا اتخذنا هذه الشخصية مثالا على صنيعه ، فإننا نلاحظ أنه خلصها من الشوائب التركية ، وردها إلى أصلها العربي .



★ مجموعة من قصص الأطفال ★

#### علم .. من أعلام الثقافة

ويعمق « رشدي صالح » الأديب والناقد جانباً من جوانب شخصية كامل كيلاني فيقول :

آخر مرة قابلته فيها حدثني عن شيء في حياته ، أقطع بكثير من الموت .. قال لي : يوم أن أصبت بالعمى الطاريء ، لم أنهزم أمام الظلام ، لأنني مؤمن بأن الأقدار أرحم من أن تتركني أموت وأنا أعمى !

وانتصر الفيلسوف على العمى الطاريء ، لكنه انهزم - طوال حياته - أمام الجحود .

لقد كان في طليعة المثقفين .. أدبياً وعلماً ، فتخطاه المثقفون ، وهم يدفعونه إلى الوراء ، ليقف في آخر الصف ، ينتظر حتى يمر الجميع .

أبعده على الأصواء والمجد ، وتجاهلوه .. وهم يعلمون أنه من أعمدة الفكر ، في مرحلة كاملة من ثقافتنا .

ولم يرفع يده بالاحتجاج في وجه أحد .. وكان يرى أنه موجود ليعطي الحياة لا يأخذ منها .

وانتهر بعض الأدباء فرصة مرضه بعينه ، فسرقوا ترجمات له ، ونشروها



بأسمائهم ، فلما استرد بصره ، لم يرفع يده بالاعتراض .. وظل يقول :  
«دعهم يأخذون . إنني لا أحاسبهم على السرقة ، بل إني حزين لنكران  
الجميل .. فهؤلاء الأدباء من تلاميذي » . ولولا تواضعه الشديد لقال إنه هو  
الذي صنعهم ، وقدمهم للجمهور .  
كان الكيلاني في صدر المفكرين المسيطرين على الثقافة العالمية والتراث العربي .  
ومع هذا ظل يشعر بأن الآخرين يسحبون الأرض من تحت قدميه ، وبأنه كلما تقدم  
خطوة ، وجد في انتظاره كاساً جديدة من الجحود !  
وانزوى الفيلسوف في صومته .. يتحدث إلى من لا يعرف الضغينة ، ومن لا  
يتكرر الجميل .. أولئك هم الأطفال : أحباؤه .. جمهوره .. والقراء المعجبون  
به ، الذين كانوا ينتظرون روائعه .  
وكان هو يشاقق إلى لقائهم ، لأنه كان - دائماً - محتاجاً إلى يد طاهرة نقية ،  
تعطي الحياة .. ولا تأخذ منها .  
ذلك هو الأديب الذي فقدناه ، فصدرت الصحف تنعاه في أعمدة الوفيات ،  
وكان الحق أن تربيته في الصفحات الأولى !  
لقد انطوى علم كبير من أعلام الثقافة .. لحظة أن ذهب الناعي ينذر بأن  
«كامل كيلاني» قد صمت إلى الأبد !

## بابا .. كل الأطفال العرب

وقال عنه «أنيس منصور» :  
لا يعرف كامل كيلاني إلا شيئاً واحداً هو أن يعمل ليلاً ونهاراً ، بحماس  
الشبان ، وإيمان الشيخ ، بأنه يؤدي عملاً نافعاً ! ولا يعنيه ما يقول الناس .. وهو  
زاهد في الشهرة ، وفي المال ولكنه لم يزهّد أبداً في العمل والاخلاص ، لأبنائه من  
الأطفال في كل مكان .  
.. هذا هو «هانس أندرسن» البلاد العربية . هذا هو الأخوان  
الألمانيان «جرّيم» ، بل إنه كل أسرة «جرّيم» يعمل في صمت دون أن  
يكتثر - قليلاً ولا كثيراً - للنقد .. وقد حدث أن هاجمه إحدى المجلات شهوراً  
متوالية . فلم يشأ أن يقرأ النقد الذي كتبه .  
.. ومن رآه أن المعرفة بين أديبين ، من شأنها أن تجعل الأديب يفقد اثنين من  
رجالها ، ولذلك يؤثر كامل كيلاني الصمت حين يهاجمه النقاد وبذلك تكون الخسارة  
رجلاً واحداً .

إن شعار هذا الرجل ، رحمه الله ، هو أن يعمل ، ويعمل دائماً . إنه هو الذي  
فتح باب العناية بالطفل ، وتسليته ، وتنقيفه . إنه هو الذي فتح الطريق إلى ركن  
الأطفال في الإذاعات العربية .  
هذا هو «بابا» عدد كبير من الأطفال من «أندونيسيا» إلى «مراكش» ومن  
«مصر» إلى «جنوبي إفريقيا» . هذا هو .. «كامل كيلاني» .

## الكيلاني .. وابن الرومي

أما كامل الشناوي فقد قال عن رفيق عمره كامل كيلاني بعد أن  
رحل عن الدنيا :  
في مثل هذا اليوم مات كامل كيلاني صاحب «مكتبة الأطفال» التي تضم  
سبعين كتاباً ، ومؤلف الدراسات الأدبية المتعددة ، والباحث وراء  
المعري ، وابن الرومي ، وابن زيدون .  
عرفت كامل كيلاني منذ ثلاثين عاماً ، كنا شباناً ناشئين ، مولعين بالأدب ،  
وكان في «الحلمية الجديدة» مقهى يتردد عليه بعض الأدباء والشعراء ومن بينهم

«كامل كيلاني» . إنسان دقيق الحجم ، قصر القامة ، أسمر اللون ، سريع النظرة  
واللفتة ، قلق ، لا يكاد يستقر على مقعد ، حتى يتركه إلى مقعد آخر .  
يروي الشعر ، والنوادر ، والحكايات ، وحوله أناس يهزون رؤوسهم  
إعجاباً ، ويضحكون بأصوات عالية .  
هؤلاء الناس كانوا أيضاً أدباء مثله .  
هكذا عرفت «كامل كيلاني» من بعيد ! .

ثم عرفت من قريب ، بعد ما اشتغلت بالصحافة ، كان يزورني في مكتبي ،  
ويحرص - في كل زيارة - على أن يسمعي جديداً من مختاراته ، وأغلب هذه

المختارات من شعر «المعري» ، و«ابن الرومي» .. وكنت أسأله ، ألا يخشى أن  
تحل به لعنة ابن الرومي ؟

فكان يقول : إن حبي لابن الرومي يجعلني أتحدى لعنته ؟  
وابن الرومي شاعر عربي جهير ، كان - في حياته - كثير التشاؤم ، وقد  
أصبح - هو نفسه - شؤماً على من يقترب منه .

وقد ظل ديوانه - حتى الآن - غير مطبوع . ومنذ أربعين عاماً بدأ الشيخ  
محمد شريف بك في طبعه فلم يكذ يصدر الجزء الأول حتى انتقل إلى رحمة الله .  
وقد كتب «المازني» دراسة عن «ابن الرومي» فزلت قدمه ، وظل طول حياته  
يعرج إلى أن مات !

وأصدر عباس العقاد كتاباً قماً عن حياة ابن الرومي ، وعلى أثر صدور  
الكتاب ، حوكم العقاد بتهمة لا علاقة لها بالأدب . وصدر الحكم بحبسه تسعة  
أشهر .

وكان «كامل كيلاني» يرى أن شعر «ابن الرومي» في السخرية يؤلف معرضاً  
كاملاً من الرسوم الكاريكاتورية . وقد اختار له مئات من الصور الرائعة ، مثل  
صورة البخيل ، وصورة الأحذب ، وهو يمثل البخيل وقد بلغ من حرصه ، وتقديره  
أنه لا يتنفس من طاقي أنفه ، ولكن يتنفس من طاقة واحدة ، ويوفر الطاقة  
الأخرى .

## رأي مستشرق

وهذا هو رأي المستشرق الإيطالي «كارل نالينو» الأستاذ بجامعة  
روما ، وعضو مجمع اللغة العربية ، من خلال رسالة وجدتها في أوراقه  
التي تملأ بها مكتبته :

لقد امتلاء قلبي سروراً حين قرأت في هذه الأعوام الأخيرة حجرة كبيرة من  
كتب كامل كيلاني التي أنشأ بها مكتبة الطفل العربي .

ولئن صح بقيتي لتكون نسيج وحدك في عالم التأليف للأطفال في البلاد العربية  
قاطبة ، فلست أعرف لك ضريباً في هذا المضمار في أي بلد ينطق أهله بالضاد .  
فإن كتبك قد جمعت إلى براعة التسلية حسن الأسلوب ، ووفرة المعلومات معاً .  
ولست أرى لها مثيلاً إلا تلك الكتب التي تدرس في مدارس أوروبا إلى جانب  
الكتب المدرسية لتثير في أنفس الأطفال والشباب حب الاطلاع ، وحب التسلية ،  
كما تثير فيها - إلى جانب ذلك - حب التفكير .

وعندي أن كتبك قد سدت هذا الفراغ في الشرق بطريقة مثلى ، فإن جاذبية  
هذه القصص لا تبلى جديتها ، فهي حافظة أبداً لجديتها وروعها وسحرها ..  
وكل ما فيها يدل على سلامة الذوق ، فإنها تمتاز في موضوعها بحسن الاختيار ..  
وفي أسلوبها بالمتانة واللغة .. وفي لغتها بالسهولة .. وإن صوغ عباراتها ، وانتقاء  
مفرداتها لينان عن ذوق عربي أصيل ، مكتمل النضوج ، يشع فيها جيعاً . ولست  
أستثني من ذلك تلك القصص التي قبستها من الآداب الأوروبية . فلإن تجويد





★ كتب الموضوع مع رشاد كامل كيلاني الذي تحدث عن أبيه ودوره في خدمة أدب الأطفال في العالم العربي ★

التيارات ، والأصطلاح بجلال الأعمال .  
وقد رأينا ، ورأى المصنفون معنا ، في بواكير الجيل ضائفة من الأفذاذ  
الموهوبين ، في مختلف الميادين « الفنية والثقافية » ، والاقتصادية وغيرها ، مما  
يشيرنا بدنو الفجر الصادق ، بعد أن طال ليل الجهالة ، وخيم ظلامه حتى كاد  
المصلحون يستسلمون للباس من طلوع النهار ، وراحوا يرذدون - في هفة وحسرة -  
قول الشاعر :

حدثوني عن النهار حديثاً  
أوصفوه ، فقد نسيت النهار

● تصادفك - ككل إنسان - عقبات ومعاكسات في الحياة ، فكيف  
استطعت التغلب عليها ؟

● انتفعت في فجر طفولتي بالحكمة القائلة : « العلم إذا أعطيته كلك ،  
أعطاك بعضه ، وإذا أعطيته بعضك ، لم يعطك شيئاً » .  
ولا ريب أن من يهب حياته لفنّه ، جدير أن يشغله ذلك عن كل ما عداه ،  
فلا يشيه شيء عن هدفه .  
وكثيراً ما تمثلت قول القائل :

وإذا صبرت لجهد نازلة  
فكانه ما مسك الجهد

وكم أعاني على مواجهة الخطوب قول « أبي العتاهية » :

لكل شيء مدة وتنقضي  
ما غلب الأيام إلا من رضي

طالما وجدت عزائي في أمثال هذه المعاني ، ورأيت فيها خير معوان لي على اجتياز  
العقبات ، واحتقار المعاكسات .

أسلوبها ، وتغير الفاظها ، وطابعها العربي الصميم ، كل ذلك ، لا يدع مجالاً  
للشك في أن هذه القصص هي - بإنشائها - عربية بأصل وضعها حقاً .

#### حوار عمره ٣٠ عاماً

وهذا جزء من حوار كان قد أجراه مع كامل كيلاني لإذاعة الشرق الأدنى  
عام ١٩٤٨م ، محمد عبد الغني حسن .. تحدث فيه عن أسباب اهتمامه  
بالكتابة للطفل العربي .. ورأيه في الجيل :

● كيف بدأ اهتمامك بالطفل ؟ وكيف خطر ببالك إعداد  
مكتبة للأطفال ؟

●● بدأ تفكيري في ذلك منذ طفولتي الباكرة ، وطالما عجبت ، في مستهل  
نشأتي : كيف تسكنت كتب المطالعة العربية عن سبيل الكتب الأجنبية التي وفق  
جمهور مؤلفيها في تحبيب لغتهم وأدهم إلى نفوس الأطفال . بقدر ما وفق مؤلفونا في  
تبغيض القراءة العربية والأدب العربي إلى نفوس الناشئة !  
وطالما شكوت لبعض أترابي من الطلبة - ونحن في السنة الأولى الابتدائية -  
متبرماً بما في أيدينا من كتب المطالعة العربية ، مقابلاً بينها وبين الكتب الأجنبية  
الجميلة الفاتنة . وطالما أجاوبي صاحبني ساخراً : « فما بالك لا تؤلف خيراً من هذه  
الكتب ؟ » .

وطالما أجبته : « ذلك عهد علي أن أوفي به - إن شاء الله - متى كبرت سني  
وبلغت مبلغ الرجال » .

● ما رايتك في الجيل الناشئ ، الذي ساهمت في تربيته وتثقيفه ؟

●● لكل جيل عيوبه ومزاياه . فإذا أخذ ناقد مخلص على نفر من شباب الجيل  
الجديد تفوقهم في عيوبهم ، فإننا نرجو أن يجد في تفوق بعض أفذاذه في مزاياهم ،  
ما يشفع لجيهم ، ويكفر عن عيوب سواهم .

وقد مهدت للجيل الجديد من وسائل النهضة ، وفتح له من ميادين التجربة  
والاختيار ما لم يتح لسابقيه من الأجيال . فلا عجب إذا كان أقدر على تحمل



الساعات الأخيرة لكل إنسان تحضر وجدان الناس وتجبر أعنى العتاة أن يحنوا رؤوسهم أمام جلال الموت ، ذلك المجهول المخيف . فإذا حضرت الوفاة واحداً من عظماء الناس فإن الأمر لا يقف عند اهتزاز العاطفة ، وإنما يكتسب بُعداً آخر ، هو التدبر والتأمل وإعمال الفكر في سيرة العظم

وفي مواجهته هذا الموقف الأخير في حياته .  
وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، هو أعظم عظماء الإسلام بعد رسول الله ﷺ ، فلننظر كيف واجه الرجل ذلك القدر المكتوب وكيف كانت ساعاته الأخيرة .

## عشيرة مائة

### جيوش حرب الردة

استخلف رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ عامين وثلاثة أشهر وأياماً ، تعرضت الدولة الإسلامية الناشئة خلالها لحرب أهلية شاملة هي حروب الردة ، واستطاع أبو بكر أن يرد للأمة وحدتها وللحكومة في المدينة سلطتها ، وفور ذلك بعث الجيوش إلى حركة الفتح الكبرى .

بعث خالد بن الوليد وعياض بن غنم إلى العراق ، كما بعث يزيد بن أبي سفيان وشرجيل بن حسنة وأبا عبيدة بن الجرام وعمرو بن العاص إلى الشام ، ووضع لكل ميدان مخططة . وسار خالد في العراق من نصر إلى نصر في تلاحق سريع ، في حين جمد الوضع في الشام . وأرسل الصديق أمره إلى خالد أن ينتقل بنصف جيشه من العراق إلى الشام ليقود عملية الفتح هناك ، وأن يترك المثنى ابن حارثة على ما بقي من جيشه بالعراق .

ووجه الفرس إلى المثنى جيشاً التقى به في بابل ، وكال لهم هزيمة مريرة في أواخر ربيع الأول ١٣ هـ ، ومع هذه الهزيمة حدثت اضطرابات داخلية في بلاط فارس . وأدرك المثنى أنها هدنة لن تدوم ، فانفلت إلى المدينة ليشرح للخليفة أبي بكر تفاصيل الوضع بالعراق ، ويقدم له مشروعاً للتعبئة العامة يسمح لمن ثبتت توبته ممن سبقت لهم ردة أن يسهموا في حركة الفتح ، وكانوا محظوراً عليهم حتى ذلك الحين أن يشاركوا فيها .

هذا في حين كان خالد بن الوليد في الشام يفتح بصرى ، في ٢٥ ربيع الأول ١٣ هـ ، ثم يخوض أولى المعارك الكبرى في الشام ، فيهزم الروم في ٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ ، هزيمة منكرة في أجنادين ، وقضى بعدها أياماً في عمليات مطاردة الغلول ثم كتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله خليفة رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين . أما بعد ، سلام

عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فإنني أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جمعاً جمة كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صلهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم . فخرجنا إليهم والثقين بالله متوكلين على الله ، فطاعناهم بالرمح ، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم في كل فج وشئب وغائط . فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأولياته . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . بعث خالد بهذه الرسالة مع عبد الله بن حنبل الجمحي ، فانطلق بها جنوباً نحو المدينة .

### استخلاف عمر بن الخطاب

وفي يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة ١٣ هـ ( ٨ أغسطس / آب ٦٣٤ م ) ، اغتسل أبو بكر رضي الله عنه ، وبالرغم من أن الفصل كان صيفاً ، فقد كانت ليلة باردة بالمدينة ، وحُم أبو بكر وارتفعت حرارته خمسة عشر يوماً ، فلازم فراشه ولم يكن يخرج إلى الصلاة وإنما كان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس . وكان المسلمون يعودونه في داره وهو يثقل كل يوم ، وكانت ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي التي ترضه .

وأحسن أبو بكر أنه مرض الموت ، وأراد أن يستخلف من بعده ، فدعا عبد الرحمن بن عوف وقال : أخبرني عن عمر . قال : يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يراني رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه . يا أبا محمد قد رققته فرأيتني إذا غضبت على الرجل في شيء أراني الرضا عنه ، وإذا لنت له أراني الشدة عليه . لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً . واستشار أبو بكر كبار المهاجرين والأنصار في عمر بن الخطاب فجميعهم أثنى عليه . ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس



واشتد المرض على أبي بكر فقبل له : لو أرسلت إلى الطبيب ؟ قال : قد رأي . قالوا : فما قال لك ؟ قال : إني أفعل ما أشاء . ودخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر ، فوجده مهتماً فقال مواسياً : أصبحت والحمد لله بارئاً . قال أبو بكر : أترأه ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : « إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل ، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألّموا الاضطجاع على الصوف الأذري (نسبة إلى أذربيجان) كما يألم أحدكم أن ينام على حسك (شوك) . والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً فتصدونهم عن الطريق ميمناً وشمالاً . يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البجر (الأمر العظيم) » .

قال عبد الرحمن : خفّض عليك رحمك الله ، فإن هذا يهضك في أمرك ، إنما الناس في أمرك بين رجلين ، إما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب ، ولا نعلمك أردت إلا خيراً ولم تزل صالحاً مصلحاً ، وأنك لا تأسي على شيء من الدنيا .

قال أبو بكر : أجل ، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتني ووددت أني تركتني ، وثلاث تركتني ووددت أني فعلتني ، وثلاث ووددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ . فأما الثلاث اللاتي ووددت أني تركتني ، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ، ووددت أني لم أكن خَرَفْتُ الفجاءة السلمي وأنني كنت قتلته سرياً أو خلّيته نجياً ، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً . وأما اللاتي تركتني ، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه فإنه تحبّل إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه . ووددت أني حين سیرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذني القصّة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً . ووددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يديّ كليهما في سبيل الله - ومد يديه - ووددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد . ووددت أني كنت سألته هل للانصار في هذا الأمر نصيب . ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن في نفسي منها شيئاً .

ونظرت عائشة إلى أبيها العظيم ، ثم رددت بصوت مسموع قول حاتم الطائي :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى  
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

# أبو بكر

## بقلم : أحمد عادل كمال

منه وأنت معه فكيف إذا خلا بهم ، وأنت لاق ربك فسألك عن رعيّتك . قال أبو بكر : أجلسوني . فأجلسوه . قال : « بالله تخوفوني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك .. أبلغ عني ما قلت لك من وراءك » . ثم اضطجع ، ودعا عثمان بن عفان فأملأه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلها فيها ، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، وإني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

ثم أمر بالكتاب فحتمه وأشرف على الناس وامراته أسماء بنت عميس ممسكة موشومة اليدين ، فأعلن عليهم استخلافه عمر بن الخطاب ، فقبلوه ورضوا به وبأبعوه وقالوا سمعنا وأطعنا . ثم دعا أبو بكر عمر على انفراد فأوصاه ، حتى إذا خرج من عنده رفع أبو بكر يديه مَدّاً وقال : « اللهم أني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم . وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم وإليهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيّته » .



## ردود الفعل

فلما غابت شمس ذلك اليوم توفي أبو بكر عشاء عن ثلاث وستين ، وكان آخر ما تكلم به «ربي توفي مسلماً والحقني بالصالحين» .

وجاء علي بن أبي طالب على عجل فوقف بيباه ييكي ، ثم قال : «رحمك الله يا أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم يقيناً وأعظمهم غنى وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحد بهم على الإسلام ، وأحاهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله ﷺ وفضلاً وهدياً وسمتاً ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً . صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقتت معه حين قعدوا ، وسمك الله في كتابه صديقاً فقال : «والذي جاء بالصدق وصدق به» يريد محمداً ويريدك . كنت والله للإسلام حصناً وللكافرين ناكباً . لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنك قوياً في دينك ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلاً في الأرض ، كبيراً عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوي ، والقوي عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوي وتأخذه للضعيف ، فلا حرماناً الله أجرك ولا أضلنا بعدك» . وقال عمر : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهن نصباً ، فهيهات من شق غبارك ، فكيف للحاق بك .

وبكت النساء وعلا نواحين ، فقال عمر : قال رسول الله ﷺ إن الميت يعذب ببكاء الحي . ونهاهن عن النوح فأبين . فقال عمر هشام بن الوليد أخى خالد بن الوليد : قم فأخرج النساء . فقالت عائشة : أخرج عليك؟! فقال عمر : ادخل فقد أذنت لك . فقالت عائشة : أخرجي أنت يا بني؟ قال : أما لك فقد أذنت . فجعل هشام يخرجهن امرأة امرأة حتى خرجت أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر فضرها عمر بالدرة ضربات فتفرقت النائحات .

وحمل أبو بكر بعد غسله إلى مسجد الرسول على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ فوضع بين القبر والمنبر حيث صلى عليه عمر ، وحفر له لحد ألصقوه بلحد رسول الله ﷺ وجعلوا رأسه عند كتفي الرسول . ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وأراد عبد الله أن يدخل قبره فقال له عمر : كفيت . وكان دفنه في ذات الليلة التي توفي فيها رضي الله عنه .

وبعثت عائشة «تركة» أبي بكر التي أمرها بها إلى عمر ، فبكى حتى صارت دموعه تتساقط على الأرض ، وقال : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، يا غلام ارفعهن . قال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله ، تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً ويعبراً ناضحاً وجرداً قطيفة ثمن خمسة الدراهم ! قال عمر : فما تأمر؟ قال : تردهن على عياله . قال عمر : لا والذي بعث محمداً بالحق ، لا يكون هذا في ولايتي أبداً ، ولا يخرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله ، الموت أقرب من ذلك .

فنظر إليها أبو بكر كالغضبان ، وقال : ليس كذاك يا أم المؤمنين ، ولكن وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ويبدو أنه حين ذكرت عائشة الثراء تداعت الأفكار فتمثل أبو بكر بقول عبيدة بن الأبرص :

وكل ذي إبل موروث

وكل ذي سلب مسلوب

وكل ذي غيبة يثوب

وغائب الموت لا يثوب

ثم قال : يا عائشة إذا أنا مت فاغسلي أخلاقي (ثيابي القديمة البالية) فاجعليني أكفاني . قالت : يا أبتاه قد رزق الله وأحسن ، نكفئك في جديد . قال : إن الحي هو أحوج - بصون نفسه ويقتنعها - من الميت ، إنما يصير إلى الصديد وإلى البلى . والتفت رضي الله عنه إلى امرأته أسماء بنت عميس وقال لها : غسليني . قالت : لا أطيق ذلك . قال : يعنك عبد الرحمن بن أبي بكر ، يصب الماء . وعاد يقول لعائشة : إني كنت قد نخلتلك (وهبتك) حائطاً (يستناناً) وإن في نفسي منه شيئاً فرديه إلى الميراث . فردته عائشة . وقال : أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح ويجرد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابري منهن . ذلك أن أبا بكر كان تاجراً فلما استخلف وتفرغ لشؤون المسلمين فرضوا له بعد ستة أشهر من ولايته ستة آلاف درهم في كل عام ، فأراد أبو بكر أن يرد ما كان عنده . قال : انظروا كم أنفقت منذ ولّيت من بيت المال فاقضوه عني ، فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم في ولايته .

ودخل عبد الرحمن بن حنبل المدينة ، فتوجه إلى بيت أبي بكر حيث سلمه رسالة خالد وهو بأخر رمق فبشر بها وسر كثيراً بنصر المسلمين في أجنادين .

وجاء المثنى بن حارثة من العراق ، وقد صادف قدومه صحوة الموت ، فجلس عند أبي بكر ، وأفضى إليه بما جاء من أجله من أمر العراق وحشد المسلمين للفتوح . قال أبو بكر : «عليّ بعمر» . وجاء عمر ، فقال أبو بكر : «اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به . إني لأرجو أن أموت من يومي هذا - وكان ذلك يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة ١٣ هـ (٢٢ أغسطس / آب ٦٣٤ م) ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، وقد رأيتهن مؤتوفى رسول الله ﷺ وما صنعت ولم يصب الخلق بمثله . وبالله لو أني أنبي عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا فاضطربت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولادة أمره وحده ، وأهل الضراوة بهم والجرأة عليهم» .





”وَأَلْقَيْنَا فِيهَا  
رَوَاسِي  
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
مَّوْزُونًا“  
(قَدْآن كَرِيم)

# كوارث

## هل تأمل كوارثه؟

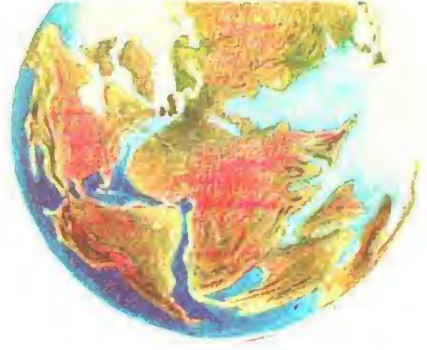
بقلم: د. عيد المحسن صالح

الخلق كله .. من أوله إلى آخره ، ومن بدايته حتى نهايته ، يسير بموازن حساسة ، لا خلل فيها ولا فوضى .. صحيح أن كفتي الميزان ، قد تتأرجحان قليلاً ذات اليمين ، وذات الشمال ، لكنها لا بد إلى التوازن عائدتان .. حقيقة يعيش فيها العلماء ليل نهار ، فكل شيء قد جاء بحساب ومقدار !

والغلاف الهوائي قد جاء بدوره موزوناً ومتوازناً ، لكن يبدو أن الإنسان قد بدأ يتلاعب بالميزان ، دون أن يدري ، أو يدري ، لسنا ندري ، ولكن الذي ندره حقاً أن نسب الغازات فيه قد بدأت تختل ، وقد يؤدي ذلك - على المدى الطويل - إلى قلب المواضع على رأس الإنسان ، وقد يدفع الثمن غالياً ، ما لم يعد إلى رشده ، ويحاول أن يصلح ما أفسده في موازين الخلق التي جاءت متعادلة من لدن حكيم خبير .

التحليلات الكثيرة ، التي أجراها العلماء لسنين طويلة ، على نسب الغازات التي جاء بها غلافنا الهوائي ، تشير إلى أن نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون قد بدأت تسجل زيادات مضطربة منذ بداية هذا القرن .. صحيح أن الزيادة طفيفة ، وقد لا تتعدى جزء في المليون كل عام ، لكن القليل مع القليل كثير ، ولو استمرت هذه الزيادة بمعدلاتها الحالي لعشرات أخرى من السنين ، فقد يؤدي ذلك إلى كوارث ليست في





على أساس عريض . فتحها دخل ومنصرف .. بمعنى أن غاز الأوكسجين مثلاً عامل أساسي في عمليات الاحتراق والتنفس التي تتم في النيران والآلات والأحياء جميعها ، ولولاه خمدت جميع الأنفاس في الأحياء والنيران ، لأنه هو الذي يوجج جذوة هذه أو تلك .

وطبيعي أن استهلاك الأوكسجين في عمليات التنفس والاحتراق . يؤدي دائماً إلى إطلاق غاز ثاني أوكسيد الكربون .. فتحن مثلاً نستشق الهواء بأوكسجينه ، ونستهلك جزءاً من هذا الأوكسجين ، ثم نزفره محملاً بنسبة أعلى من غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وكذلك الحال مع النيران والآلات وكل صور الأحياء .

ولا شك أن هذه العملية تستهلك سنوياً مئات الملايين من أطنان الأوكسجين ، ومع ذلك لم ينفد هذا الغاز ولم ينقص رغم مرور مئات الملايين من السنين ، كذلك لم تزد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الغلاف الهوائي حتى وقت قريب ، رغم أنه يستقبل بدوره سنوياً مئات الملايين من الأطنان ، ومئات الملايين من الأعوام .. أي أن الدخول والمنصرف بين هذين الغازين متساو تماماً بدقة ليس لها مثيل !

### سوق تجارية هائلة

إذن .. كيف تدور هذه الدورة بكل ذلك التوازن العظيم ؟ .. ومن أين يتجدد «رصيد» الأوكسجين في «بنك» الهواء ؟ .. ثم كيف يحتفي غاز ثاني أوكسيد الكربون لتبقى نسبته دائماً ثابتة في غلافنا دون زيادة أو نقصان ؟

إن الفضل في هذا يرجع في المقام الأول لمملكة النبات .. فهي بمثابة السوق التجارية الضخمة التي يحدث فيها تبادل الصفقات .. أي أن كل شيء هنا قد جاء مضبوطاً ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ !

ولكي نوضح ضخامة هذه الصفقات ، كان لزاماً علينا أن نقدمها مدعمة بالأرقام ، فجميع صور الكائنات النباتية المنظورة وغير المنظورة ( ونقصد بغير المنظورة هنا النباتات الأولية الدقيقة كالطحالب التي تعيش بأعداد ضخمة جداً في البحار والمحيطات ) تقوم بعملية أساسية وحيوية فيها استمرار الحياة على هذا الكوكب ، فهي التي تستغل الطاقة الشمسية في عملية التمثيل الضوئي ، لتبني بها مادتها العضوية التي نراها في أخشاب وحبوب وثمرات وما شابه ذلك .. وفي هذه العملية تأخذ غاز ثاني أوكسيد الكربون كخامة أولية بسيطة ، وتربطه مع الماء في عمليات كيميائية معقدة وسريعة ، مستغلة في هذا الطاقة الضوئية بمساعدة مادة الكلوروفيل التي تعطي النباتات لونها الأخضر المميز .

ونحن دائماً نعبر عن تلك العملية بمعادلة نكتبها ببساطة هكذا :

ثاني أوكسيد الكربون + ماء = مادة عضوية + أوكسجين

وهذه المعادلة على أية حال تعني التوازن ، أي أن يساها يساوي بينها ، لكننا وضعنا سهمين متعاكسين ليشيراً إلى المصروف والمدخر ..

الحسبان ، وهذا ، فإن العلماء العالمين بيوطن الأمور ، يدقون أجراس الخطر من الآن !

ونسبة الزيادة سنوياً بمعدل واحد في المليون في غاز ثاني أوكسيد الكربون ، قد تبدو شيئاً تافهاً ، لكنك لو حسبتها بالنسبة للغلاف الهوائي ككل ، لتبين لك أن هذه النسبة الطفيفة تعني بالأرقام ٨,٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن زيادة في كل عام .. صحيح أن هذا الرقم ضخّم أمام العين ، وخفيف للعقل ، لكنه صغير بالنسبة لما يحويه الغلاف الهوائي من هذا الغاز .. فكتلة غاز ثاني أوكسيد الكربون فيه تصل إلى ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن ، وهذه تمثل بدورها ٠,٠٣ ٪ من حجم الغلاف الكلي لجو الأرض !

### دورة متوازنة

لكن .. ما مصدر هذه الزيادة ؟ .. ولماذا يخشاها العلماء ؟

المصادر كثيرة ومتنوعة ، لكن قبل أن نتعرض لها بالشرح والتعليل ، كان من الأوفق هنا أن نشير إلى دورة الغازات في الهواء ، لنعرف كيف دبرت الأمور فيها تديراً بديعاً ، لتستمر الحياة على الأرض متوازنة ، كما قدر لها الخالق من قديم الأزل .

يشير بعض العلماء إلى أن الغلاف الهوائي قد ظل ثابتاً ومتوازناً بغازاته لأكثر من ألفي مليون عام ، بمعنى أن نسب غازاته الأساسية لم يطرأ عليها تغير يذكر حتى وقت قريب ، والغازات الأساسية التي تؤثر في كل صور الحياة الأرضية من إنسان وحيوان ونبات وميكروبات تتمثل لنا في ثلاثة : غاز النيتروجين ، وهو أكثرها شيوعاً ، ويحتل ٧٨,٠٨٤ ٪ من حجم الهواء ، ثم يليه الأوكسجين بنسبة ٢٠,٩٤٦ ٪ ، ثم غاز ثاني أوكسيد الكربون بنسبة ٠,٠٣٣ ٪ ، والباقي ( أي حوالي ١ ٪ ) يمثل غازات خاملة ومركبات عضوية لا تعيننا هنا الآن .

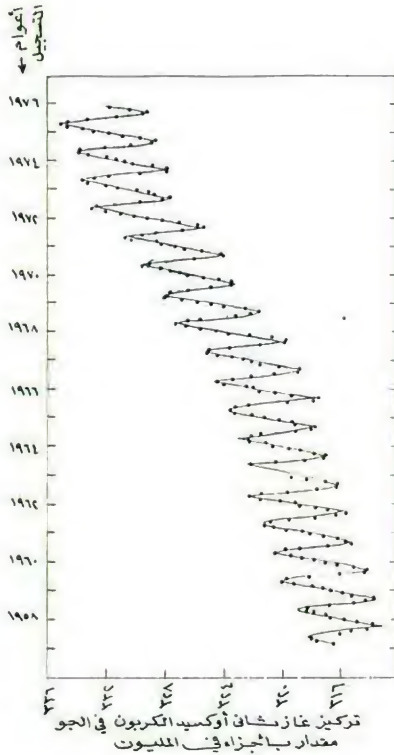
هذا ويقدر بعض العلماء أن كتلة الهواء التي تحيط بالأرض تصل إلى حوالي ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن ( أي ٥ مليون بليون ) .. وهي دائماً في دورة مستمرة لا تتوقف أبداً ، والدورة لا بد لها من ميزانية وتوازن ، وهي أشبه بحساب البنوك ، أو ربما أدق ، لأنها تقوم





★ تنطلق نواتج الاحتراق ليل تمار من المصانع والآلات والسيارات التي نستخدم الوقود الحفري بشراهة بالغة ، مما ترتب عليه زيادة غاز ثاني أكسيد الكربون عن معدلاته الموزونة ، ومن هنا قد يرتفع معدل درجة حرارة الكوكب عن حدوده ، فيغرق معظم الأرض بطوفان قد يرتفع إلى ٤٠٠ قدم عن معدلاته الحالية في البحار ★

★ بدأت تحليل غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو تسجل ارتفاعاً مضطرباً ، فارتفعت في عام ١٩٥٨ م ، من ٣١٦ جزء في المليون إلى ٣٣٦ جزء في المليون في عام ١٩٧٦ م .. ويمكن من هذا الدليل نوع ما ستكون عليه الزيادة في الأجيال القادمة ، مما ينسرُ بقدم كارتة لا يعرف أحد مداها ★



أو ذاك ، فسوقنا التجارية الضخمة تأخذ سنوياً حوالي ٥٥٠ ألف مليون طن من غاز ثاني أكسيد الكربون ، وتربطه أو تثبته مع ٤٥٠ ألف مليون طن من الماء ، لتنتج مادة عضوية حية تقدر بحوالي ٣٧٥ ألف مليون طن ، وينطلق معها حوالي ٤٠٠ ألف مليون طن من الأوكسيجين .. وتكرر العملية سنة من وراء سنة ، وللملايين السنوات القادمة أو الماضية ، فلا يزيد هذا الغاز عن معدلاته في الهواء ، ولا ينقص ذاك .. وكل شيء بحسب ومقدار . » **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** .

### الإنسان من وراء الخلل

لقد ظلت عمليات المستهلك والمُدخِر متوازنة بقدر معلوم ، لكن الإنسان الحالي بدأ يتلاعب بهذه الموازين ، مما أدى إلى زيادة في معدلات غاز ثاني أكسيد الكربون في الهواء .. وهذا أمر لا يحتاج إلى مناقشة أو جدال ، فثبات المحطات المختصة برصد الأحوال الجوية والمنتشرة الآن في

فلو أننا أحرقنا المادة العضوية ، فإن احتراقها لا يتم إلا في وجود الأوكسيجين ، وفي هذه الحالة تعطى غاز ثاني أكسيد كربون وماء (والتنفس يؤدي إلى ذلك أيضاً) ، وهي التي يشير إليها السهم المتجه يميناً .. لكن النبات الأخضر يعود ليأخذ غاز ثاني أكسيد الكربون ويربطه مع الماء ، ليدخره كمادة عضوية مع إطلاق الأوكسيجين ، وهذا ما يشير إليه السهم المتجه يساراً .. أي أننا لو استهلكنا هذا ، نتج ذاك ، أو لو

ادخرنا هذا ، لصرفنا ذاك .. هذه تساوي تلك تماماً .. فالأوكسيجين المستهلك في عمليات التنفس والاحتراق يتجدد دائماً من خلال النبات ، وثاني أكسيد الكربون الناتج من هذه العملية ، يعود مرة أخرى إلى النبات ليدخره في مادة عضوية ، ويطلق معها الأوكسيجين ، وهكذا تدور الدورة متوازنة منذ مئات الملايين من السنين .

لكن هذه العملية البسيطة في فحواها ، العميقة في مغزائها ، والعظيمة في معناها ، تتعامل سنوياً مع مئات الملايين من أطنان هذا الغاز



ما السبب إذن في هذا الارتفاع؟

ومنها أيضاً اختفاء مساحات شاسعة من الغابات ذات الأشجار الضخمة والكثيفة ، نتيجة لحرق المدينة ، أو تحويلها إلى أراض زراعية ، أو قطع الأشجار واستخدامها في صناعة الورق أو الأثاث أو غير ذلك من صناعات كثيرة ، ولقد كانت تلك الغابات الضخمة تستهلك كميات هائلة من هذا الغاز ، وطبيعي أن الأرض الزراعية التي حلت محل الغابات ليست كفوفاً في تخليص الجو من غاز ثاني أوكسيد الكربون كما تفعل الأشجار الكثيفة الضخمة .

أماكن متفرقة من هذا الكوكب ، تقوم بتحليل الغازات ليل نهار ، منها ما يختص بتلوث الهواء ، ومنها ما يعاير نسبته بالزيادة أو النقصان ، وكلها تشير إلى تلوث الجو بوجه عام ، وزيادة نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون بوجه خاص . . وأشهر هذه المحطات على الإطلاق تلك المقامة في موناووا بجزيرة هاواي ، ويشرف عليها الدكتور تشارلز كيلنج من معهد سكريبز لعلوم البحار ، ولقد ظل الرجل يقيس ويسجل نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الهواء بداية من عام ١٩٥٨ م حتى الآن ، وسيستمر التسجيل دوماً بطبيعة الحال .

وأنت تستطيع أن ترى نتيجة هذا التسجيل في الرسم البياني المنشور هنا ، فتلاحظ الزيادة المضطردة بمرور الأعوام . . صحيح أنها تنقص وتزيد بين فصول العام الواحد ، ولهذا ترى الرسم متعرجاً بين زيادة ونقصان . . فنسبة الغاز تزيد بداية من الخريف حتى نهاية الشتاء ، ثم تنقص في الربيع والصيف ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، ففي الربيع والصيف تورق الأشجار ، وتكسي الطبيعة بالخضرة ، ويدب فيها النشاط ، وهي هذا تستهلك من الغاز نصيباً محموداً ، لتبني به مادتها العضوية ، ومن أجل ذلك تنقص نسبته ، والعكس يحدث في الخريف والشتاء ، لكن المحصلة النهائية لكل ذلك زيادة مضطردة لا تكاد تتوقف ، ف منذ عام ١٩٥٨ م حتى الآن - أي في غضون عشرين عاماً - تراوحت هذه الزيادة بين ٥ - ٦ ٪ ، ولا شك أنها ستتضاعف في الأجيال

لكن .. لماذا يتخوف العلماء من زيادة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الغلاف الهوائي ؟



الهواء تختفي في مكان ما .. ربما في البحار ، أو ربما في المادة العضوية ..  
أو .. الخ ، لكن النتيجة النهائية أن الغلاف يسجل دائماً زيادة كل عام !

### الطوفان البطيء

لكن الخطر الأكبر ليس مقصوراً على ارتفاع حرارة الجو ،  
أو تحويل الأرض المزروعة إلى أخرى قاحلة ، أو تصيب مزيد  
من العرق من أجسامنا ، خاصة عند الذين يعيشون في  
المناطق الحارة .. فكل هذا قد يهون بجوار كارثة الطوفان  
التي قد تغرق مساحات كبيرة من القارات .

فارفع درجة الحرارة درجتين أو ثلاثة عن معدنها الطبيعي ، سوف  
يؤثر - بلا شك - على المساحات الهائلة من جبال الثلوج الضخمة التي  
تغطي القطبين ، فيؤدي ذلك إلى ذوبانها وتحويلها إلى كميات رهيبية من  
الماء التي سيكون مشاها بدون جدال في البحار والمحيطات ، وهذه سترتفع  
مستواها عن معدنها الحالي ارتفاعاً ينذر بأخطار محققة .

ففي بعض الآراء التي قدمها العلماء - وعلى حسب تقديرات  
وحسابات عويصة - ما يشير إلى أنه بعد خمسين عاماً أو أكثر من الآن  
سوف يرتفع سطح البحار والمحيطات إلى حوالي ٤٠٠ قدم !

ولنفرض هنا أن هذا الاستنتاج مبالغ فيه بعض الشيء ، ولنكن  
حريصين في هذا التقدير ، ونفترض أن الماء في البحار سيرتفع بحوالي  
٢٥٪ من هذا التقدير .. أي مائة قدم فقط (أي حوالي ٣٠ متراً) ،  
عندئذ سيحل الطوفان بكثير من القارات ، وستغرق معظم المدن  
والعواصم الساحلية .. ستغرق الإسكندرية والدلتا والقاهرة  
وأجزاء كثيرة من صعيد مصر ، وستعم المياه لنسند وجدة  
والبصرة وأجزاء من أرض الخليج العربي .. وستغرق باريس  
ونيو يورك وروما ، وتختفي جميعها تحت أمواج البحر ... الخ ، وسوف  
يهجر الناس معظم أرضهم ومدنهم ، ويلجأون إلى الجبال والمرتفعات هرباً  
من الفيضان المنتظر ، والذي نرجوه أن يرجع الإنسان إلى رشده ، وتبصره  
بحساسية الموازين البديعة التي تلاعب بها ، فأخل ببعض أحكامها عن  
عمد أو جهل ، لسنا ندرى ، لكن الذي ندرى أن كل شيء قد جاء  
بحكمة ، وسار بقدر ، واتبع شرائع وسناً لا خلل فيها ولا فوضى ، لكن  
ما أكثر الفوضى التي يعيش فيها أصحاب العقول !

### والحل ؟

الحل أن نتدبر الأمر ، فلا نزيد الخلل خلاً على خلل ، أي أن  
ندرك حساسية موازين الخلق التي أرسى الله قواعدها من قديم الأزل ،  
والتي عبر عنها في كتابه أوجز تعبير ﴿ والأرض مددناها ، وألقينا  
فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ .. فإذا أخل  
الإنسان بأي حكم من أحكامها ، فلا يلومن إلا نفسه ، وعندئذ لا بد أن  
يدفع الثمن غالياً .. ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ،  
وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً ﴾ !

لكي نجيب على هذا السؤال الهام ، كان لا بد أن نتعرض أولاً  
لطبيعة ذلك الغاز بالنسبة للأشعة الحرارية القادمة من الشمس ، أو  
المنطلقة من الأرض نتيجة لعمليات الاحتراق الكثيرة والمتنوعة التي لا  
تتوقف أبداً .

فن طبيعة هذا الغاز أنه يستطيع أن يمر بسهولة الأشعة تحت  
الحمراء (أو الأشعة الحرارية) القادمة من الشمس إلى كوكب الأرض ،  
إذ لو لم تصل هذه الأشعة ، لتحول كوكبنا إلى كتلة من الجليد ، وعندئذ  
لن تنشأ عليه صور الحياة المعروفة لنا جميعاً .

لكن الأرض بدورها تمتص جزء من الحرارة ، وتعكس جزء آخر  
أطول موجة ، فيرتد عائداً إلى الفضاء .. وإلى هنا تحدث موازنة حرارية  
بين ما يأتي وما يرتد ، ليبقى الجو محتملاً بصورته المعروفة لنا جميعاً ، ولكي  
يحدث هذا التوازن الحساس ، كان لا بد من بقاء نسبة غاز ثاني أكسيد  
الكربون ثابتة دون زيادة أو نقصان .. وهو بالفعل قد جاء بالحق  
والميزان ، لكن الإنسان - كما رأينا - قد تلاعب بهذا الميزان ، فالت كفة  
غاز ثاني أكسيد الكربون ، أو ثقلت بما حملت !

والنتيجة الحتمية لهذه الزيادة ، أن ترتفع درجة الحرارة .. صحيح  
أن ذلك كله غير محسوس لنا في الوقت الحاضر ، لكن اعط هذه العملية  
عمرًا ، تعطيك نتيجة مفزعة وخطيرة ، فزيادة هذا الغاز عن  
حدوده المقدرة من قديم الأزل سوف «يكتم» الحرارة في جو  
الأرض ، لأنه سيتدخل إلى حد ما في حريتها نحو الانطلاق إلى الفضاء ،  
أي إنه سيحتفظ بها كما تحتفظ بها الصوتيات الزجاجية التي تزرع فيها  
النباتات التي لا تتحمل البرودة ، أو هي كما يعبر عنها العلماء «أثر  
الصوبة الزجاجية» Greenhouse effect .. أي التي تنفذ فيها  
الحرارة إلى الداخل ، ولا تنطلق إلى الخارج بنفس المقدار .. وكلما زاد  
تركيز الغاز ، زادت تبعاً لذلك درجات الحرارة ، وقد يحل الجفاف بمناطق  
كثيرة من العالم ، وهذا بدوره سيؤدي إلى مزيد من الأرض القاحلة ، بعد  
أن كانت تزدهر بالنباتات ، وتجدد بالخيرات ، وهذه - بلا شك - نتيجة  
مؤسفة لعالم يتضاعف عدده كل جيل أو جيلين !

والعلماء هنا مختلفون في تقديراتهم في نسب زيادة الغاز وما يتبعه من  
زيادة في الحرارة ، فمنهم من يشير إلى أن أنشطة المدنية الحديثة سوف  
تضاعف كل عشرة أو عشرين عاماً ، وأن تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون  
سوف يتضاعف في الهواء تبعاً لذلك ، فينعكس هذا على ارتفاع في درجة  
حرارة الكوكب . وإلى هنا أيضاً تختلف الآراء ، فمنهم من يرى أن حرارة  
الأرض سوف ترتفع بمعدل درجتين كل مائة عام ، ومنهم من يقول إنه  
بحلول عام ٢٠٢٠م سوف يصل الارتفاع في حدود ٤ - ٥ درجات  
مئوية ، وهذا الاختلاف راجع إلى عدم تفهم العلماء هذه العملية المعقدة  
التي تتدخل فيها عوامل كثيرة ، فتجعل من الصعب التوقع بنتيجة  
موحدة .. أضف إلى ذلك أننا لا زلنا حديثي عهد بفهم أسرار الطبيعة  
فهماً دقيقاً ، منها مثلاً أن حوالي ٤٠٪ من كمية الغاز التي تنطلق إلى



# الجال



## قرويات

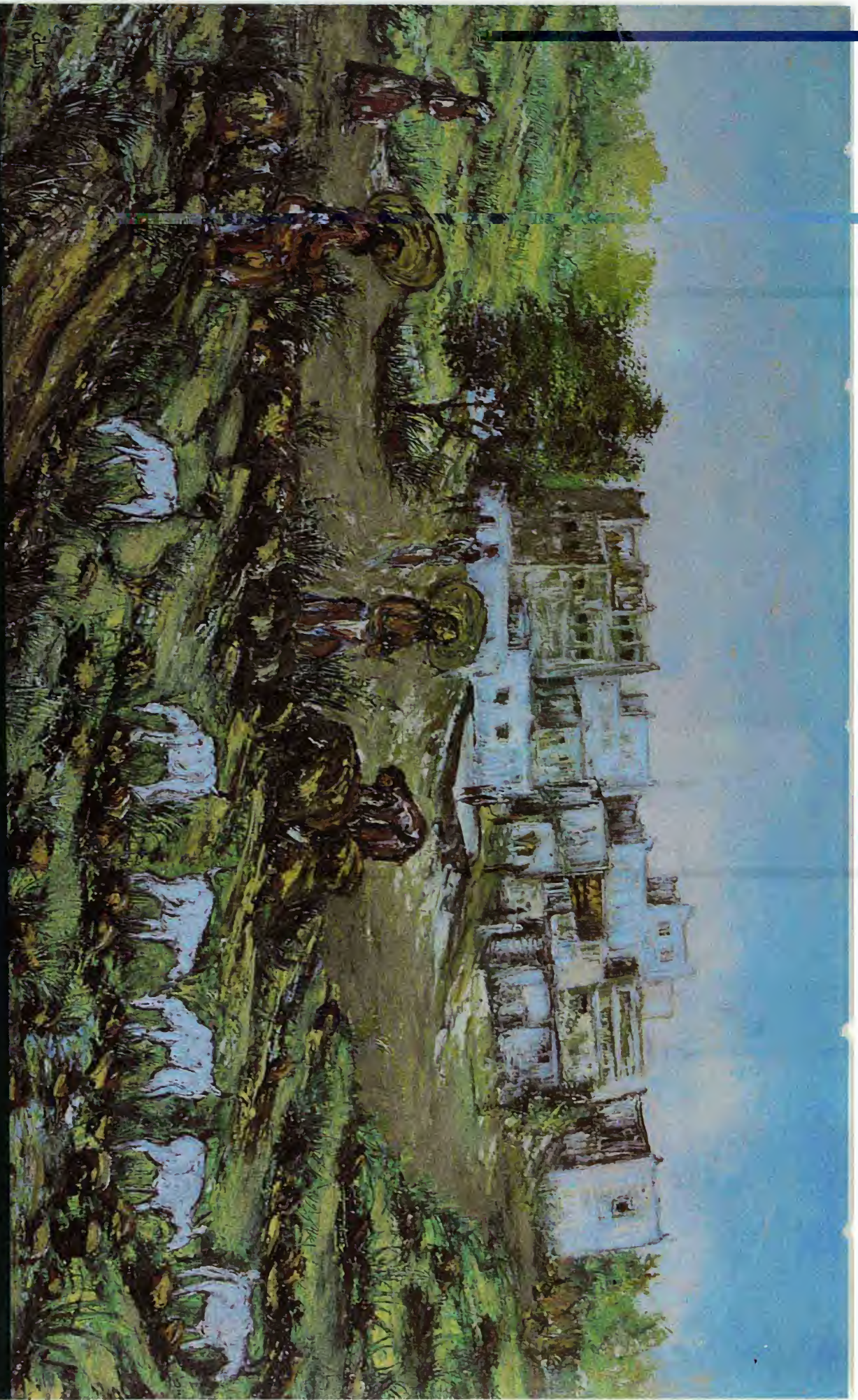
- لوحات هذا الفنان .. جميعها .. ترغمك أن تقف أمامها طويلاً مندهشاً !!
- ووجه الغرابية في ذلك .. هو سيطرة اللون الأخضر .. وصفاء السماء .. وجمال الألوان .. وحركة القرويات ومشاركتهن للاعمال ..
- اللوحة مستمدة من بيئة عسير حيث أول لقاء بين الفنان الأول والبيئة الأولى ..
- وقد أضاف الفنان لونا جديداً .. إلى طبيعة البلاد المعهودة ..
- طبيعة منطقة «عسير» كان لها التأثير الكبير والمعلم الأول لإخراج لوحاته ..
- ارتفاع المنطقة والمطر طول العام واعتماد الجو .. كل هذه الصفات الطبيعية هي الملهم للفنان .. لكي يستمد منها موضوعاته ..
- وفي ظل الطبيعة نما وترعرع الفنان ..
- حاول الفنان في لوحته هذه «قرويات» أن يعبر عن جبال منطقة عسير .. وهي تتحرك في كل مكان .. على الجبال .. في الوديان .. على المنازل ..
- وقد سجل الفنان حركة القرويات ونشاطهن المحفوظ ومشاركتهن للرجل في أعماله ..
- عبر الفنان عن الطبيعة باللون الأخضر تميزاً رائعاً عن الطبيعة الخضراء طول العام .. وزرقة السماء ونقاءها .. بعد أن غسلها الأمطار ..



عبدالله المشايبي

- من مواليد عام ١٣٨٢ هـ مجزرة .. أبها ..
- منطقة عسير - المملكة العربية السعودية ..
- خريج معهد التربية الفنية للمعلمين بالرياض عام ١٣٩٤ هـ ..
- في بداية حياته الفنية شارك في جميع معارض منطقة عسير ..
- أقام أول معرض شخصي له بنادي الودية بأبها عام ١٣٩٩ هـ ..
- شارك في جميع معارض الرئاسة العامة لرعاية الشباب ..
- مثل المملكة في معرض الصداقة بالغرب ..
- مثل المملكة في معرض مهرجان الشباب العربي بالعراق ..
- حصل على العديد من جوائز الاقتناء وشهادات التقدير ..
- شارك في معرض «ثلاثي شباب أبها» بالرياض عام ١٣٩٩ هـ ..
- يعمل حالياً مساعد موجه تربية فنية في مدينة أبها ..





میلان





# مفروشات العامر

الرياض - ص.ب ٢٧٥٥ - ت. ٢٠١٧٤٦ - بريقيا: كابت - شارع السنين - ت. ٦٠١٤٨ / ٤٧٨٠٦٨٧ - شارع الوشم - ت. ٣٠٢٥٣  
 جدة - شارع الأمير فهد (السين) - ت. ٥٠٨١٤ - المدينة المنورة - شارع النخلة - ت. ٢٣٣٥٠ / ٢١٧١٤ - فرع تحت الإفشاء (نقصيم)



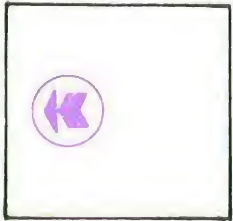


ذبابة

# التسي تسي

هل يستطيع الإنسان التغلب عليها ؟

بقلم : د. احمد محمد غندور



أثارت ذبابة التسي تسي اهتمام العالم نتيجة للأمراض التي تنقلها إلى الإنسان والحيوان في إفريقيا ، فهي تسبب للإنسان مرض النوم ، وتصيب الحيوان بمرض الناقانا .. وتوجد ذبابة التسي تسي في إفريقيا جنوب الصحراء في مساحة ضخمة قدرت بحوالي ثلاثة عشر مليون كيلومتر مربع ، أي أكثر من نصف الأراضي الصالحة لرعي الحيوانات .. فما هي قصة هذه الذبابة والأمراض التي تنقلها وطرق مقاومتها ؟



## طبيعة الذبابة

لا توجد الذبابة خارج إفريقيا . ولكن يبدو أنه في حوالي السنين الأولى للقرن العشرين ، كانت توجد مجموعات بسيطة في الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة العربية ، ولكن انقرضت الآن من هناك . ذبابة النسي نسي تشبه الذبابة المنزلية ، إلا أنها أكبر قليلاً ، ولونها يميل إلى البني الداكن ، ولها جزء أمامي بارز من الفم تمتص به الغذاء . . . وهي تظهر أثناء النهار ، وتختفي في المساء في الأحجار والأشجار . يوجد منها حوالي ثلاثون نوعاً ، منها ما يعيش بالقرب من مصادر المياه كشواطئ الأنهار والبحيرات ، أو تجمعات المياه الأخرى . . . ومنها ما يعيش في داخل الغابات والأحراج . . . وتفضل الذبابة العيش في الأماكن الظليلة الجافة . .

وتختلف ذبابة النسي نسي عن باقي الذباب في طريقة تولدها ، إذ إن الأنثى لا تضع بيضاً ، ولكن تفقس البيضة داخل الرحم في الأنثى حيث تتغذى اليرقة على غدد اللبن الموجودة على جدار الرحم . . . تلد الأنثى يرقة واحدة بعد كل ١٠-١٢ يوماً بعد تلقيحها بالذكر ، وفي العادة لا يتم التلقيح إلا مرة واحدة طوال عمر الأنثى ، وتحمل الأنثى خلايا منوية كافية من هذا التلقيح الوحيد لخصوبتها طوال عمرها الذي يبلغ في المتوسط اثنان إلى ثلاثة أشهر ، ولا يتعدى السنة ، وبعد ولادة اليرقة مباشرة تخفي نفسها تحت سطح التربة أو أوراق الشجر الجافة ، حيث تتغير إلى عذراء ، أي الشرقة ، ثم الذبابة الكاملة النمو بعد حوالي سبعة عشر يوماً .

## خطورة الذبابة

يمكن الخطر في أنها تتغذى على دم الإنسان والحيوان ، وتموت جوعاً لو حرمت من الدم لمدة عشرة إلى ثلاثة عشر يوماً . عند امتصاص دم الإنسان أو الحيوان ، تنقل الذبابة إليها طفيلي التريبانوسوما ، وهو حيوان أولي يبلغ طوله حوالي (١/١٠٠٠) بوصة ، ويعيش الطور المعدي منه داخل الغدد اللعابية للذبابة عند نقل هذا الطفيلي إلى الإنسان أو الحيوان ، فإنه يسبح في الدم متغذياً عليه ويفرز منه إفرازات سامة .

يمر الإنسان بعدة مراحل عند إصابته بالمرض في البداية يصاب بالحمى والصداع لعدة أيام يليها ضعف عام وتضخم في الغدد الليمفاوية . . . وأخطر مرحلة في المرض عندما يصل الطفيلي مع مجرى الدم إلى خلايا المخ والجهاز العصبي ، فعندها يصاب الإنسان بالتشنجات العصبية ، عدم الرغبة في الأكل والجنون . وفي النهاية النوم المستمر الذي يقود إلى الموت . . . أما بالنسبة للحيوان (مرض الناقانا) ، فإنه يصاب بالضعف الشديد ، والهلزال ، وعدم الرغبة في الطعام ، ثم الموت ، والحيوانات المعرضة للإصابة منها الأبقار ، الجمال وعدد كبير من الحيوانات البرية .

يوجد نوعان من مرض النوم الإفريقي عند الإنسان النوع الجامبي ، وينقله الذباب ساكن المياه ، وهو يصيب الإنسان فقط ، إذ إن الذبابة لا



★ نسي بري . . . إحدى العوائل الحارسة الطفيلي مرض النوم الإفريقي ★

تتغذى إلا على دم الإنسان ويحتاج إلى عدة سنوات حتى تصل الإصابة في مرحلتها الأخيرة . . . هذا النوع من المرض شائع أثناء موسم الجفاف حيث يتجمع الناس والذبابة بالقرب من مصادر المياه ، وعند حدوث الإصابة فإن المرض ينتشر بصورة وبائية كالنار في الهشيم ، ولقد قضي على الملايين في يوغندا في أواخر القرن التاسع عشر نسبة إلى هذا المرض .

أما النوع الآخر مرض النوم الإفريقي في الإنسان ، ويعرف بالنوع الروديسي وينقله الذباب ساكن الغابات فلا يصيب إلا الناس الذين يضطرون عملهم في المرور بالغابة كقناطعي الأخشاب والصيادين . . . لا ينتشر هذا المرض بطريقة وبائية ، لكنه مرض فتاك يصيب الإنسان بالموت بعد أربعة إلى ثمانية أشهر فقط . . . ويختلف هذا النوع عن النوع الجامبي إذ إن الذبابة ناقلة المرض تتغذى على الإنسان ، وأيضاً الحيوانات البرية كالظبيان والمستأنسة كالحزير والأبقار ، ويصيبها بنفس الطفيلي الذي يوجد في دم الإنسان ولكن لا يسبب لها أي ضرر إنما تكون كأوعية خاونة للطفيلي .

## مقاومة الذبابة

حاول الإنسان في البداية التخلص من الذباب بإجراء تغيير جذري





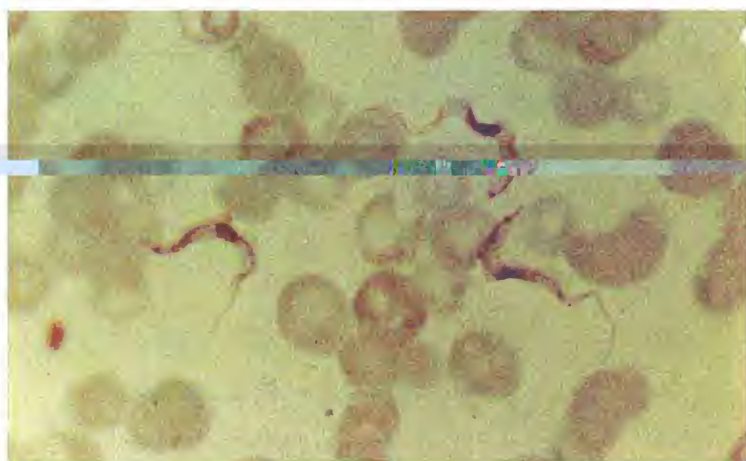
★ بركة وعذراء ذبابة التي تسي ★



★ ذبابة التي تسي أثناء امتصاصها لدم الإنسان ★



★ تمكن الإصابة بمرض النوم الإفريقي ★



★ مخبر التريبانوسوما الذي يعيش بين خلايا الدم ويسبب مرض النوم في الإنسان والثقلان في الخيول ★

وهناك طريقة أخرى تعتمد على تعريض الأنثى المخصبة لعدة عوامل كإيوائية تؤدي إلى إجهاض الأنثى . . ولا تزال التجارب جارية للتأكد من نجاح هذه الطرق في مقاومة ذباب التي تسي .

### مقاومة المرض

تم بإعطاء الأشخاص المهددين بالإصابة بعض المستحضرات الطبية (كالبناميدين) الذي يساعد في الإقلال من خطر انتقال العدوى ، والذي يجد من ازدياد إعداده الطفيلي في جسم الإنسان . . وهناك محاولات عديدة لاكتشاف مصل واقٍ ، لكن النجاح في هذا الاتجاه يبدو محدوداً ، وذلك لأن الطفيلي له مقدرة عجيبة على تفادي الأجسام المضادة له في جسم الإنسان . . فالطفيلي يغير سطح جسمه في فترة وجيزة حتى لا تميزه الأجسام المضادة في الإنسان .

قد تتيح بعض طرق المقاومة في التخلص من ذباب التي تسي ، وقد علق أحد علماء البيئة بأن ذلك قد يقلب كل الموازين في البيئة ويقود إلى الازدياد الرهيب في أعداد الحيوانات البرية والماشية التي ستتنافس على الطعام والماء .

في البيئة التي يعيش فيها ، وذلك بقتل الحيوانات البرية التي يتغذى عليها الذباب ، وأيضاً بقطع الأعشاب والأشجار على أو بين شواطئ الأنهار ، لإيجاد منطقة خالية من الظل ، حتى لا يستطيع الذباب أن يتعدها ، لأنه لا يستطيع أن يعيش في الأماكن المضيئة الخالية من الأشجار ، ولكن سبل المقاومة كانت مضيئة ولها آثار ضارة على البيئة الطبيعية .

وقد جرب الإنسان بعد تطوير الكيماويات المبيدة للحشرات بعض هذه الكيماويات ، ولكن لم يكن من السهل تطبيق هذه الطريقة على مجال واسع خوفاً من الآثار الضارة على الإنسان والحيوان . . ولكن في عام ١٩٧٤م بدأت تجربة حديثة في مقاومة الذباب تحت إشراف منظمة الأغذية الدولية وهيئة الصحة العالمية ، تعتمد على إنتاج ذكور معقمة (بواسطة تعريض اليرقات لأشعاع ذري أو مواد كيماوية معقمة) بكميات كبيرة في المعمل ، ثم إطلاقهم في المناطق التي توجد فيها كميات من الذباب العادي وعند تزاوج ذكر معقّم مع أنثى عادية فلا يتم التلقيح في الأنثى ، وبالتالي لا تلد أي يرقات . . ومن المحتمل أن تقود هذه التجربة بعد زمن طويل إلى نقص ملحوظ في أعداد ذباب التي تسي .



# العم

## ما هو ؟ أسبابه .. أنواعه

٢٠٪ . كما أن العقم ليس مسؤولية الزوجة وحدها - كما هو شائع في بعض المجتمعات - كثيراً ما عانت الزوجات من هذا الاعتقاد الخاطئ . فقد دلت الاحصائيات أن الزوج يكون مسؤولاً عن عدم الانجاب في حوالي ٤٠٪ من حالات العقم .

### أنسب فترات العمر للانجاب

القدرة على الانجاب تتأثر كثيراً بعمر الشخص ، كذلك تتأثر بعدد مرات الاتصال الجنسي والقدرة الجنسية . فقد وجد أن الانجاب لدى المرأة يكون في أعلى درجاته في سن الرابعة والعشرين ، ويتناقص قليلاً ما بين سن ٢٤ - ٣٠ ، وبعد سن الثلاثين تصبح قدرة الانجاب في تناقص كبير .

هذا وقد أُنحيت بعض السيدات إلى ما بعد الثالثة والخمسون من العمر ، كما أن فرص الحمل في سن المراهقة وإلى بلوغ الثامنة عشر من العمر أقل من نصف ما هي في سن الرابعة والعشرون .

وبالنسبة للرجل فقد وجد أن ذروة قدرة الانجاب لديه هي أيضاً ما بين سن ٢٤ - ٢٦ . وبعد ذلك تعتبر القدرة للانجاب متوسطة ، وتفاوتت حسب الأشخاص .

والجدير بالذكر أن القدرة على ( الجماع ) العلاقة الجنسية ليست دليلاً على القدرة على الانجاب فيمكن للرجل أن يبدو طبيعياً مكتمل الصحة ، ولكن لا تنتج الخصية لديه حيوانات منوية ، وبالتالي لا يمكنه الانجاب ، وتكون القدرة الجنسية جيدة وقوية وذلك بفعل الهرمونات التي تفرز من الخصية ، حيث إن افراز الهرمونات الجنسية ليس مرتبطاً بانتاج الحيوانات المنوية .

هذا ، وقد وجد أن عدد مرات الجماع الأسبوعي إذا تراوحت من ٤ - ٥ مرات أسبوعياً تكون مصحوبة بأعلى نسبة في الحمل .

### أسباب العقم

الأسباب المؤدية إلى عدم الانجاب كثيرة متعددة . وسوف نلقي نظرة

اصطلح طبيباً على أن العقم يعني عدم القدرة على الانجاب خلال فترة من الزواج ، وقدرت هذه الفترة بحوالي سنتين . أي بمعنى آخر يمكن للزوجين أن ينتظروا فرص الحمل قبل البدء في الفحوص والتحليل الطبية مدة تقدر بعامين . وفي رأيي أن هذه المدة - المصطلح عليها طبيباً - لا يجب أن تأخذ كقاعدة عامة . فإذا كان الزوجان قد بلغ أحدهما أو كلاهما الثلاثين من العمر أو أكثر فيجب أن يتقدما للاستشارة والفحص بعد فترة وجيزة من الزواج . والمقصود بالمدة الزمنية قبل الفحص ، أن يكون الزوجان معاً طوال تلك المدة . . فقد حدث أن شكا بعض الأزواج على أنه قد مضى على زواجهما أكثر من ثلاث سنوات بدون انجاب . وبالسؤال نجد أن الزوج قد سافر في بعثة للدراسة وترك زوجته مدة طويلة .

### أنواع العقم

يمكن تقسيم العقم إلى قسمين :

- (أولي) وهو عدم الانجاب أو الحمل مطلقاً .
- (ثانوي) تأخر الانجاب بعد حمل حدث من مدة ، مثال ذلك كأن يكون لدى الأسرة طفل واحد ولم ينجبا غيره .

### من المسؤول ؟

صدق الله القائل : ﴿ الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ، ويعمل من يشاء عقيماً ، إنه عليم قدير ﴾ .  
وأيضاً القائل : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ صدق الله العظيم .

هذا ، وقد دلت الاحصائيات على أن في أمريكا حوالي ١٥٪ من الأسر يشكون العقم ، وتفاوتت هذه النسبة بين دول العالم من ١٠ -



الاخصاب لمدة ٢٤ ساعة فقط .

وجود الحيوانات المنوية قد لا يكفي وحده ، إذا لم توضع تلك الحيوانات في مكانها المناسب للحمل ، أي بالقرب من عنق الرحم . فعدم قدرة بعض الرجال على الاتصال الجنسي كالعجز في الانتصاب قد يعتبر من أهم أسباب العقم .

كما أن هناك جهلاً بين بعض الأزواج عن عملية اللقاء الجنسي ، وقد يبدو هذا القول مستغرباً ، لكن هذا ما نشاهده في عيادات العقم .

### ثالثاً : البويضة

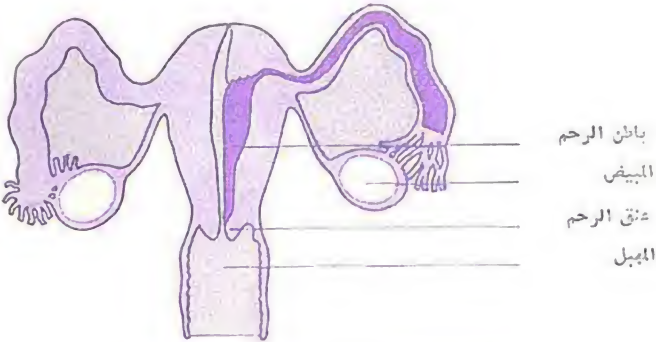
لكي يحدث الحمل لا بد من أن تلتقي الحيوانات المنوية بالبويضة السليمة ، كما هو معروف أن المبيض ينتج شهرياً بويضة واحدة قابلة للاخصاب فور ظهورها من المبيض خلال ٤٨ ساعة . وبالرغم من مئات الملايين من الحيوانات المنوية التي تفرز عند كل لقاء ، فإن المرأة تفرز بويضة واحدة فقط شهرياً .

والجدير بالذكر أن الدورة الشهرية ( الطمث ) غير المنتظم ، أو المنتظم لا يعني بالضرورة ظهور البويضة . فقد يفرز المبيض الهرمونات التي تؤثر في جدار الرحم ، وتحدث العادة الشهرية وبدون أن تنمو البويضة فيه .

لذا فقد يكون من أسباب العقم أن المبيض لا يفرز البويضة ، لكي ينتج الهرمونات المطلوبة لحدوث الطمث شهرياً .

### رابعاً : الطريق المؤدي إلى التقاء البويضة بالحيوانات المنوية

كما أشرت سابقاً لا بد من التقاء الحيوانات المنوية بالبويضة لكي يحدث الحمل ، لذا فلا بد لكل من البويضة والحيوانات المنوية أن تسير مسافة في مشوار اللقاء ، واللقاء يتم عادة في الأبواق المتصلة بالرحم . ( .. والأعضاء التناسلية للمرأة تتكون من رحم وبوقين ومبايض ) .



شراح طولي ( تشريحي ) للجهاز التناسلي للمرأة

## .. وعلاجه

### بقلم : د . عبد الله حسين باسلامه

سريعة على بعض هذه الأسباب ، ومناقشة كيفية علاجها وتبنيها للقراء .

### أولاً : متى يحدث الحمل

لقد دلت الإحصاءات أن الحمل يحدث بنسبة ٢٥٪ في الشهر الأول من الزواج ، وعلى الأقل ٦٠٪ يحدث في خلال ستة أشهر من الزواج . وتصل النسبة إلى ٧٥٪ في خلال التسعة الأشهر الأولى من الزواج . كما أن ٨٠٪ من الحمل يحدث في خلال السنة الأولى من الزواج إذا لم يستعمل مانع للحمل و ٩٠٪ في خلال ١٨ شهراً من الزواج .

ويحدث الحمل إذا التقت البويضة بالحيوانات المنوية في الأبواق المتصلة بالرحم . هذا وأنسب وقت للاخصاب هي الفترة التي تظهر فيها البويضة من المبيض ، وتقع هذه الفترة ما بين اليوم ١٢ - ١٤ من بدء العادة الشهرية وتحسب هذه الفترة على أن أول يوم من الدورة الشهرية هو يوم رقم (١) .

وهكذا فلو حدث لقاء بين الزوجين في خلال فترة الاخصاب لأثمر - شريطة أن تكون العوامل المطلوب توافرها لحدوث الحمل متكاملة - وتجدر الإشارة هنا إلى أن اتباع هذا ( الرجيم ) في اللقاء بين الزوجين لا أنصح به لأنه قد يجعل الحياة الزوجية عملاً روتينياً . فيجب أن تترك الأمور النفسية لطبيعتها الغريزية مع التركيز على فترة الاخصاب .

### ثانياً : الحيوانات المنوية

كما ذكرت سابقاً أن القدرة على الاتصال الجنسي لا تعني بالضرورة القدرة على الإنجاب . فللإنجاب لا بد من وجود العدد الكافي من الحيوانات المنوية التي تصل إلى مئات الملايين ( ٦٠ - ١٢٠ مليوناً في السنتيمتر المربع ) وعلى حيويتها وقدرتها على الحركة وخلوها من التشوهات الخلقية . والحيوانات المنوية تعيش داخل الرحم ، وتصبح قادرة على



كما أن إصابة الرجل بالأمراض التناسلية المعدية والتهاب البروستات أو إصابته بمرض الغدة النكفية ، تؤثر على عمل الخصية . . وغير ذلك من الالتهابات والأورام في الخصية والطريق المؤدي إليها .

### التشخيص

بعد مرور الفترة الزمنية المناسبة على الزواج ، يجب أن يسارع الزوجان إلى الطبيب المختص لبحث المشكلة ، فيقوم الطبيب بمعاينة الزوج والزوجة حيث إن أسباب العقم مشتركة بينهما . وتجري الفحوص الدورية العامة على الزوج والزوجة . ثم بعد ذلك يبحث عن الأسباب الخاصة بالعقم في كلا الزوجين . فيطلب مثلاً من الزوج تحليل السائل المنوي لمعرفة وجود وعدد الحيوانات المنوية . فإذا لم يظهر الفحص وجود حيوانات منوية يعمل للزوج عملية بسيطة وهي أخذ عينة من الخصي لمعرفة قدرتها على إنتاج الحيوانات المنوية ، فإذا وجد أن الخصية سليمة يكون السبب الأساسي هو انسداد في الأنابيب الموصلة للحيوانات المنوية من الخصية إلى الخارج . وعلاج هذا الانسداد يكمن في إجراء عملية لفتح هذا الانسداد .

فإذا أظهر الفحص أن السبب هو عدم قدرة الخصية على إنتاج الحيوانات المنوية نتيجة ضمور أو مرض سابق أو نقص خلقي فإن العلاج لمثل هذه الحالات غير مجد . بعد ثبوت قدرة الزوج على الانجاب يجري للزوجة فحوص متخصصة .

### الفحوص المطلوبة للزوجة

يضيق المجال هنا في تفصيلها ، ولكن باختصار تجرى فحوص لمعرفة قدرة المبيض على إنتاج البويضة ، ومن هذه الفحوص معرفة انتظام الدورة الشهرية وأخذ عينة من الرحم ، وعملية تسمى الكحت وهي عملية نسائية بسيطة ، أو بقياس الحرارة يومياً لمدة ٣ أشهر لمعرفة الهرمونات التي تنتج عن افراز البويضة وغير ذلك من الفحوص الأخرى ، كفحص الهرمونات بالدم والبول .



صورة تقريبية لكيفية حدوث الحمل

فعند حصول الاتصال الجنسي توضع الحيوانات المنوية بالقرب من عنق الرحم ، ويفعل التغيرات الناشئة من تأثيرات الهرمونات التي يفرزها المبيض في كل من المهبل ، وعنق الرحم ، والرحم نتيجة لذلك تصبح الحياة للحيوانات المنوية في المهبل صعبة فلا بد لها أن تتجه إلى عنق الرحم ثم تجوف الرحم ومنه إلى الأبواق . وفي منتصف الطريق في أحد الأبواق تكون البويضة التي فارقت المبيض (الذي يقع خارج الرحم وفي تجوف البطن) ، قد انتقلت إلى داخل أحد الأبواق ، ويتم اللقاء بين الاثنين . وبإذن الله يحدث الحمل .

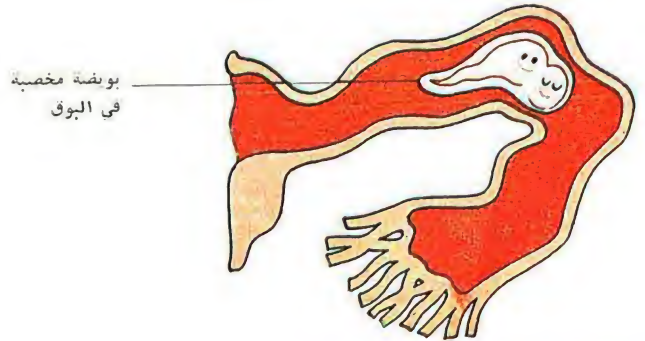
إذن فلكي يحدث الحمل يجب أن توضع الحيوانات المنوية بأعداد كافية في المهبل ، وبالقرب من عنق الرحم ، وأن لا يكون هناك ما يؤثر أو يمنع ذلك ثم أن يكون الطريق إلى الأبواق سليم وسالك .

فأكثر حالات العقم التي نشاهدها في مجتمعنا العربي هو نتيجة انسداد وقفل الأبواق نتيجة أمراض والتهابات في الجهاز التناسلي وفي الأبواق أدت إلى عدم القدرة على اللقاء . وأكثر هذه الأمراض هي إصابة الأنسجة الداخلية للأبواق وعنق الرحم بجرثومة السيلان وغيرها من الجراثيم ، أو التهابات حدثت داخل البطن ، كانهفجار الزائدة الدودية ومضاعفاتها ، وغير ذلك .

### خامساً : أسباب أخرى

وأسباب أخرى معوقة للحمل متعددة ومنها : الاضطرابات في افراز الهرمونات من الغدد المنتشرة في الجسم ، مثل الغدة النخامية والدرقية والمبيض . . من ذلك أيضاً مرض البول السكري والسل . . الخ .

كذلك الأمراض والالتهابات في الجهاز التناسلي وباقي أعضاء الجسم ، ومن تلك الأمراض مرض السل ، والأمراض الناتجة عن الالتهابات في الحوض والأبواق وعنق الرحم والأنسجة المجاورة . والالتهابات المهبليّة والإصابة بمرض الزهري ، وأيضاً إصابة الرحم أو المبيض أو الأبواق بأورام .



صوره ( تقريبية ) لبويضة بعد حدوث الحمل





تقديم النصح والعون لها ، كما أنه في بعض الأحيان يحدث الحمل نتيجة للفحص وزيارة الطبيب فقط .

وقد وجد أن ١٨٪ من السيدات يشعرون بتحسّن وتبدأ مظاهر الحمل بدون أخذ علاج معين ، فقط مجرد زيارة للمستشفى يمكن الشفاء .

قد يكون السبب الرئيسي في ذلك هو العامل النفسي وتأثيره المباشر وغير المباشر على الغدد الصماء بالجسم ، كما أن هناك حالات لا يرجى الشفاء منها . وقد يكون في كثرة التردد والعلاج مضيق للوقت والمال ، من ذلك عدم قدرة الخصية لدى الرجل على إنتاج الحيوانات المنوية نتيجة مرض خلقي أو ضمور . ومنها أيضاً ضمور المبيض لدى المرأة والالتهابات والالتصاقات الكبيرة في الأبواب التي يتعذر علاجها جراحياً . والبحث الطبي في مجال العقم وتحديد أسبابه أخذ في التقدم وأصبح في الامكان معالجة الحالات التي لا يرجى لها الشفاء . . والمستقبل يبشر بالخير لكثير من حالات العقم المستعصي .

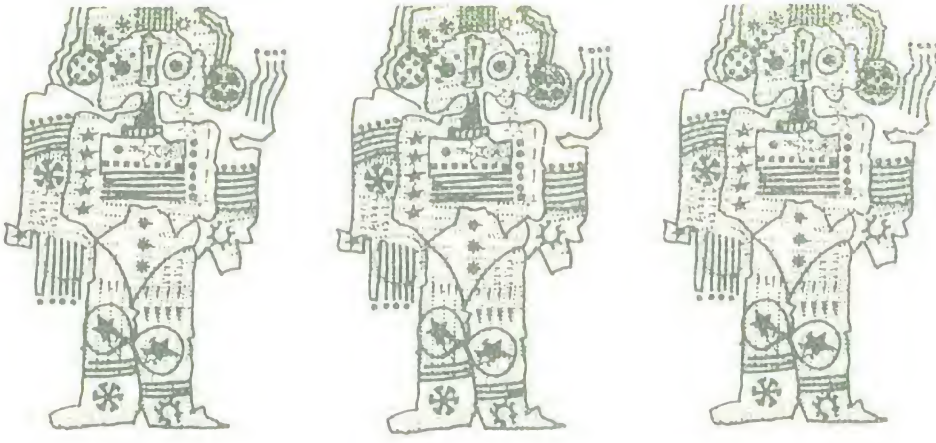
﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ .  
صدق الله العظيم .

كما تفحص الأبواب والطريق المؤدي إلى انتقال المبيض والحيوانات المنوية في الجهاز التناسلي للمرأة ، وذلك بأخذ أشعة ملونة للرحم والأبواق ، أو الفحص بالتنظير عن طريق إدخال منظار إلى تجويف البطن ، وهي عملية بسيطة ، كما يمكن الاستدلال على سلامة الأبواق ، وعملية نسائية أخرى تسمى بعملية **تفتح البوقين** . وفي بعض الأحيان يتطلب استكمال الفحوص معرفة كمية الهرمونات التي تفرزه بعض الغدد الصماء في الجسم التي لها دور في عملية التبويض والاختصاب .

### علاج العقم

يتوقف علاج العقم على الأسباب التي أدت إليه ، فإذا كان السبب عدم قدرة المبيض على إنتاج البويضة ، تعالج المريضة بإعطاء الهرمونات المطلوبة ، كذلك التصاقات أو انسداد الأبواق أو الرحم يمكن علاج بعضها بالعمليات الجراحية وإزالة السبب المعوق . . وهكذا .  
والجدير بالذكر أن هناك حالات عقم بدون أسباب ظاهرة يمكن اكتشافها ومعرفة أسبابها بوسائلنا العملية المتاحة . ونقف عاجزين عن





# علم اللغة

لقد حدد العالم الأمريكي كلود شينون كمية المفاهيم التي يحملها الخبر . فالجواب البسيط لأي سؤال يمكن الاجابة عليه بإحدى هاتين الكلمتين (نعم) و(كلا) . فالأسئلة التي يجاب عليها بهذين الجوابين تدعى بالأسئلة المزدوجة وكمية الأخبار التي تحملها هي السلب أو الايجاب . وانطلاقاً من هذا يمكن اعتبار سؤال من هذا النوع من الوحدة الإخبارية البسيطة . ويسمى هذا النوع (بالصف المزدوج BINOPYDIGEST ) وهناك أسئلة يمكن أن يجاب عليها بأكثر من صيغة منطقية واحدة كان يقال مثلاً :

- ١ - سأذهب إلى البيت بعد أن أنتهي من عملي .
  - ٢ - وسأذهب إلى البيت إذا سمح لي رئيسي .
  - ٣ - وسأذهب إلى البيت إذا وجدت سيارة .
- فالأذهاب إلى البيت كما نرى يرتبط بثلاث نتائج هي :
- بعد أن أنتهي من عملي .
- إذا سمح لي رئيسي .
- إذا وجدت سيارة .

فهذه الصيغ الإخبارية تعتبر من النوع المعقد إذ لا يمكن الاجابة هنا (بنعم) أو (كلا) لأننا وضعنا ثلاثة شروط أساسية للذهاب إلى البيت . فغياب أحد هذه الأسباب يؤدي إلى عدم الذهاب إلى البيت .

## الفائض اللغوي

إن مضمون هذه الشروط الثلاثة تدعى بعلم اللغة بالفائض اللغوي .

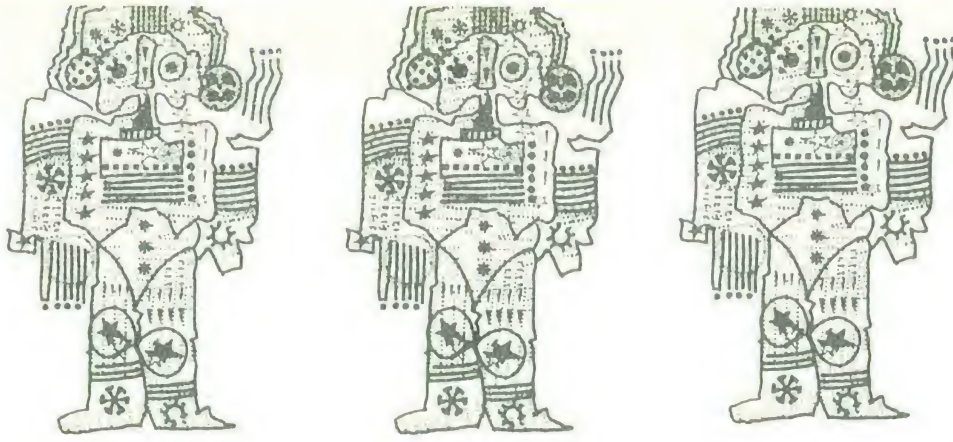
وتعريف الفائض اللغوي : هو أنه مقياس غير اقتصادي للغة الشيفرة . ولدراسة الفائض اللغوي قام عالم اللغة الطشقندي خالد

يرتبط علم اللغة ارتباطاً وثيقاً بعلم الرياضيات المعاصر الذي تفرعت عنه النظرية الاعلامية . كانت الغاية من هذه النظرية هي حل القضايا العملية وذلك من أجل الحصول على معلومات سلوكية بشكل اقتصادي ، بالإضافة إلى ذلك صنع أدوات الاتصال السلوكية واللاسلكية وغيرها . وفي عام ١٩٤٨ م ، قام العالم الأمريكي كلود شينون بإعداد دراسة عامة مطولة عن (نظرية الاحتمال) التي تبحث في النظرية الإعلامية والتي أخذت تظهر في مختلف العلوم . وسنقف الآن على بعض المفاهيم المتعلقة بهذه النظرية .

من المعروف جيداً بأن الغاية الرئيسية لأي مجموعة من الحروف هي إعلامنا عن شيء ما . فنحن عندما نضع حرفاً بجانب حرف نكون الكلمة ومن مجموعة كلمات نكون جملة تعطينا بدورها صيغة منطقية مقبولة أو مرفوضة ، لذا يمكن لنا هنا أن نسمي الحرف (بالشيفرة) ، وانطلاقاً من هذه التسمية التي أطلقناها على الحرف يمكن اعتبار اللغة على أنها (شيفرة) قابلة للإعلام وللقياس أيضاً كأية شيفرة أخرى ، ومن هذا المنطلق يمكن قياس الحقائق الإعلامية التي يقدمها لنا الحرف والكلمة ، والجملة .

فإذا كنا نعرف مسبقاً بالخبر الذي نتوقعه فإن مثل هذا الخبر لا يحمل أي موضوع إعلامي . فإذا قيل لنا بأن الحجر الذي يقذف إلى الأعلى سيسقط على الأرض فإننا لن نحصل من هذا الكلام على أي أخبار جديدة وذلك لأننا نعرف هذه البديهية مسبقاً . ولكن عندما نشاهد لاعبي كرة القدم يسددون الكرة في المرمى حيث يقف الحارس البارع الممتاز والذي لا تزال شباك مرماه نظيفة بعد فإن مثل هذا الخبر الذي سنحصل عليه سيكون وقعه وتأثيره عظيماً .





# والعقل الإلكتروني

بقلم: أحمد فارس

بأن ثلاثة أرباعها لا تستعمل في الحياة العادية أو الكتابة البسيطة .

## اللغة .. والعقل الإلكتروني

وقد يتبادر إلى الذهن السؤال التالي : هل يمكن الاستغناء عن الفائض ؟ .

لقد حاول علماء اللغة الاجابة على هذا السؤال وذلك بانشاء لغة فنية بعيدة كل البعد عن الفائض وذلك باستخدام الأرقام العشرة المستعملة في الحساب وهي ( ٠ - ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ ) فهذه الأرقام يمكن لها أن تعطينا أرقاماً معددة مثل ١٢ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٧٨ ، الخ ولكن هناك رقم ( ٧٨ و ٠٧٨ ) فإن هذين الرقمين يدلان على كمية واحدة لذلك نرى بأن الصفر في الرقم الثاني لا فائد منه في مثل هذه الحالة .

إن البحوث الجدية في هذا المضمار قادت إلى ولادة علم جديد هو علم العقل الإلكتروني ، وقد ظهر هذا العلم بشكله النهائي في عام ١٩٤٨ م ، وشاهد النور على يد العالم هربرت فينر في كتابه ( التحكم الآلي<sup>(١)</sup> وارتباطه بالأجسام الحية ) .

قام العالم المذكور بمجموعة من البحوث على علاقة الإنسان بالتحكم الآلي ، فدجمها ببعض واعتبرهما مصطلحاً واحداً ، وانطلاقاً من هذه الفكرة تم صنع أول إنسان آلي . يستطيع أن يتذكر ويقوم بمجموعة من الأعمال التنفيذية ( فبعض الآلات الإلكترونية تستطيع أن تقوم بثانية واحدة بأعمال حسابية متنوعة دقيقة تصل إلى عشرات الأرقام ) .

بعد نجاح تجربة العقل الإلكتروني توجه العلماء إلى اجماع تجارب

وفيتش بمحاولة إحصائية اعتمد فيها على حروف اللغة الروسية البالغة ٣٠ حرفاً .

وبنى احتماله على أساس أن كل الكلمات تتكون من حرف واحد . فعنى هذا أنه حصل على ٣٠ كلمة أحادية الحرف . وانطلاقاً من هذا فإن حرفين يمكن وضعهما على هذا الأساس  $30^2 = 900$  كلمة ثنائية الحرف . ومن ثلاثة حروف  $30^3 = 27000$  كلمة ثلاثية الحرف . ومن أربعة حروف  $30^4 = 180000$  كلمة رباعية الحرف .

فلو أخذنا معجماً عربياً يحوي على ٥٠٠٠٠ ألف كلمة يضم كلمات ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية فإننا سنرى بأننا لا نستعمل كافة الإمكانيات الموجودة في اللغة العربية . ويعود مرد هذا إلى الفائض اللغوي .

## وقد يتساءل أحدنا وما الفائدة من الفائض ؟

إن الفائض ضروري لأنه يساعد على فهم الكلام عندما يكون هناك عائق أو أخطاء . فلنفرض بأننا استلمنا برقية تحوي على أخطاء مثل ( حصر لندكم محم ) فإننا سنشعر فوراً بهذا الخطأ بمجرد النظر إلى السطور ، وأنه يجب علينا أن نقرأها ( حصر لعندكم محمد ) . فلو أن هناك كلمات متمازجة تضم معنى واحداً فقط ولم يكن هناك فائض فإننا لن نفهم كل شيء بالكامل . والفائض اللغوي يختلف من شخص إلى شخص آخر وذلك طبقاً للمستوى الثقافي لهذا الشخص أو ذاك . وتجدر الإشارة إلى أن معظم لغات العالم تحوي على فائض يعادل على سبيل المثال من ٥٠ إلى ٦٠٪ وقد تزداد هذه النسبة أو تنقص طبقاً لحالة اللغة . فاللغة العربية على سبيل المثال تحوي على فائض كبير ، فيكفي أن نقلب صفحات أي معجم ونجري إحصاء سريعاً لصفحة من صفحاته فسنرى



المذكورتين . إنه يستطيع القيام بهذا العمل إذا كان تحت تصرفه مجموعة من الصيغ الشكلية المستعملة في الترجمة .  
نحن نعرف بأن تقسيمات القواعد اللغوية اليونانية تتطابق مع القواعد اللاتينية :

APEIR-	IMPERIZ
BLEP	VIDE-
GRAMM	LITTER
HO	-
U	NON

وأن نهايات التصريف للكلمة اليونانية يتطابق مع النهايات اللاتينية :

-ATON	-ARUM
-ET	-T
-OS	-US
-ON	-NS

نبحث عن مكان توضع كلمة (HO) فيكون رمزها (-) ثم كلمة (GRAMM) فيكون رمزها (+) ثم (ATON) فيكون رمزها (-) .  
نضع الإشارات ثم نقوم بانتقاء الكلمات المتطابقة في الإشارات ونضعها إلى جانب بعض فنحصل في النهاية على هذه الجملة .  
LITTERARUM IMPERITUS NON VIDETVIDENS  
وترجمتها إلى العربية كالتالي . (الغير علم بالعلوم لا يمكن له أن يرى ما يرى) .

ومن هذا المثال الذي طرحناه يبدو واضحاً بأنه يمكن صيغ شكلية للترجمة وذلك بوضع لوائح للأشكال والنصوص المراد ترجمتها .

### كيف تتم الترجمة ؟

ولكن قد يظهر أماننا السؤال التالي : كيف تتم الترجمة بالمعنى الحقيقي ؟

للإجابة على هذا السؤال نأخذ كلمة تحدث فيها اختلاطات بسبب تعدد المعاني . فمن أين للآلة أن تعرف أي معنى يجب الأخذ به ؟ .  
هناك مثلاً كلمة MANY الانكليزية فهي تحمل أكثر من معنى HOWMANY كم ، AS MANY مثل MANY تعني الكثير MANY كثيراً .  
ففي آلات نظام العد الحسابي العشري (ALGORISM) وضعت مثل هذه الكلمة على الشكل التالي . فإذا قابلتنا كلمة MANY فإنه يحدد مكانها أولاً ، وهل يوجد أمام هذه الكلمة كلمة (HOW) أم لا ؟ إذا

متعددة لصنع آلات تقوم بأعمال الترجمة التي تعتمد على طريقة (الاختزال) حيث تقدم كافة المعلومات الضرورية لهذه الآلة (أي إن النص محول إلى أرقام) فالسمع عند الآلة يكون عن طريق خلية كهربائية ضوئية وخلايا عصبية - وحاكمة لأشكال الإشارة والشفرة<sup>(٢)</sup> .  
وعلى هذا الأساس تعطينا آلة نظام العد الحسابي (ALGORISM) الترجمة العملية بعد وضع القواعد السليمة والصحيحة لحل المسألة .  
فالآلة تقوم بالحل معتمدة على سؤالين رئيسيين . ولنأخذ على سبيل المثال الشكل المبسط التالي :

0 1 2 3 4 5 6 7

فهذه الأرقام الثمانية المذكورة أعلاه توزع كما في الشكل التالي .

0-1 يسار يمين	2-3 يسار يمين	4-5 يسار يمين	6-7 يسار يمين
---------------------	---------------------	---------------------	---------------------

بهذه الطريقة نحول الأرقام إلى اشارات حسابية . فالرقم الذي يقع في الجهة اليسرى نعطيه إشارة (+) أما رقم الجهة اليمنى فنعطيه إشارة (-) وبهذه الطريقة يمكن أن نترجم الأرقام إلى اشارات .

0 = + + +	4 = + + -
1 = - + +	5 = - + -
2 = + - +	6 = + - -
3 = - - +	7 = - - -

وكما نرى من الشكل المبين أعلاه فإن مجموع اشارات الزائد تعني (نعم) وإشارات السالب تعني (كلا) فكل رقم له شكله الخاص به من الاشارات ، فلو وضعنا اشارات الناقص والزائد في الآلة فإنها ستعطينا وسهولة كل رقم من هذه الأرقام .  
وسنرى الآن كيف يبدو الشكل على آلة الترجمة التي تترجم من الانكليزية إلى العربية .

مكان توضيح النص	تركييب النص	خروج النص
الانكليزي	العربي	العربي

أما الشكل العام لآلة الترجمة فيكون على الشكل التالي :

دخول المعلومات المراد ترجمتها	جهاز التشفير	قناة الاتصال
جهاز التشغيل	خروج المعلومات	

والآن لننتقل من الأرقام إلى اللغة . إن الشكل اللغوي يعطي على الأرجح سلسلة من المعطيات التي تحقق الدقة المنشودة لكافة العمليات الموضوعية . فبفضل الصيغ الشكلية المقدمة للآلة يمكن أن تتم الترجمة حتى بدون فهم الصيغة أو الجملة المراد ترجمتها . فعلى سبيل المثال أماننا جملة يونانية هي كالتالي :

HO GRAMMATION APEIROS U BLEPEI BLEPON

يجب ترجمتها إلى اللغة اللاتينية من قبل إنسان لا يفقه شيئاً باللغتين



وجدت كانت (نعم) تترجم (كم) أما إذا كانت (كلا) فيتم تحديد ما إذا كان أمامها كلمة (AS) فإذا كانت (نعم) فتترجم (مثل) أما إذا تحددت بكلمة (كلا) فيتم تحديد ما إذا كان أمام الكلمة حرف جر يليه اسم فإذا كانت (نعم) تترجم (الكثير) أما إذا كانت (كلا) فتترجم (كثيراً) . ولتسهيل ما ذكرنا نعرض الشكل التالي :

how	← نعم	كم		عددي
كلا				
as	← نعم	مثل		عددي
كلا				
حرف جر مع اسم	← نعم	الكثير		صفة
↓				
كلا	←	كثير		عددي

من هذا الشكل المعروض أمامنا نرى بأن عمل آلة الترجمة لا يتطلب حلولاً فنية (تقنية) فحسب بل ويتطلب أيضاً الكثير من الحلول المتعلقة بعلم اللغة . وانطلاقاً من هذه الفكرة ظهرت أمام علماء اللغة قضايا هامة . فمن أجل سهولة العمل يجب أن لا تترجم النصوص فوراً من لغة إلى أخرى بل يجب أن تحصل ترجمة من الانكليزية إلى الفرنسية ، من الفرنسية إلى الألمانية ، من الألمانية إلى الاسبانية ، وهكذا وذلك بغية الحصول على نماذج يمكن لها أن تفيدينا أثناء عملية المقارنة بين هذه اللغات والتي تؤدي إلى إيجاد (لغة مشتركة) .

في البداية يمكن ترجمة نص ما إلى اللغة المشتركة ومن ثم إلى لغة أخرى . ولكن ما الذي يجب أن تحويه اللغة المشتركة هذه ؟ بعض علماء اللغة يقولون بأن اللغة المشتركة يجب أن يتم اختيارها من بين أمهات اللغات المعروفة (كالانكليزية مثلاً) وبعضهم يفضل أن توضع لغة خاصة (كلغة الاسبرانتو) ، وقسم آخر يفضل أن توضع لغة خاصة يتم انتقاؤها من اللغات العالمية المعروفة ، والتي تسمح لعدد كبير من دول العالم أن تساهم في هذا العمل .

## اللغة .. والرياضيات

إن دراسة أي لغة على أنها شيفرة كما ذكرنا قاد إلى وجود اتجاهات في علم اللغة المعاصر . فقد ظهر في علم اللغة اتجاه جديد هو علم الترجمة الآلية . ومثل هذه المواضيع يقوم بحلها علماء اللغة بالإضافة إلى علماء الرياضيات ولكن على نطاق ضيق .

ففي معظم اللغات المتطورة تجري الآن دراسة القواعد اللغوية من وجهة نظر رياضية . فقد قام العالم اللغوي **باكوسون** بعرض طريقة رياضية لتحديد القواعد الصرفية للكلمة ، وهو يعتقد بأن هذه الطريقة أفضل بكثير من الطريقة التقليدية المعروفة في أعمال النحو والصرف

اللغوية . وقد اعتمد العالم المذكور في أمثلته التي طرحها على صرف كلمات **المؤنث والمذكر والمحايد** . فثبت بأن المحايد لا يتأثر بالنهايات القواعدية التي يتعرض إليها المذكر والمؤنث لأنه ممنوع من الصرف . وأثبت بأن ما هو ممنوع من الصرف في لغة ما قد يكون قابلاً للتصريف في لغة أخرى ، وما هو مذكر في لغة قد يكون مؤنثاً في لغة ثانية . ففهوم المحايد الموجود في بعض اللغات غير موجود في لغتنا العربية .

لقد بين **باكوسون** في أمثلته التي طرحها بأن المشكلة التي تقف أمام آلات الترجمة هي عدم توافق الأحوال الصرفية بين لغة وأخرى . ففي اللغة اللاتينية هناك ست حالات صرفية للكلمة الواحدة بينما لا نشاهد في اللغة العربية سوى ثلاث حالات هي الرفع والنصب والجر .

ونستنتج مما ذكر بأن الترجمة الآلية لا يمكن لها أن تتم إلا في حال توافق لغتين من الناحية القواعدية ، أي أن هناك ما يربطهما ببعض (كالأصل الواحد) مثلاً .

ولكن تعقيدات الحياة المعاصرة تفرض علينا إيجاد حلول لمشاكل الترجمة التي أخذت تزداد أهميتها في الآونة الأخيرة . ففي بداية الستينات من القرن الحالي تم إصدار أكثر من (١٠٠) مئة ألف كتاب ومجلة علمية بستين لغة وقد ضمت هذه الكتب ٤ ملايين مقال كتبها ما يقارب من ٢٥٠ ألف عالم . إن ترجمة ما ذكر يبدو أمراً يفوق الخيال .

وبطلب من منظمة اليونسكو بدأت الولايات المتحدة الأمريكية ببحوث تتعلق بتطوير آلات الترجمة وخصصت لهذه البحوث مبلغ ٣٠٠ مليون دولار .

وتجدر الإشارة إلى أن آخر المعلومات لعام ١٩٧٧ م ، تؤكد بأنه يصدر في العالم من الكتب خلال عام واحد ما يقارب الـ ٣ مليارات نسخة من الكتب . ولو أعطينا هذه الكلمة الكبيرة من الكتب للمترجمين لما استطاعوا حتى أن يقلبوا صفحاتها فما بالك بترجمتها ؟

لقد فشلت آلات الترجمة بترجمة النصوص الفنية الأدبية ولكن هذا لا يمنع من متابعة البحث لترجمة النصوص العلمية والتكنولوجية . وأعتقد بأن العلماء سيسعوا جاهدين لحل هذه المعضلة الملحة التي أخذت تزداد أهميتها يوماً بعد يوم في قرن عمت فيه الاكتشافات كافة جوانب الحياة .

## هوامش

١ - مصطلح يوناني (KYBERNETIKE TEHNE)

٢ - تكون الشيفرة في الآلة على النحو التالي فنلأ عندنا الحرف الانكليزي (A) والحرف (آ) موضوعان في الرقم ١٦ وكذلك الحرف الانكليزي (B) والحرف العربي (ب) في الرقم ٦ بهذه الطريقة يتم التشفير .



# طالب عراقي ورسالة ماجستير عن شاعر من المدينة المنورة

## عروة بن أذينة

- عروة بن يحيى (ولقبه أذينة) بن مالك بن الحارث اللبني .
- شاعر غزل مقدم .
- من أهل المدينة .
- معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً .
- الشعر هو الغالب عليه . وهو القائل :  
ولقد علمت وما الإشراف من خلقي  
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
أسمى إليه فيعيني تطلبي  
ولو تعدت أُناني لا يعينني

الورد ، والناطقة الذبياني ، ولبيد العمري ، وامرئ القيس ، وهناك دراسات تسير عليه أقسام تدريس اللغة العربية بجامعة مصر المختلفة . . نتمنى أن تحذو حذوه جميع الجامعات العربية لإحياء التراث العربي الإسلامي .

## أقسام الرسالة

- وتقسم رسالة الماجستير هذه إلى مقدمة وخمسة أبواب :
- تناول **الباب الأول** منها الجملة الخيرية من حيث التركيب والإعراب والدلالة .
- وفي **الفصل الأول** من الباب الأول درس الباحث الجملة الخيرية المثبة .
- وفي **الفصل الثاني** من نفس الباب درس الجملة الخيرية المنفية .
- وفي **الفصل الثالث** درس الجملة الخيرية المؤكدة .
- وفي **الفصل الرابع** بحث مواقع الجملة الخيرية .
- ويقوم **الباب الثاني** من الرسالة على دراسة الجملة الطلبية من حيث التركيب والإعراب والدلالة ، فبحث في **الفصل الأول** من هذا الباب : الأمر ، والنهي ، والتمني ، والترجي ، والنداء ، والدعاء . حسب أنماط كل منها .
- أما **الفصل الثاني** من **الباب الثاني** فبحث في الاستفهام حسب الأدوات الحرفية والاسمية والظرفية .
- ويقوم **الباب الثالث** من الرسالة على دراسة الجملة الشرطية ، وقد قسم الباحث هذا الباب إلى فصلين شمل **الفصل الأول** أنماط الجملة الشرطية في شعر عروة بن أذينة حسب نوع جملة الشرط .
- وشمل **الفصل الثاني** دراسة القضايا التركيبية والإعرابية والدلالية للجملة الشرطية . ودراسة بعض الأنماط ، وتوكيد الجملة الشرطية باللام أو بالقسم .

تقدم الطالب العراقي ( ضياء عبد الرضا جودي ) برسالة لنيل درجة الماجستير إلى قسم اللغة العربية وآدابها ، بجامعة القاهرة في موضوع :  
( **الجملة العربية في شعر عروة بن أذينة** ) تحت إشراف **الدكتور محمود حجازي** ، وقد اشترك في مناقشتها ضمن لجنة من الأساتذة **الدكتور يوسف خليفة** ، رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، و**الدكتور عبد العزيز مطر** ، رئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات بجامعة عين شمس .

وعروة بن أذينة موضوع هذه الرسالة العلمية هو شاعر مدني ، حجازي بل إنه يعتبر من شعراء المدينة المنورة البارزين ، وقد عرف بالغزل ، وغلب عليه ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين ، فكان عالماً ناسكاً شاعراً حاذقاً ، شارك في الغناء الذي انتشر في المدينة المنورة إذ كان شاعراً رقيقاً غزلاً حلو الشعر ، عذب الأسلوب . فهو عند ( **الأصفهاني** ) مؤلف كتاب ( **الأغاني** ) و ( **الزركلي** ) و ( **أبي علي البغدادي** ) شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة .

وقال عنه ( **المرزباني** ) : « **وقد أكثر الشعراء في وصف بقاء الشعر الجيد على تطاول الأيام ، وغابر الزمان ، ومن أحسن ما جاء فيه تحول ابن أذينة .** »

وقد شارك ابن أذينة كذلك في حياة الصلاح والزهد ، والنسك ، والعبادة ، وتوفي في حوالي الثلاثين ومئة للهجرة .

وقد درس الطالب العراقي في رسالته لنيل درجة الماجستير ، نظام الجملة العربية في شعر عروة ، دراسة وصفية تحليلية إحصائية ، تقوم على تصنيف الجمل عنده إلى أنماطها المختلفة ، وبحث قضاياها من حيث التركيب والإعراب والدلالة ، مع مقارنة المادة اللغوية في شعر ( **عروة** ) بآراء النحاة . وهذه الدراسة هي واحدة من الدراسات لاستقراء الشعر العربي . فقد سبق الطالب في هذا البحث ، أبحاث أخرى لدراسة شعر : **عروة بن**



● وفي الباب الرابع ، بحث في الفصل الأول التخصيص  
بـ (الحال) و (المفعول فيه) و (التمييز) و (الاستثناء) و (المفعول لأجله) .  
● وفي الفصل الثاني بحث التوابع . وهي : النعت ، والعطف ،  
والبدل ، موزعة حسب أنماطها المختلفة .  
● أما الفصل الثالث ، فهو ملحق بهذا الباب ، وقد اشتمل على  
الإضافة بنوعها .

● ويقوم الباب الخامس ، على دراسة الجملة في شعر عروة بن  
أذينة والقضايا النحوية الخلافية فيها . وقد جمع الدارس من شعر عروة ما  
يلقي ضوء على اختلافات النحاة ، وقد ناقش هذه الاختلافات على ضوء  
شواهد ملموسة من شعر عروة .

هذا وقد عمق الدارس بحثه بالنظر في شواهد أخرى مأخوذة من  
أمهات الكتب مثل : (المفضليات) و (الأصمعيات) .

وقد توصل الباحث في رسالته إلى وجود ظواهر لغوية  
اتفقت معها آراء الكوفيين ، وهي أكثر من الأولى ، وظواهر  
لغوية اتفقت معها آراء متفرقة .

★ ★ ★

#### مع الطالب صاحب الرسالة

ولو عدنا للطالب ضياء عبد الرضا جودي ، الذي حصل على  
درجه الماجستير بتقدير (إمتياز) ، في صلبه منه أن نجدنا نحن طبعه نظرة  
النقاد القدماء والحديثين لشعر عروة بن أذينة الذي عاش في الحجاز في  
القرن الثاني الهجري نجدده يقول :

قال المرزباني : « وقد أكثر الشعراء في وصف بقاء  
الشعر الجيد على تطاول الأيام ، وغابر الزمان ، ومن أحسن  
ما جاء فيه قول عروة بن أذينة » .  
وذكر ثلاثة أبيات أولها :

نبئت أن رجلاً خاف بعضهم  
شتمي ، وما كنت للأقوام شتاما .

وقد دُكِرَ (عروة بن أذينة) عند (عمر بن عبدالعزيز) فقال :  
نعم الرجل أبو عامر ، على أنه يقول :

وقد قالت لأتراب  
لها زهر تلاقينا

#### ●● موضوعات شعر «عروة بن أذينة» :

اعتنى عروة بن أذينة بالغزل ، فهو الفن الأصيل الذي تجلّت  
فيه براعته ، وحذقه ، وإبداعه ، فكان غزله مزيجاً من الآمال ، والآلام ،  
والتعاسة ، والحرمان . وكم خر صريعاً في محراب الحب يبكي آهاته  
الحزينة على قيثاره الفن الرائعة ، فهو قد اشتهر بالغزل على الرغم من  
صلاحه ، ونسكه ، وعلمه ، فقد سار بين الناس ، وتدبره النقاد ،  
وأعجب به رواة الشعر ، ومتذوقي الفن لما فيه من معانٍ ترضي أذواق  
السامعين ، وموسيقى تلائم ألحان المغنين ، وقيمة فنية وشعرية تعبر عن  
روح العصر ، وتمثل العواطف الجياشة ، والأحاسيس المرفهة .

وقد أقبل المغنون ، والمطربون ، على شعره ، ولكن الروح  
الإسلامية ، والسلوك الديني القويم يظهر في شعره ، يظهر  
في الغزل ، كما يظهر في فنون شعره الأخرى ، ويصوغه  
(عروة) بمعان مشتقة من روح الإسلام وتعاليمه .

★ ★ ★

هذا هو (عروة بن أذينة) الشاعر الغزل الرقيق الذي عاش في  
القرن الثاني الهجري في المدينة المنورة والذي أعجب به طالب عراقي  
فدرس شعره وقرأ عنه ، وحصل فيه على درجة الماجستير في الأدب من  
جامعة القاهرة .

★ لجنة المناقشة المكونة من  
الدكتور عبد العزيز مطر  
والدكتور محمود حجازي  
والدكتور يوسف خليفة . .  
وهم يناقشون الطالب في  
رسالته لئيل درجة الماجستير  
عن الشاعر الحجازي «عروة  
ابن أذينة» ★



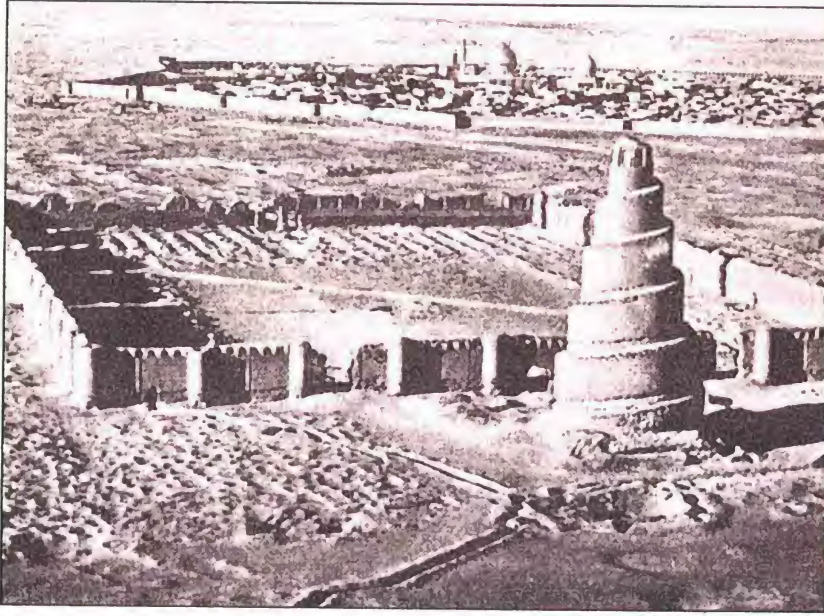




★ أول الأمراء « على المدينة » كان  
« سهل بن حنيف » وقد ولاه علي بن أبي  
طالب حين خرج إلى البصرة لقتال أصحاب  
الجملة .

★ أول الأمراء « على مصر » كان « عمرو  
ابن العاص » وكان ذلك لمدة أربع سنوات .

★ أول الأمراء « على مكة المكرمة » كان  
« عتاب بن أسيد » حيث ولاه الرسول عليه  
الصلاة والسلام حين خرج إلى حجة الوداع .



★ المسجد الكبير في سامراء ٨٥٢ م ★

### الأصدقاء .. والعتاب

● قيل قديماً : مما يجب للصديق على  
الصديق الاغفاء عن زلاته .. والتجاوز عن  
سيئاته ، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبته بلا  
إكثار ، فإن كثرة العتاب مدرجة للقطيعة .  
وقيل أيضاً : إن معاتبة الأخ خير من  
فقدته .

● وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله  
وجهه : لا تقطع أحنأك على ارتياب .. ولا  
تهجره دون استيعاب .

● أما « الأحنف » فإنه يرى أن من حق  
الصديق أن يتحمل ثلاثاً : ظلم الغضب ، وظلم  
الدالة ، وظلم الخفوة .

● وقال « عبد الله بن معاوية » :

ولست ببيادي صاحبي بقطيعة  
ولست بمفش سره حين يغضب  
عليك بإخوان الثقات فإنهم  
قليل فصيلهم دون من كنت تصحب

### طويلة .. بين القصار

★ الشعب الصيني ، معروف عنه أنه  
شعب قصير القامة بشكل عام .. ويندر وجود  
أشخاص طوال القامة فيه .. ولكنه قد ظهر  
مؤخراً أن أطول امرأة في العالم هي فتاة صينية .  
● عمرها : ( ١٧ عاماً ) .  
● اسمها : شون شانغ .  
● طولها : مترين وثلاثين سنتيمتراً .

- مسجد « الملاوية » في سامراء ،
- العراق .
- بدأ البناء فيه سنة ٨٤٢ م .
- انتهى بناؤه سنة ٨٥٢ م .
- مساحته ٣٧١٢٨ متراً مربعاً . طوله
- ٢٣٨ متراً ، وعرضه ١٥٦ متراً .
- لم يتبق منه اليوم سوى بعض
- الأنقاض .
- مسجد « جاما » في نيودهي .
- بدأ البناء فيه عام ١٦٤٤ م .
- انتهى بناؤه عام ١٦٥٨ م .
- مساحته : ( ٩٣٠ متراً مربعاً ) .
- ارتفاع منارتيه : ( ٣٣ متراً ) .
- لا يزال قائماً حتى اليوم .



# رسومات

## الفكرة الشاردة

★ أي «فكرة» يكون منبعها من داخل الإنسان ، معبرة عن ذاته ، ولذلك فإن لحظة الإمساك بها ، لحظة غير عادية .. فالإنسان وقتها لا يعرف بداية تكوينها أو نهايتها .. ولا أين يقف .. ولكن ..

إذا ساعدت الإنسان ظروف تكوينه «الابداعية» ، فإنه يستطيع الإمساك بـ «الفكرة» ، ويبدأ في الاستعداد لاختيار الإطار المناسب لوضعها فيه .. كأنه يضع صحبة من الورد الرقيقة في فازة جميلة .

ولصياغة أي «فكرة» ، فإنه يتطلب من الإنسان «الكتاب» ، إمكانية خاصة .. وتجربة حياتية .. ونفسية شاقة .. ولذلك ، فقد حاول الشاعر الإنجليزي .. «روبرت براوننج» أن يصور رحلة ميلاد «فكرة» في رأسه .. فكتب واحدة من قصائده الرائعة وقد أطلق عليها Two in The Campagna .

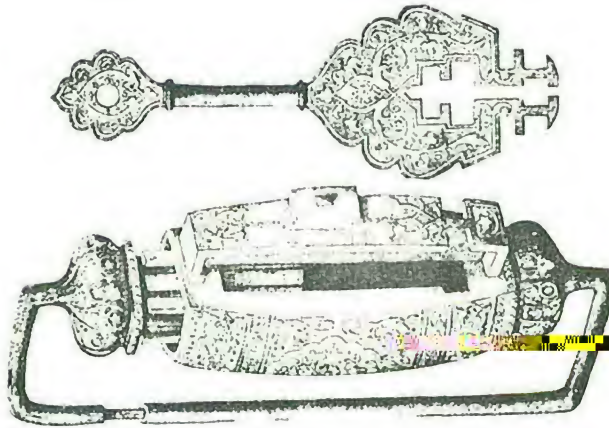
فالشاعر «براوننج» ، بعد لمس الـ «فكرة» التي هزت جدران عقله ومشاعره ، حاول أن يمسك بها ، ولكنها كأي شيء صعب المنال ، هربت منه ... فظل يطاردها وسط الحقول الخضراء .. وبين الأشجار .. وعلى أغصان الزهور .. إلا أنها اختفت ، كما لو كانت طيفاً عابراً مر بخاطره برهة .. وبعدها تلاشي ★



★ يعود تاريخ الصناعات اليدوية في إيران إلى عصور قديمة ... مثل النسيج الذهب ، والخمر على الخشب ، وصون الخط ، والصناعات النحاسية .. والذهبية والفضية والمجوهرات .. والسجاد .  
وفوق هذه السطور نشاهد نموذجين من السجاد الإيراني ، الذي يعتبر من أبرز مظاهر الفن الذي لم يتدنر ، ويتطور باستمرار ★

## أكبر ماسة :

- اكتشفت سنة ١٩٠٥ م ، في إفريقيا الجنوبية .
- وزنها : ٣١,٦ قيراطاً .
- قدمت هدية للملك ادوارد السابع في عيد ميلاده الست والستين ، من قبل حكومة ترنسفال .



★ دقة الصناعة العربية والنقش على الحديد بيد عربية ماهرة ، وهو عبارة عن قفل ومفتاح صنعا من الحديد ★

## السطور الأخيرة

★ العقل رائد الروح .. والعلم رائد العقل .. والبيان ترجمان العلم .

سهل بن هارون





# طيف

شعر: عبد المنعم الأنصاري

ونادى ، وما كان لي أن أُرَدَّ  
عليه ، إذا ما سمعتُ النُدا؟  
وأن أستجيبَ إليه إذا  
ما أتاني لِسألني مَوْعدا  
ولكن بعينيه كانَ الريحُ  
يُثدُّ لقلبي الغرير اليدا  
وكان الصبايحُ على وجهه  
جميل النهاية .. والمُبْتدا  
فلم أدر كيف استجبتُ إليه؟  
وكيف همستُ : أراك غدا؟  
وبادلته الحبُّ .. أعرفُ أي  
تجاوزتُ في الحبِّ كلَّ المذى  
وأني تسرعتُ .. فالحبُّ نارُ  
وهيأت للثَّار أن تخمدا  
ولكن بعينيه كانَ الريحُ  
يقولُ تعالي .. لكي نسعدا!  
فكيف أُرَدُّ نداء الحياة؟  
وأهرُبُ منه إذا ما أثبتدا؟

★ ★ ★

وراح .. وقد لا يعودُ قريباً  
فما عدتُ أدري له .. مَوْعدا  
ولكنما في فؤادي شعاعُ  
من الوهم .. لَمَّا يَزُلُ مَوْعدا  
أصيحُ له بين حينٍ وحينٍ  
يقولُ : سيأتي .. سيأتي غدا

وقالوا سيعبرُ دربي غداً  
كما يعبرُ الطيفُ خلفَ المذى  
وقد حَذَرُوني .. لكي أختفي  
وأهرُبُ منه إذا ما بدا  
وحاولتُ أن أختفي عندما  
يَمُرُّ .. وكان اختفائي سُدى  
فقد كان بيتي وسط الطريق  
وما كان للباب أن يُوصدا  
وكانت على شرفتي .. زهرا  
عطاشٌ .. تحنُّ لقطر الندى

★ ★ ★





# يوم الرضع .. محارب بكتيبة

يسابق الخيل ، طويل الأكراع خفيف الإهاب ، وليس عليه من ثياب تنقله ، اللهم إلا إزاراً قد لف حول وسطه ، ورداء قد اضطبعه اضطباع الحاج .

عدا ملتفاً ليستقبل الخيل النافرة والإبل الجافلة ، ثم استدار يواجههم ورمى سهماً مريشاً قد انتضاه من جعبته ، فأصاب مقتلاً من فارس ، سقط مجندلاً ، والقوم يسمعون صراخ سلمة ، كأنه يحذر إبلاً يترنم .

● خذها .. وأنا ابن الأكوع ... واليوم ... اليوم يوم الرضع .

واضطربت أقدام الفرس في راكبتها الذي سقط فكبت ، وما كادت أن تنهض من كبوتها حتى كان سلمة يضرب عجزها ، فارتدت إلى طريق المدينة سائقة أمامها بعضاً من الإبل المنهوبة . وما أسرع ما عدت الخيل على سلمة ، ولكنه كان إلى شرف مرتفع أسرع ، وسهم وراء سهم ينوشان شبحين صاحبا صيحة قتيل . ويعود ترنم سلمة .

..... وأنا ابن الأكوع ... واليوم ... اليوم يوم الرضع .

وتفر الخيل بفرسائها من نبلة وقائلهم يصرخ ، أكوعنا الغداة ... أكوعنا صباحاً .. ومد سلمة رأسه يعد الباقي من تلك الأشباح الهاربة في مضايق الطريق ، ويستطلع أنقاعهم ، كانوا بين العشرين والثلاثين على أفراسهم ، يسوقون أمامهم إبل رسول الله ﷺ حفاظاً عليها أن يفلت منها ما أفلت عند أول سهم وأول قتيل ، ويعين الخبير يرى سلمة أن القوم يضعون أنفسهم في مأزق ، إذ يسلكون ذلك الشعب الضيق بين الجبال ، وبخفة الغزال كان ينتقل من ربوة إلى ربوة فوق مستوى أبصار القوم ، وما هو إلا أن واجههم عند مخرجهم من الشعب ، ورمى فيهم بسهمه فأصاب وعقر .

ولم يرض فارس منهم عن هذا الحرج الذي واجهوه ، فآثر أن يواجه الخطر ليكني القوم أمره ، ويغطي فرارهم بسلبهم الذي استاقوه ، ولم يكذب فرسه بضرب الصخر بأرجله ميمماً شطر سلمة ، وسلمة قاعد بأصل شجرة ، حتى اقترب الفارس ، فلبسه السهم خارجاً من كتفه ومعها

كان الصباح ندياً ذلك اليوم ، ما يظن من يطالع فجره يستعرض الأفق أن له مع التاريخ شأن ، شمس لم تزل في خدرها ، والمدينة المنورة يلفها صمت العباد في الغداة ، قد احتوى أهلها مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق بالدور إلا القواعد والصبيان ، وشيوخ قد دب فيهم دبيب الوهن .

وهناك في الغابة ، على مشارف المدينة ، بات رجال شغلهم رعاية إبل رسول الله ﷺ ، سلمة بن الأكوع الأسلمي ، قد استغرقة التسبيح بعد صلاته ، وخلفه رياح غلام رسول الله ﷺ ، بينما كانت فرس لطلحة بن عبيد الله ، قد شد عنانها إلى شجرة قريبة ، وعلى فرع من السمرة قد تدلى قوس سلمة وجعبة سهامه .

وعلى مرمى سهم كانت اللقاح ترعى متناثرة هنا وهناك ، تحت عين راعيها الغفاري وزوجته ، وكان حفيف أغصان الغابة رتيباً خفيفاً ، وما من طير قد بدأ يضحو في وكناته ، صمت لا يقطعه إلا صرير جندب ، أو حركة ضب يتسلل وراء دويبة من دويبات الأرض وحشراتهما .

وأغمضت عينا سلمة ولكن قلبه يقط ، ولسانه مع عقله في ذكر الله مستغرقان ، والفرس تركض بحافرها وتسهل سهيل القلق ، فرغ سلمة هامته وفتح عينه وأدار رأسه بأطراف الأفق ، وكأنما تبين في غبش الظلام المدير أشباحاً تتحرك ، فقام إلى قوسه ونباله مسرعاً ، منبهاً رياح مشيراً إلى مقود الفرس .

وما كاد أن يفعل حتى كانت صرخة امرأة مكتومة ، وصيحة مطعون لم تلبث أن خمدت ، وحركة الأشباح تصيح في الإبل تسوقها أمامها ، وقد احتملوا المرأة بعد قتل زوجها .

بديهة المحارب سريعة ، وتقديره للموقف كان واضحاً ، هم جمع وهو واحد ، ومعهم خيل وليس معه إلا فرس ، وما هو بفارس ، فأمر رياحاً أن يعتلي الفرس ويسرع إلى قلب المدينة نذيراً لرسول الله ﷺ ومن معه ، وأسرع هو إلى مرتفع ثنية الوداع ، وصاح صيحة النذير :

— واصباحاه ... واصباحاه ... واصباحاه !! صيحة يعرفها الناس وينذرون بها ، فلا يؤخذون على غرة .

وانطلق سلمة وراء الكتيبة التي استأقت الإبل ، وكان عداء



.... . . . . . واليوم ... اليوم الرضع .

وانطلق الغزال من روبة إلى روبة ، حتى كان فوق رؤوس القوم ثانية  
يدحرج عليهم صخور الجبال ، ويرميهم بالحجارة ، وثار الرعب في قلوبهم  
فأفلتوا الإبل ، وتخففوا فالتقوا رماحاً وأبراداً لهم ، وابن الاكوع يضع  
على البرود علامات ليعرفها رسول الله ﷺ ..

\*\*\*

هناك في قلب المدينة كان أسرع الناس إلى الصوت رسول الله ﷺ ،  
وربما ينهب الأرض بفارس طلحة ، وما وافى إلا والقوم يتتابعون إلى  
رسول الله ﷺ فالتقى إليهم خبره : عبد الرحمن بن عيينة ... في خيل  
من غطفان قد أغار على سرحك يا رسول الله ... وتحفز الفرسان ،  
وجدوا مع رسول الله ﷺ في أثر القوم يتلاحقون ، والغبار يرتفع مع شمس  
الضحى يملأ السماء .

\*\*\*

... أما خيل غطفان فقد تجددت على الطريق ، جاءهم عيينة بن  
حصن بالمدد ، لما استبطأ القوم ، فقمعدوا ينضحون عن أجسامهم ،  
وسلمة على فة أعلامهم .

جروا وهم على ظهور الخيل لما سبقوه ، وما خلأهم ، وسلخوا  
الشعاب والشنايا ، لتمجزه الروابي والقفن ، لما أعجزه قفزها كوعل  
الجبال .

ونظر عيينة إلى علي ، وسأل ما هذا الذي أرى ، قالوا :  
والله لقد لقينا من هذا البرج .. ما فارقنا منذ الغلس  
يرمينا ... ، حتى استنفد كل شيء كان بين أيدينا .

● قال : وما صبركم ... ؟ فليقم إليه أربعة منكم ، واختار من  
ظنهم أشجع القوم .

وما إن اقتربوا منه حتى كان سهم من سهامه مفوق إلى صدورهم  
مصوباً ، وصاح فيهم : دونكم !

فتمسروا حيث هم ..

فقال : أتعرفوني .. ؟

فقالوا : من أنت .. ؟

قال : سلمة بن الاكوع ، والذي كرم وجه محمد .. لا أطلب أحداً  
منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني أحدكم فيدركني ... فقالوا : إن نظن إلا  
ذاك ... وارتدوا مدبرين .

وظل سلمة راكباً ظهر الثنية ... ، وطار الغبار من خلفه ، وما ينظر  
إلا خيل رسول الله ﷺ ، وفوارس المسلمين يتخللون الشجر .

واستقبل الخيل نازلاً من ثنيته ، فإذا هو بقمير ، محرز بن حنظلة  
الأسدي ، يدعوونه الأحزم ، فأخذ ابن الاكوع بعنان فرسه ، وقال : يا  
أحزم إن القوم عما قليل .. فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق بنا رسول  
الله ﷺ وأصحابه .

فقال يا سلمة .. إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم  
أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة ..

\*\*\*

لقد كان قبر قريباً من حائط لعمود بن مسلمة ، وفارس محمود  
يسمع صاهلة الخيل ، ويجول جاذباً مقوده الذي ربط به ... فقالت نساء  
من بني عبد الأشهل : يا قير .. هل لك في أن تتركب هذا الفرس  
فتلحق برسول الله ﷺ وأصحابه ... ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه ، فلم  
يشب أن مد الخيل بجناحه ... حتى تلقاه سلمة .. وحاول احتجازه ..  
ثم خلى سبيله .

فما أسرع ما واجه القوم في جمعهم ومددهم ... ووقف لهم بين  
أيديهم ... صائحاً فيهم : قفوا معشر الكليعة حتى يلحق بكم من  
وراءكم من المهاجرين والأنصار ، فابتدر عبد الرحمن بن عيينة ،  
فمقر الأحزم فرس عبد الرحمن ، وطعن عبد الرحمن الأحزم ، فاستشهد  
الأحزم .. ففاز بما ابتغى .. وركب عبد الرحمن فرس الأحزم ..  
وتتابع خيل رسول الله ﷺ ، ولحق أبو قتادة الأنصاري بعبد الرحمن  
فقتله بطعنة نافذة ، بينما طعنه عبد الرحمن فعقر فرس أبي قتادة ، ومضات  
سيوف خاطفة تحمي وتميت بإذن الله ، في صراع ما أسرعه كلمح البصر ،  
وفرغ القاتل من قتيله ليتحول إلى فرس الأحزم ... وكانت الجولة فرصة





منحت القوم الفرار .

والذي كرم وجهه محمد ﷺ ، ما تركهم ابن الأكوع يفلتون يعدو عدو  
الظباء حتى ما يرى خلفه من أصحاب رسول الله ﷺ ولا غبارهم شيئاً . .  
ومالت الشمس للمغيب . . . نهار منذ فجره يطول . . . وابن الأكوع  
يرمي ويعدو ، ويصعد ويكر ، وما ناله القوم وهو يناهم وينال منهم ، حتى  
استرد ما استرد من الإبل ، واستنفد ما استنفد من المتاع والسلاح ، ونحلى  
كل ذلك لمن خلفه من فوارس . . يتابع القوم طراداً .

ومال عيينة بن حصن بن معه إلى ماء بذى قرد ، وقد ظنوا  
بأنفسهم النجاة ، فهموا أن ينالوا من الماء وقد جفت حلوقهم عطشاً ، فما  
إن رأوا طيبي الفلاة ، وأسند الغداة «سلمة» يعفر في عدوه ، فوالله ما  
نالوا من الماء قطرة ، وقاموا ييغون الفرار وعطف واحد منهم على سلمة  
رافعاً سيفه ، ولكن سهم سلمة كان أسبق واقعاً في نغص كتف عدو الله  
وترنيمة ترتفع . . .

خذها . . . وأنا ابن الأكوع . . . واليوم . . . اليوم يوم  
الرضع .

فصاح رشيق السهم . . . صيحة الألم : أكوعه . . . غدوة . . .  
وعشية .

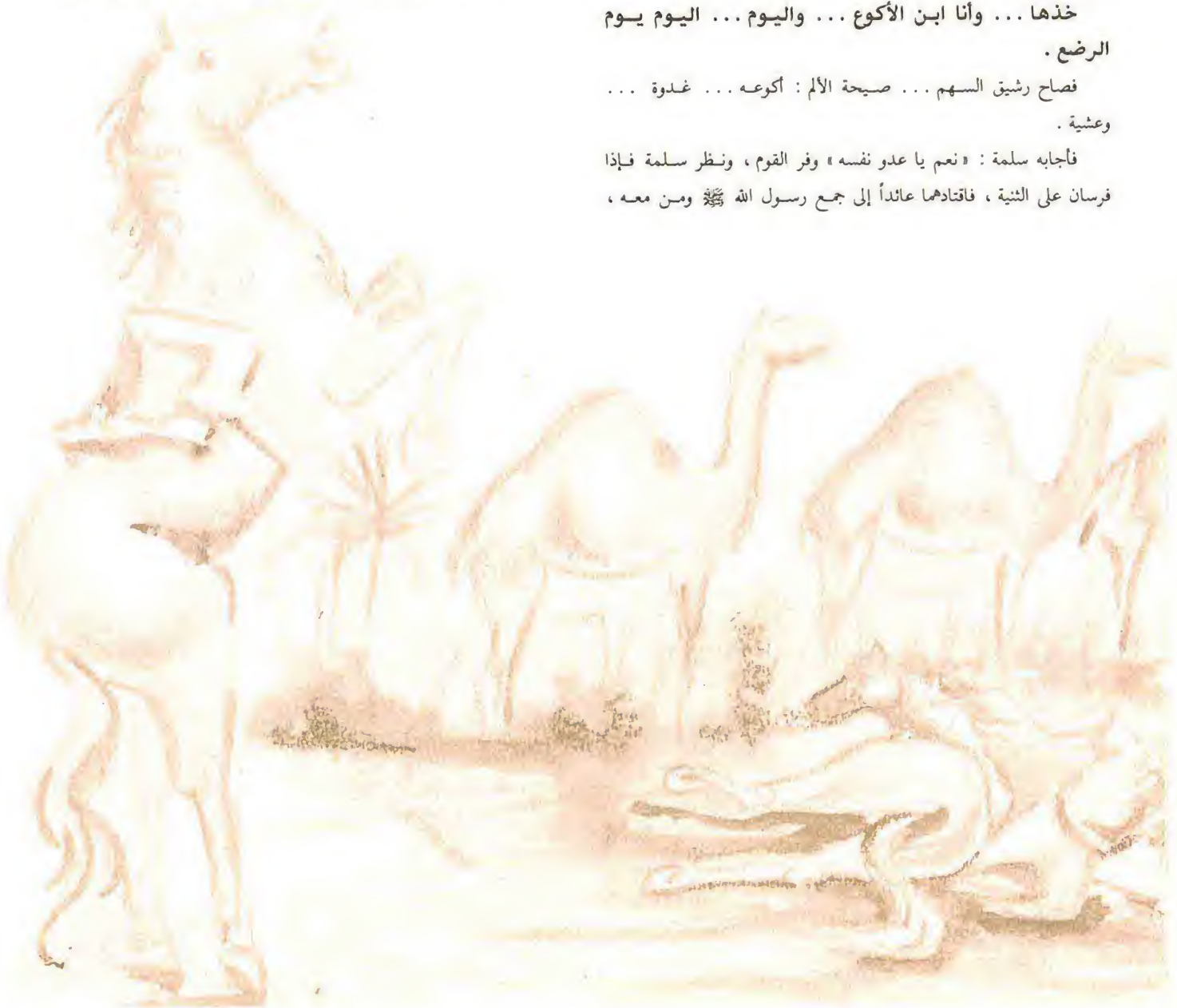
فأجابه سلمة : «نعم يا عدو نفسه» وفر القوم ، ونظر سلمة فإذا  
فرسان على الثنية ، فاقتادها عائداً إلى جمع رسول الله ﷺ ومن معه ،

وقد بلغوا الماء الذي حال سلمة بين القوم وبينه .

لقد فاتت صلاة الظهر والمصر ، وأوشكت الشمس أن تغرب ،  
وهذا عمه عامر ، يأتيه بشيء من لبن في قربة رثيئة من ماء في  
أخرى ، فيتوضأ سلمة ، ويشرب ، وما إن صلى حتى أتى رسول الله ﷺ ،  
فوجد الإبل التي استنفذها خلف المسلمين ، ومعهم كل رمح وبرد القاء  
القوم .

قال سلمة : يا رسول الله خلني فلأنتخب مائة رجل من  
القوم ، فاتبع القوم فلا يبق منهم عين ، فضحك رسول الله ﷺ  
حتى بانث نواجذه . . وقال له :

«أكنت فاعلاً» . . قال سلمة : أي والذي أكرمك بالحق . .  
وبانت الكتبية الهاربة في مضارب غطفان يولم لهم ، وذبحت لهم  
الجزور وما إن هم ذابحها بسلخها حتى رأوا غباراً .  
فقالوا : أوتيتم أوتيتم . . وفروا برعب يوم الرضع .







بقلم : عبد الله حسين بغداد



بمناسبة

عام  
الطفل

# جنون أم

عندما استوقفت صوت نحيب امرأة ، صوت كثيب ويأس ، يتردد بين الحين والآخر ، وكأنه نداء قد مزقه وأبجه طول التردد . قمت من مكاني . . انجذبت إلى النافذة لأعرف مصدر هذا الصوت . فعرفت أنه صادر من أحد البيوت المحيطة . . .

في صباح اليوم التالي سألت صديقي عن ذلك الصوت ، فقال لي : « إنه صوت امرأة مجنونة تنادي ابنها الذي يعيش بعيداً عنها عندما تأخذها نوبات الجنون . ولا أعرف من أمرها سوى أنها كانت تحب ابنها حباً شديداً ، وقد جنت عندما أخذها أبوه الذي طلقها منذ أن حملت به . ولكن هل أزعجك صوتها فلم تستطع النوم ؟ » . . . « لا . . لم يزعجني لكنه أحزنني حقيقة » .

وبعد أيام خرجت وحدي للترفة في إحدى الغابات التي تشرف على واد عميق لا يبدو للناظر قاعه إلا ضباباً ، وكان هناك بعض الصخور الكبيرة المتناثرة على حافة الهوة وكأنها أعدت إعداداً .

كانت الشمس تميل إلى الغروب ، وكنت أحاول الوصول إلى صخرة بعيدة ، فإذا بي وجهاً لوجه أمام امرأة ، طويلة القامة ، شقراء ، تناهر الأربعين من عمرها ، ذعرت عند رؤيتي لها ، لم تعرف أتبق أم تفر من وجهي ، ثم قالت وهي تحمق في : « ماذا تريد مني ؟ . . . لماذا تلاحقوني أينما ذهبت ؟ من أرسلك في إثري ؟ » ، قلت لها ، وقد عرفت أنها تلك المرأة التي كانت تنادي ابنها ليلة وصولي : « عفوك يا سيدي فلم أكن أقصد إزعاجك ، وما أردت ملاحقتك فانا غريب هنا ولم يسبق لي معرفتك » . ثم هيمت بالابتعاد عنها فإذا بها تتعلق بأطراف ثيابي وقد بدا عليها شوق كبير للتحدث معي ، وقالت : « أنت غريب هنا ؟ . . . هل رأيته ؟ . . . هل رأيت ابني ؟ أخبرني هل قال لك إنه سيأتي » ، ثم أخذت تبكي ، فقلت لها محاولاً التخفيف عنها : « هوني عليك ، فما كل غريب يعرف ابنك . غير أنك لو قصصت علي مصابك ربما استطعت مساعدتك في العثور عليه ، فانت لا بد في كرب عظيم » . . . « بل إنني ضائعة كطفل صغير ضل بيته ، لقد سرقوه مني ، ولا يمكنك مساعدتي . . » ، قالت ذلك ثم أمسكت عن الكلام غير أنني

تلقي بنا الأسفار أحياناً كلما تلقي بنا الأقدار إلى مجاهل الدنيا الغربية ، فيبقى لنا منها في خواطرنا ذكريات خفيفة كنسمة عابرة لم تترك ببال الأزهار التي حركتها غير صدى اهتزازها ، أو عميقة كأودية السيول تبقى على مدى العمر محفورة . وهكذا الأيام تمر بمرحلتها وثيدة وسريعة ، ثم لا يبقى لنا منها غير ارتجاف نبضات الحياة في لحظاتها .

ألا يحتفظ كل فرد منا بتذكارات أسفاره ومعارفاتها ؟  
الم يأخذك يوماً سحر بلد مجهول النواحي والأصقاع ، عند الصباح ، وأنت تجوب طرقاته الجميلة المشعة بين أنفاس ري مجهولة العبير ؟  
ألا تلقي برأسك أحياناً إلى الخلف ، وأنت جالس ، ثم تغمض عينيك في لطف ، مسترجعاً ، تذكارات إحدى سفرائك ؟

شعرت اليوم بحاجة إلى الانفراد بنفسي ، والرغبة في التنزه بين التخيل ، كانت الشمس تميل إلى الغروب ، ومعظم الطيور قد أخذت على فروع الأشجار أماكنها استعداداً لاستقبال الليل في اضطراب وضجيج ، وكانت مجموعات من الغربان تمزق الفضاء بصراخاتها متجهة إلى مساكنها البعيدة المجهولة .

في الطريق أمامي كنت أرى أغصان الرمان وقد حركتها أفرعة الهواء الخفية تتدافع متهامة ، كفتيات فوجئ بوصول غريب فاسرعن للتواري بين فروع ضاحك وقهقهات خجولة .

تعود إلى خاطري أحداث رحلة هي اليوم أبعد ما تكون ، يفصل ما بيننا ضباب السنين المتلاحقة ، حينما دعاني أحد أصدقائي لقضاء إجازتي معه في بلدة الجميل البعيد . كان يسكن مدينة صغيرة تبعد عن العاصمة مسيرة نصف يوم بالسيارة ، قضيناها في حديث وضحك وتمتع بمناظر الجبال الأخاذة . كان الجو قاتظاً في العاصمة بيد أننا كلنا صنعنا الجبال أحسننا باعتداله وبرودته .

ساحر جمال هذه المدينة إلى أبعد مدى بغاباتها المحيطة وبيوتها المتناثرة فوق التلال . غير أنني كنت متعباً ولم أستطع التجول ذلك اليوم ، والمساء قد اقترب ، فضلت البقاء في بيت صديقي نتجاذب أطراف الحديث حتى يحين موعد النوم .

الساعة تقترب من العاشرة مساء ، وأنا مستغرق في قراءة ما قبل النوم



أحسست أنها تريد مواصلة الحديث ، فلم أنبس بكلمة رغبة في المزيد من معرفة مكوناتها نفسها ، وبعد دقيقة ألفت إليّ في جمل متقطعة ومؤلة بهذا الحديث الذي بقي محفوراً في شعوري وسوف يبقى إلى الأبد . . . قالت : « جميع من في المدينة يقولون إنني مجنونة لأنني لا أذكر إلا اسمه ، لا أنادي إلا بإياه ، ولا أريد . . . آه ، ماذا أريد ؟ إنني لا أدري ما أريد ، فلو عاد اليوم لما عرفته . . . لما أنست له ، ومع ذلك فإنني أنتظر عودته ، وهو عالم بذلك ، لكنه أفهمني أنه ضاق بجسبي وبما يردده الناس عني . . . واليوم بل وكل يوم أبحث ، أنا ، المجنونة ، في هذا الوجود القاسي عن طفلي الصغير ، الذي لمع في حياتي كوميض برق ، ثم في ظلام الحياة أخذ مني . كم قبلته وهددته ، وكم في عين الوجود أغليتته . كنت أنتفض نشوة وأنا أتأمل لسؤلوة الحليب ، المرتعشة ، المتكورة على شفتيه المكتنزين الحمراوين ، وهو يغبط في نوم هنيء حالم ، تتخلله انتفاضة خفيفة بمد أثناءها كلتا ذراعيه ثم يقبض على الهواء ظاناً إنه ثديي ، فيأخذ في تحريكه بسرعة متلاحقة لا يلبث أن يخلد بعدها إلى الهدوء . كنت أستيقظ أثناء الليل متسللة نحو مهده أنقر الأرض حوله ، خوفاً ولهفة ، وأسهر حادثة عليه أحياناً حتى الفجر ، قائلة لنفسني : لماذا انفصل عن جسمي ، ولم يبق في أعماق تكويني ، في إحساسي ؟ لماذا انفصل ؟ أهى بداية ابتعاده عني . آه يا سيدي لو أصبح ذراعي في ذلك الوقت لما قنعت لأنها لو انفصلت عن جسمي لأصبحت شيئاً أراه ، ولا أحسه . كنت أريده الإحساس الذي يحرك ذراعي وعيني وجسمي . كم أنا مجنونة ، لكنني كنت خائفة أن يؤخذ مني هذا الجزء بل هذا الكل العزيز من نفسي . وأصل بعده . كنت أبكي لغير ما سبب . عندما ابتسم للمرة الأولى أثناء مداعبتي له ، حضنته إلى صدري بقوة ، وأخذت أنتحب طوال يومي . وكان الجميع منذ ذلك الوقت يشيعون أنني مجنونة ، فقد انشغلت عن الدنيا كلها بصغيري ، فلا يراني أحد إلا منكفئة عليه متأمل في وجهه . لقد جننت حقاً به وجنت بيلمي ، يا سيدي ، ناكاً ترصغ بدني فيندفع الحليب على جوابي ، فاستغر بسعادة لا تعرفها السعادة نفسها وهو يمتص مادة حياته من كياني . ثم سرقوه مني ، لست أدري كيف ، لست أدري متى ، جاء أبوه الذي طلقني منذ كنت حاملاً . بعد أيام أخذه ، لا تسليني كيف ، اختفى ابني فجأة من بين يدي وانقضى ما كان من ذلك الزمان . إنه لم يعد ملكي ، لم أره إلا بعد انقضاء سنوات سبع . »

ثم توقفت عن الكلام فجأة ، وكأنما برز أمام عينيها إنسان آخر التفتت إليه وأخذت توجه حديثها إليه وكأنني لم أعد موجوداً أمامها :  
« آه يا ولدي !

« رأيتك ذلك اليوم بعد انقضاء سبع سنوات على فراقنا ، وأنست لي



منكر .

« أما لحث في عيني أمك هذا الشوق الظامي إلى التخلي بك ؟  
« أما رأيت هذه الأذرع المشفقة الممتدة نحوك ، الباحثة أبداً عن احتضانك .

« أما سمعت نداء قلبي لك يريد حمايتك من واعر الدروب ، وقاسي الأيام ؟

« فيم أنت واجم تنظر إلى أمك الضائعة الغريبة في استحياء ، وخوف ، وأنا تسبقني إلى الظلام ، أدمعي ، فلا أنطق إلا بكلمات متقطعة ، مبتلة ، ومذعورة .

« أما كفاني تمزقاً طول انتظاري لك ، وحنيني إليك ؟ أما عرفت كيف ضيعتني الأيام من بعدك ، وكيف يستبد الذعر بي كل ما مر بمخاطري ذكرك .

« يا حبيبي ، وأنت واقع بين أبوين كلاهما يحبك ويخشى عليك عوادي الزمان . . . بين أبوين لم يجمع بينهما سوى التنافر ، والتباغض ، تماماً كما تجمعك بهما المحبة والاشفاق ، إنني أخاف عليك .

« آه يا نفسي ، التي أفلنت مني ، وحكمت عليّ بالضياغ والغربة . . . متى تعود ؟ »

ثم التفتت إليّ وكأنها أفاقت من خيالها : « إن الأطفال يتغيرون بسرعة مذهلة يا سيدي ، فهذا ابني وهذه ملاعبه ، لكنه تغير ، وكبر دون أن أراقبه وهو يكبر ، وهذا لعمري عذاب لا تحتمله أية أم . إنه يخطر أمامي بثبات غير أنني لم أعد أجد فيه صغيري الذي على صدري كان ينام . كنت أناديه بالأمس فيضحك ، وأناديه اليوم فيجمع ولا يريد الاقتراب مني . لقد سرقوا مني طفولته وحبه وحنانه الذي انغرس في ضميري إلى الأبد .

« بعد سنوات طويلة لا أدري عددها مات أبوه ، ومات جميع أهلي ، فكأنما أنقذني ربي من الوحدة والوحشة إذ أعاد إليّ ابني ، الذي لم يطق البقاء في هذه البلد . فأخذني معه إلى العاصمة ، لقد أصبح رجلاً ، وله حياته التي حرصت على عدم التعرض لها . لكنه أخبرني يوماً أنه يريد السفر إلى الخارج ليتزوج من فتاة عرفها أيام الدراسة . . . فتوسلت إليه ألا يفعل ، لأنه إن سافر ، فسوف أبقى وحيدة لكنه أكد لي أنه لن يتأخر طويلاً .

« انقضى شهر عاد بعده مع زوجته التي أحببتها كثيراً ، غير أنها لم ترقها محبتي لابني ، فوضعت بيني وبينها حاجزاً لم أستطع برغم كل محاولات هدمه . حتى أصبحت في النهاية لا توجه إليّ الحديث مطلقاً . وبعد مضي عام أفهمني ولدي ، أنني إنسان زائد في بيته . . . لم يصرح بذلك لي . لكنك تعرف يا سيدي أن من يحب محبة صادقة لا يخونه إحساسه أبداً في تفسير تصرفات من يحب ، فطلبت منه أن أعود إلى بيبي وأن يزورني بين وقت وآخر ، فوافق بعد إبداء معارضة ضعيفة .

« وبالفعل فقد كان يردد عليّ خلال الأشهر الأولى ، ثم تباعدت زيارته ، حتى انقطع تماماً . فذهبت بنفسني إلى العاصمة لاستقصاء أخباره ، فعلمت أنه هاجر مع زوجته إلى بلدها ولم أعد أعرف عن أخباره شيئاً إلى اليوم . وكما ترى الآن يا سيدي ، فانا ضائعة ، ليس لي في هذه الدنيا غير ما امضغه من ذكرى حياة لم تدم طويلاً .

حاولت أن أقول شيئاً أعزبها به ، غير أنها أدارت ظهرها لي وخطت بضغ خطوات ، وكانت الشمس قد غربت ، فنظرت إليها قليلاً ، ثم تركتها وعدت مسرعة إلى بيت صديقي مغمرأ بإحساس المرارة .





# النافذة

وفي النهاية قال الساعي بلهجة من يطلعهم على سر يأتهم عليه . «عندي لكم خبر . خير غير عادي ! إن رئيس قسمكم ، الذي لم يظهر له اثر هذه الأيام الثلاثة الأخيرة ، نقل . أجل ، نقل إلى الأقاليم ، وقد سافر إلى مقر عمله الجديد ليلة أمس على وجه السرعة . وبذلك ، فنذ صباح غد ، سيأتي إليكم رئيس جديد للقسم . خذوا حذركم ! » .

كان الساعي قد رفع الكلفة بينه وبين الجميع . أرادوا ذلك أو لم يريدوا ، وكان يروق له أن يمزح ، بل وأحياناً كان مزاحه من النوع الأسود . ذات مرة ، فتح الباب باندفاع وصاح فيهم «رئيس الحكومة يمر للتفتيش» ! فأسرع الجميع يرتبون مكاتبهم . اختفت الصحف والمجلات ، ودست في أعماق الأدراج كما أن آنسة الارشيف التي كانت في تلك اللحظة ترفو جورباً ، وخزت نفسها بالإبرة من شدة ارتباكها . والأعيب أخرى كثيرة من هذا القبيل كان الساعي طيب القلب ، المتفاني في خدمة المستخدمين يقدم عليها من وقت لآخر .

ولو لم يكن مكباً على دفتر المراسلات عندما أخبرهم الساعي بالنبا لهر كنفه كما لو كان يقول «وماذا يعني هذا التغيير؟ رئيس قسم هو رئيس قسم ، لا شيء أكثر ولا شيء أقل» ، لكنه كان غارقاً تماماً بين دفني الدفتر الكبير ، ولم يكن يوسعه أن يأتي بكنفيه مثل هذه الحركة .

وما الذي يعنيه أن يتغير رئيس القسم . ليس لذلك من أهمية أكبر مما لتغيير ترس في آلة . عندما تخلع ترساً وتضع مكانه ترساً آخر فإن ذلك لا يغير شيئاً في ميكانيكا الوظيفة العامة ، فليس للتغيرات التي تجري على السطوح أي دلالة خاصة .

لم ينس بيت شقة ، لم يأت حركة ، ولا بدت على وجهه بادرة . أخذ المراسلات الواردة وشرع برتبها .

إنه آخر من يمكنه أن يفسر التغيير الذي جرى وعلى الرغم من ذلك كان هو البطل ، أو بعبارة أدق أحد البطلين لما حدث . ولم يكن ثمة ممثلون ثانويون . أو ربما

كان هذا سره ، اكتشافه الخاص ، الذي تكامل رويداً رويداً في ضميره ، وفي قلبه . كان اكتشافاً له بدايته ونهايته على مدى ما عاشه حتى الآن من أعوام ، وكان عمره ٤٣ عاماً . «نحن البشر نحيا في عزلة ، كل منا وحيد . ملايين الناس في عزلة تامة . كل منا كما لو كان هو الإنسان الوحيد على الأرض . إنها إنسانية العزلة» .

كان هذا ما هداه إليه تفكيره ، وكان ينخر في أعماقه صباحاً وظهرأ ومساء ، أيام العمل وأيام العطلة على السواء . بل وربما كان هذا الذي اكتشفه عن عزلة الإنسان أكثر أخذاً بخناقته عندما كان لا يذهب إلى المكتب ، فيتراحم على عقله كل ما عاينه وخبره طوال سنوات عمره الثلاثة والأربعين .

وليس معنى ذلك أن حاله كان يتغير عند وجوده بالوزارة ، أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت من الساعة الثامنة والربع صباحاً إلى الثانية بعد الظهر . ثم من الخامسة والنصف إلى السابعة والنصف مساء (فيما عدا السبت) فقد مضى يحمل بداخله إحساساً بالعزلة وراح يجرجره حتى هناك ، وذلك كختم دامغ انطبع عليه على الدوام .

أكانت العزلة اكتشافه هو فحسب؟ إنه لم يكتشف شيئاً غير معروف . كلا ، إنه لم يخترع العزلة ، فهي تجري في دمائه ، ولكنها الآن عندما اكتشفها تبدوا كأنها وجدت لأول مرة . كأنها أمر جديد في حياته . وهذا ما حدث بالنسبة لكل شيء في دنيانا ، كالحب والموت وغيرهما . فعندما يصوب الحب أو الموت إلى أحد سهامه ، فهو أول من أحب ، وغيره لم يمت قط .

كان اليوم الثاني والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ، والنهار يقترب من الظهيرة . أخذ يقيد في دفتر المراسلات المكاتب الواردة في بريد الصباح ، دخل ساعي مكتب المدير . أغلق الباب وأسند إليه ظهره . ثم جال ببصره فيهم جميعاً - في المستخدمين الثمانية الذين يتألف منهم قسم التخطيط - ودقق النظر فيهم واحداً واحداً بالترتيب .





ينظر إلى الآخرين على أنهم مجرد أصفار، أو أرقام، أو قطع شطرنج، أو مجرد معايير في سفر العزلة.

ويظهر الرئيس الجديد ظهوراً غير متوقع على خشبة المسرح، أعطى نفسه مهلة أخرى لإصدار قراره الحاسم، النهائي، الذي لا رجعة فيه، القرار الذي يقضي «بأننا جميعاً غارقون في العزلة».

أصبحت لديه ورقة جديدة يلعب بها، ورقة أخيرة، الآن وقد جاء إنسان مجهول، يجلس أمامه، في الركن الآخر من القاعة الكبيرة، على يسار الباب. كانت أمامه فسحة صغيرة من الزمن يسير فيها أغوار الرئيس الجديد، ويجري عليه اختباراته وتبعاً لما تسفر عنه، سيتخذ قراره.

يحدث كثيراً، أن ترسم على وجه إنسان - قد لا نعرفه بل وقد لا يعرف هو أنه يحط أنظارنا - ترسم بادرة يتحدد على هديها مصير قيمة من القيم. فقد تخلص من حكنا على تصرف من التصرفات أنه «ما عاد في هذه الدنيا للخير وجود، أو إلى أنه «لا زال هناك من يستجيبون لصوت الضمير».

الرئيس الجديد جم الأدب مع الجميع، ولكنه دقيق أيضاً في معاملاته. يتابعه سراً من ركنه. يتفحصه من بين ما على مكتبه من دفاتر مراسلات وسجلات. تارة يشعر به إنساناً دافئ القلب، ودوداً، ينفي فكرة عزلة الإنسان، وتارة أخرى يشعر به على العكس من ذلك تماماً. تحيره صرامته والتزامه لحدود تباعد بينه وبين الآخرين يتمسك بها ويحافظ عليها، كل هذا يحيره ويرديه في أفكار مظلمة، جد مظلمة. فيوشك على أن يترك نفسه تغوص عميقاً، وإلى الأبد، في مستنقع العزلة.

١٣ ديسمبر (كانون الأول)، الجمعة مساءً. في المكتب.

الساعة السادسة وعشر دقائق.. قيد في دفتر الصادر مكتوبة عاجلة ثم جاء الآن

كان الأصح أن نقول إن الممثلين الثانويين كانوا سائر المستخدمين في قسم التخطيط، وذلك في غفلة من أمرهم. لم يدركوا أنهم يقومون بأدوار الكومبارس في تلك المسرحية التي كانت تؤدي كل يوم، صباحاً ومساءً. لم يكن لديهم أدنى فكرة عن دورهم. على أن أحد البطلين أيضاً لم يكن لديه عن دوره أدنى فكرة، وهذا البطل هو الرئيس الجديد للقسم، الذي لم يكن قد انقضى على مجيئه إلى القسم أسبوعان ونصف أما عن البطل الثاني، فقد كان قد تورط في المسألة بمنتهى البساطة. ودون أن يتبين ذلك على الإطلاق. لم يكن بقادر على أن يفسر كيف استحوز الرئيس الجديد على كل هذا الاهتمام من جانبه. ربما لأنه وافد جديد، ولا يعرف عنه شيئاً، مما يثير فضوله أو ربما كان لديه - وهذا مجرد احتمال - ما يمكن أن يبذل الإحساس بالعزلة الذي تجمد في قلب مستخدم من الفئة الدنيا الكتابية، بمسك الصادر والوارد منزوياً في الركن الأيمن من القاعة الكبيرة، بجوار النافذة.

الرئيس الجديد صغير في السن أيضاً - ٣٤ عاماً فحسب - على ما ذكر ساعي الرئاسة الذي يتقصى لهم عن الأخبار، طويل القامة، شديد في انتقاء ملابسه ولكن بلا تكلف، جم الأدب مع الجميع، متمسك بالاصول في معاملاته.

مضى من ركنه برقبه، متجسساً عليه من وراء دفاتر المراسلات السميكة، كما لو كان مرابطاً في خندق. براوده وهو يراقبه أمل، أمل أخير أن يدحض الرئيس الجديد فكرته عن أن البشر، نحن البشر، معزولون كل منا عن الآخر، محاصرون بغربتنا حصاراً محكماً، مستحوزاً على أعمقنا كلها. وقد أقيمت على عيوننا، بل وعلى قلوبنا أيضاً، غشاوة فعمت الرؤية.

ومنذ أن أودع أمله الأخير في الرئيس الجديد، علم يجلب إليه تكديماً ما لهذه العزلة التي تكاد تكون حقيقة دامغة ونهائية، انصرف إليه بكل جوارحه، كما لو كان مصباحاً كاشفاً صوب إليه أشعته كلها، وغمره بالضوء كي يتسنى له أن يتفحصه، ويلتقط على وجهه أي لفظة أو بادرة تدل على أنه رجل دافئ القلب، لا





دور «المكاتب المطلوب الرد عليها». رئيس القسم هناك، في الركن الآخر، يراه يكتب، ثم يتحدث في التليفون. يشعل سيجارة، ويعاود الكتابة. ثلاثة أسابيع كاملة منذ أن تولى الرئيس الجديد مهامه، ولم يتغير الحال. كلا، ليس ثمة شيء واضح يعييه، ولكنه بدوره منطوق على نفسه، وتحية الصباح التي يلقبها في الصباح وهو يدخل المكتب، وتحية المساء التي ينطق بها منصرفاً في المساء، كلمات تبدو وكأنها ملصقة على شفتيه بورق من شريط لاصق. ينطق بها كي يؤدي بها فحسب ديناً تقليدياً، ويمارس عادة مألوفة، ولا شيء أكثر من ذلك. شفاته تحت الشريط اللاصق جافتان على الدوام، وقلبه مثلها. ما الذي يبق من التجربة الجديدة؟ ما خاتمة المطاف؟ عزلة؟ عزلة؟

الساعة السادسة واثنان وعشرون دقيقة. ربما كان الخطأ خطأ. أن منى نفسه بأمل، أن سمح بهذه اللعبة، بهذا الوهم، ظن أن الرئيس الجديد سيكون. كلا، الرئيس الجديد لم يغير شيئاً على الإطلاق.

الساعة السادسة وسبع وعشرون دقيقة. قال له ساعي الرئاسة الذي جاء إليه بأخر الأخبار، قال له بصفة خاصة جداً، إن الجو سوف يمطر. وقد شعر، وهو يميل عليه ويهمس له بذلك في أذنه، شعر بأنفاسه تدغدغه، ودون وعي منه انفلتت منه صيحة صغيرة «آخ!».

الساعة السادسة وخمس وثلاثون دقيقة. جاء ساعي الرئاسة من جديد. ولكن هذه المرة كان مجيئه لأن رئيس القسم طلب قدحاً من القهوة.

الساعة السادسة وخمسون دقيقة. كتب على علبه سجائره «نحن البشر، معزولون الواحد منا عن الآخر، نحن في عزلة تامة. كل منا عالم مقصي عن الآخرين، مقفل على نفسه» ثم قرأ ما كتب فوجده مضحكاً. ولم يكن بقادر أن يحدد ما الذي يجعل ما كتبه مضحكاً. ربما تأمل ما كتبه فوجده كذلك.

الساعة السابعة وعشرون دقيقة. يستعد سائر المستخدمين للانصراف. فغر زميله الجالس إلى يساره لما ضحكاً متأهباً للابتلاع - ترى من سيبتلع؟ - ثم في النهاية تئاهب فحسب.

الساعة السابعة وسبع وعشرون دقيقة. مضى المستخدمون الواحد في أثر الآخر نحو باب الخروج. يقولون للرئيس «طابت ليلتك» فيرد عليهم بدوره «طابت

ليلتكم» كانت تحيات الانصراف هذه كلها جافة، آلية، مثل دوي طلاقات. الساعة السابعة واثنان وثلاثون دقيقة. لم يبق سواهما: الرئيس مكب على أوراقه، ماض في الكتابة. بعد قليل، بعد دقيقتين، سيمر أمام مكتب الرئيس، ويقول له «طابت ليلتك» وسوف يرد عليه الرئيس قائلاً «طابت ليلتك».

وسوف تكون مكرمة كبيرة لو رفع إليه عينية ساعة التحية. أما أن يقول الرئيس «طابت ليلتك» ويشد على يده مصافحاً، فهذا ترف لا يتسع له المقام في دنيانا، التي تعاني اختناقاً مطبقاً بسبب ما نحن فيه من عزلة.

الساعة السابعة وثلاث وأربعون دقيقة. نهض توأ من مكتبه. تناول قبعته. يحملها في يسراه يمضي إلى باب الخروج. يتمهل أمام مكتب الرئيس الغارق بين أكوام من المحررات، فلم يتنبه إليه. متر وقليل من السنتيمترات يفصل الواحد منها عن الآخر. قال لنفسه «يجب أن يعنى بشعره. بدا ينحل عند الفودين».

المرّة، مد إليه يده، كما لو كان متأكداً أن الرئيس سيصافحه، ويقول له «طابت ليلتك» وستكون اليدان اللتان تشد كل منها على الأخرى، وتطبق عليها، كما لو كانتا تصدقان على معاهدة وتعلنان شيئاً مؤكداً: «كلا، نحن البشر لا نعاني من العزلة، لسنا غارقين في العزلة». ها هو الرئيس يرفع عينيه، ويرى اليد التي تنتظر، يمد يده - أخيراً! - يرفع قدح القهوة الفارغ ويتاوله آياه، يضع القدح في اليد المتعطشة إلى الدفء الإنساني. قال له الرئيس «طابت ليلتك، وأشكرك على حسن خدمتك» ثم أردف يقول «حقاً، كان القدح معوقاً لي».

أخذ القدح، وذهب ليضعه على مكتب آخر، بدلا من اليد الدافئة أعطي قدحاً بارداً. رأى رواسب البن أسود متجمداً في قاع القدح مثل دم أسود متجمد. وقف عند النافذة المفتوحة، تحتها بحر من الأضواء. أسند يده اليسرى إلى النافذة. وضع يده اليمنى على إطارها الخارجي. علقت بيده قطرة مطر، قطرة صغيرة هشة. ومن وقت لآخر راحت قطرات المطر تتقاذف عليه.

سمع الرئيس بجواره إلى يساره يقول: «أمطرت السماء! لم أكن أتوقع ذلك». لم يره وهو ينهض ويذهب ليرى المطر. استطرد الرئيس يقول: «المطر يتزايد. سرعان ما سينهمر بشدة. يجب أن أنصرف حالا. طابت ليلتك»، ولحظة أن قال له الرئيس «طابت ليلتك» ربت على يده المسندة إلى إطار النافذة الخارجي. تشبث بيد الرئيس ها هو قد كان مخطئاً، ومض بداخله ضوء. وقال «كلا، لسنا في عزلة نحن البشر» اختلطت قطرات المطر على وجهه بدموعه. كان اليأس على وشك أن يطمره. فجددت في الأمل، ومنحتني السعادة التي كنت انتظرها منذ وقت طويل. «كلا، ليست العزلة مكتوبة علينا. لسنا محكوم علينا بالعزلة. عندما يقول أحداً لآخر «طابت نهارك»، أو عندما يقول «طابت ليلتك» لا تكون هذه مجرد كلمات تلفظها الشفاه، بل هي من القلب تنبع! الآن، وقد مددت إلي يدك لتقول لي «طابت ليلتك» منحني اليقين الذي كنت أبحث عنه، لسنا معزولين بعضنا عن البعض. كلا! عندما ربت يدك على يدي ابتهج قلبي. فإذا يشد أحداً على يد الآخر محبباً فليس ذلك مجرد ضغطة من يد على يد، بل هي إيقاظ في الأعماق للفرحة للفرحة!».

تغيرت كثافة المطر الآن. اكتست الأضواء تحت المدينة ظلالاً جديدة. لا يأتي الرئيس أدنى حركة للانصراف. يبق هناك، أمام النافذة المفتوحة، أمام نافذة انفتحت بقوة، فأبانت له هو أيضاً عن أمر لم يفكر فيه قط، عن أمر لم يدر بخلده على الإطلاق. ها هو الآن لا يستطيع. ولكنه أيضاً لا يريد، أن يسحب يده التي أسندها إلى يد أخرى. يد الرئيس التي كان قد مدها ليضعها على إطار النافذة فأسندها إلى يد أخرى، أي بالمصادفة البهتة، أي على سبيل الخطأ.



★ محمد فريد أبو حديد ★



مطالعات...  
في الكتب

# محمد فريد أبو حديد

## كاتب الرواية

• تأليف: د. منصور الحازمي • عرض وتعليق: عبد العليم القبايني

★ لم تلق أعمال الكاتب «محمد فريد أبو حديد» - على الرغم من أصالتها - ما تستحقه فعلاً من الدراسة الجادة، وإذا كان قد جرى كثير من الحديث عنه وعن مؤلفاته في المجلات الأدبية أو في ثنايا بعض الملتقى وموسى، فقد اختفى هذا الحديث تماماً بعد وفاته، ولا ينسحب هذا القول على البلاد العربية الشقيقة فحسب، وهو الذي عبر بأدبه عن كثير من أحداثها، وإنما ينسحب أيضاً على «مصر» التي أنجبته، وقد أضاف إلى ثروتها الفكرية عدداً ضخماً من المؤلفات التي لا يماري أحد في سموها العلمي والأدبي ★

هاجر فيه جد فريد أبي حديد إلى وادي النيل وأنه توجد في هذه الرواية مشابهة من قصة جده<sup>(١)</sup>.

على أن أشهد أن تأليف هذا الكتاب - الذي لم أطلع عليه إلا أخيراً<sup>(٢)</sup> - أُرُضِيَ لزعة في نفسي، كانت تطالبني بالوفاء للرجل الذي قدمني إلى الناس سنة ١٩٤٨ م، عند حصولي على جائزة الشعر الأولى في مسابقة عامة أقامتها وزارة المعارف المصرية، وكان «فريد أبو حديد» هو المشرف عليها بوصفه مديراً عاماً للثقافة.

وكان أن حفرتي هذا الكتاب إلى كتابة مقال مطول بعنوان «كيف تعرفت على محمد فريد أبي حديد» بينت فيه، كيف بدأت هذه المعرفة، وكيف أنخر غرسها، وامتد عطاؤها من سنة ١٩٤٨ م، إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٦٧ م، وكيف أخرجني أسلوبه التزويدي السليم من العرلة التي أحطت نفسي بها، إلى مواجهة الناس في محالهم الأدبية المختلفة.

وهذا أكبرت عمل الدكتور «منصور الحازمي» في تأليفه هذا الكتاب «محمد فريد أبو حديد - كاتب الرواية» الذي سُدَّ نغمة عميقة كانت واضحة في جدار الوفاء الثقافي، ولقد أثبت الدكتور الحازمي - بهذا العمل - أن العروبة لا تعرف التفرقة بين أقاليمها وبين أبناء هذه الأقاليم، وأن أي فرد من بينها يمكن أن يقوم بما يجب على الفرد الآخر أن يقوم به.

أقول ذلك لأنني ظننت - وبعض الظن إثم - أن بعض الدوافع التي حدثت بالدكتور الحازمي إلى تأليف هذا الكتاب يرجع إلى أن «فريد أبو حديد» ينتمي إلى أصل حجازي، وكان «أبو حديد» قد تحدث بذلك إلى الدكتور «الحازمي» في مقابلة خاصة سنة ١٩٦٤ م<sup>(٣)</sup>. ولعل هذا الحديث هو الذي جعل الدكتور «الحازمي» يرى أن إنهاء أبي حديد إلى الحجاز هو أحد الخواطر التي جعلته يختار أن يكون بطل أولى رواياته «ابنة المملوك» حجازياً يهاجر إلى مصر في زمن «محمد علي» وهو نفس الزمن الذي





★ الدكتور منصور إبراهيم الحازمي ★

الأستاذ «دائرة» هنا سمعها، كما أني لم أقرأ هذه المسرحية شعراً، أما مضمونها فكان نقداً شبه صريح لبعض انحرافات الحكم في الأربعينات من هذا القرن وهناك وجه شبه ضئيل في الفكرة والبناء بينها وبين «صورة دوريان جراي» للكاتب أوسكار وايلد.

\*\*\*

نعود بعد ذلك إلى الموضوع الأساسي للكتاب وهو «عمد فريد أبو حديد - كاتب الرواية»، فنقول إن الدكتور «الحازمي» أعطاه الكثير من جهده باعتباره أغنى جوانب «فريد أبي حديد» الأدبية فكان أن قسم إنتاجه الروائي إلى ثلاث مراحل:

● المرحلة الأولى وتشمل سنوات ما بين الحربين العالميتين وتكاد على روايته «ابنة المملوك» باعتباره العمل البارز له فيها.

ولي هنا وقفة هامة، فقد ذكر الدكتور «الحازمي» أن هذه الرواية صدرت في جزءين عن مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٦م. وأن صاحبها لم يعد طباعته (ص ٥٣)، ولهذا لفت نظري وجود نسخة منها تحت يدي في جزء واحد تبلغ صفحاته ٤٣٥ صفحة من القطع دون المتوسط، كما يروي لنا الأستاذ فؤاد دائرة عن الأستاذ فريد أبي حديد أنه ألف هذه الرواية سنة ١٩١٨م، ونشرها سنة ١٩٢٤م. (٥) وعلى كل حال، قد يكون للنسيان دور في هذا التناقض.

وكذلك يرى المؤلف أن هناك مشابهاً بين هذه الرواية وروايتي استبداد المهالك والمملوك الشارد وكلاهما لرجعي زيدان، ولكني أرى أن هذه الرواية أقرب شبيهاً وجواً برواية «المملوك المفقود» تأليف الكاتب الإنجليزي «دافيد بدو»، وهي أحد المراجع المهمة لكتاب «فتح مصر الحديث» تأليف «أحمد حافظ عوض»، وهذا ترجمتان إلى اللغة العربية إحداهما لأحمد فهمي أبي الخير، والثانية لعباس حافظ.

\*\*\*

● وأما المرحلة الثانية، فتشمل أعماله الروائية من سنة ١٩٣٩م، إلى سنة ١٩٥٢م. وهي «الملك الضليل» و«زويبا ملكة تدمر» سنة ١٩٤١م، و«المهلهل سيد بني ربيعة» ١٩٤٤م، و«جحا في جانبولاد» ١٩٤٤م، و«عنتر أبو الفوارس» ١٩٤٧م، و«آلام جحا» ١٩٤٨م، و«السوءاء المرمرى» ١٩٥١م. ويحمل الدكتور «الحازمي» شخصيات أبطال «أبي حديد» في هذه الروايات، ويخرج من هذا التحليل بأن أبطال «أبي حديد» بعيدون عن سمات أبطال الملاحم العربية الشعبية، حتى التي استمد منها موضوع رواياته، فإن النصر الذي كان حليفاً مقدراً دائماً لأبطال الملاحم القديمة، نخل عن مركزه في روايات «أبي حديد»، ويقول المؤلف في هذا الصدد: «إذا نحن التفتنا إلى أبطال أبي حديد عنتره وسيف بن ذي يزن، والمهلهل الفيناهاهم يختلفون كل الاختلاف، إنهم يقفون وحدهم يناضلون ويجاهدون ويحاولون أن يشقوا طريقهم بأيديهم في غابة شائكة تملؤها الصعاب والعقبات. وهم غالباً ما ينهزمون، لأنهم يتأدون في تقدير طاقاتهم البشرية، فإذا الأقدار تسخر منهم، وتناوونهم، وتقف لهم في كل درب يسلكونه بالمحصار...» (ص ٧٦).

ثم يقارن المؤلف بين أبطال «أبي حديد» وأبطال «إبراهيم رمزي» في «باب القمر» و«علي أحمد باكثير» في «والإسلاماء» و«محمد سعيد العريان» في «على باب زويلة». ويخرج من هذه المقارنة بأن «أبا حديد» لا يعمد مثلهم «إلى تكثيف الخصائص الممتازة للامة في أبطاله، بل إلى إبراز إنسانياتهم وضعفهم وصراعهم مع الحياة، وأن هدفه أقرب إلى أهداف كاتب المأساة، وليس مثلهم إلى كاتب الملحمة...» (ص ٧٦ و ٧٧).

وقد تابع الدكتور الحازمي تحليله لأبطال روايات أبي حديد، فوجد أن أبا حديد رد أسباب هزائم أبطاله إلى عيوب كامنة في شخصياتهم، فالصلف وضعف الإرادة، والتهور، والاندفاع وراء الحصول على المتعة كل هؤلاء من النقص في شخصية «أمرى» القيس، وهي التي حالت بين «الملك الضليل» وبين النظرة الصحيحة، وهي التي أدت في النهاية إلى تحطيمه، وكبرياء «كليب» في رواية «المهلهل» تدفع به إلى إشارة

وقد نشر هذا المقال في مجلة «الكتاب» التي يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين بعدد أغسطس (آب) سنة ١٩٧٥م، ثم بدا لي أن أكتب كلمات موجزة عن هذا الكتاب القيم أستعرض فيها بعض جوانبه، وأتعرض إلى بعض ما تعرض له مؤلفه الفاضل معلقاً بما أراه واجباً من إشارة حول بعض النقاط. ثم لأقوم بالشكر الخالص لأستاذنا الدكتور «الحازمي» على ما قام به من جهد يذكر فيحمد طيلة صفحات هذا الكتاب.

\*\*\*

نعود بعد هذا التمهيد، فنقول إن الدكتور «الحازمي» بدأ كتابه بلمحات عن «أبي الحديد» وبين أن والده كان موظفاً صغيراً منتقلاً في الريف المصري، وأن والدته هي حفيدة الإمام الأكبر الشيخ سليم البشري (٣).

ثم تتبع مراحل دراسته، وأهمها تخرجه في المعلمين العليا سنة ١٩١٤م، وحصوله على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٤م، بعد دراسة مسائية، ويذكر كذلك الوظائف التي تقلدها، وكان آخرها وكالة وزارة المعارف، ثم تعيينه مستشاراً للوزارة في مصر ثم في ليبيا التي أسهم في إنشاء جامعها بعد إحالتها إلى المعاش سنة ١٩٥٣م، وأشار المؤلف بعد ذلك إلى أعمال «أبي حديد» غير الروائية كتأليفه لسيرتي «صلاح الدين الأيوبي» و«السيد عمر مكرم»، وترجمته لكتاب «فتح العرب لمصر» من تأليف الكاتب الإنجليزي «الفرد بطر»، وهو كتاب منصف يقول عنه الأستاذ أحمد أمين: «إنه لولا ما وضع على الغلاف من أن الكتاب ترجمة ما شك القارئ» من أنه عربي الأصل. عربي الأسلوب. عربي التفكير... وقد نرى مؤلفه في كتابه هذا نعمة احراق العرب لمكتبة الإسكندرية.

وتحدث الدكتور «الحازمي» بعد ذلك عن قيام «أبي حديد» بتأليف بعض كتب الأطفال كـ «عمرون شاه» و«كريم الدين» وترجمته لبعض كتب أخرى فهم كـ «دون كيشوت» لسرفانس وغيره، وقد كان «أبو حديد» يؤمن بما للأطفال من دين في أعناق الذين يستطيعون الكتابة لهم.

ثم تحدث الدكتور الحازمي عن استعمال «أبي حديد» للشعر المرسل في مسرحياته «مقتل سيدنا عثمان» و«خسرو وشيرين» و«ميسون العجصرية» و«سهراب ورستم»، التي كانت في أصلها ملحمة شعرية للشاعر الإنجليزي «ماتيو ارنولد»، وتكلم في إيجاز عن المسرحية النثرية عند «أبي حديد» فذكر اسم مسرحية «عبدة الشيطان»، وقد ذكر أن بها شعراً مرسلاً ولم يذكر لنا شيئاً فيه عن مضمونها.

وأحب أن أقف قليلاً أمام هذه المسرحية لأقول إن أستاذنا الدكتور «الحازمي» جعل عنوانها «عبدة الشيطان» والواقع أن العنوان هو «عبدة الشيطان» وليس عبده، ولم يكن ذلك عن خطأ مطبعي، فقد ورد العنوان على هذا الشكل ثلاث مرات ص ٩ و ٥٧ و ١٢٧.

وقد يدعني هذا إلى الظن بأن أستاذنا الدكتور الحازمي لم يقرأ هذه المسرحية وإنما نقل اسمها عن كتاب «عشرة أدباء يتحدثون» للأستاذ «فؤاد دائرة» (٤) الذي اعتقد أن الاسم ورد فيه خطأ عن إما عن طريق الطباعة، وإما عن طريق الاستماع إذا كان



قبل وعللنا هذا التناقض بأنه ربما كان من قبيل الشبان ونضيف هنا أنه ربما كان هذا الشبان من قبل الأستاذ أبي حديد نفسه .



ولم ينس الأستاذ الدكتور «الحازمي» أن يشير إلى سحابة الحزن التي تغشت أكثر روايات «أبي حديد» وردها إلى الصراع الداخلي الذي كان يموج بنفسه ، وقد اتخذ من إحدى عبارات أبي حديد مفتاحاً لأحد فصول الكتاب ص (٥١) ، فكان موفقاً في عرض نفسه من خلال هذه العبارة التي يقول فيها على لسان «زنوبيا» ملكة تدمر عندما قوض عرشها واعتزلت الدنيا وأخلدت إلى الراحة والسكون ووقفت تتأمل النجوم من شرفة قصرها المطل على المياه الفضية لنهر التبرير ص ٨١ :

... ماذا تقول النجوم لو كانت تستطيع أن تتكلم إذا نظرت إلى الإنسان؟!

المجد ، الذل ، الفقر ، الغنى ، السكون ، الزهد ، الطمع ، اللذة ، الألم !!

ما معنى كل ذلك في عين الأبدية الساكنة ؟  
اضطرب أيها الإنسان في حياتك الصغيرة ، كما يضطرب النمل الصغير .  
ولا تتطلع إلى أعلى .. لنلا يلحقك اليأس ... (٧) .



وقبل أن يختم الدكتور «الحازمي» كتابه القيم أراد أن يشير إلى عمق الناحية الإيمانية في شخصية «محمد فريد أبي حديد» فالتقى فقرات من مقالة لأبي حديد كان قد نشرها بمجلة «الثقافة» المصرية سنة ١٩٦٤ م ، بعنوان «هل ترتقي الحياة على هدي عقولنا؟» .

ونحن بدورنا ننتقي من هذه الفقرات قوله :  
«إن الإيمان هو الذي كان دائماً المحرك الذي يجعل العقل الإنساني يقوم بعمله في تحقيق الخير للإنسان» ص ١٠٨ .

ويحمل أبو حديد على أولئك الذين يدعون إلى التجرد من الإيمان بالله فيقول - في نفس المقال - : «إنهم إنما يحاولون بدعايتهم الخبيثة أن يصير الناس أشقياء في الحياة ، لا يحدون ما تتعلق به نفوسهم من الأعمال المتجهة نحو تحقيق ما يؤمنون به . وهم يحاولون كذلك أن يحولوا الحياة نفسها إلى جذب أشد من جذب الصحراء الصخرية التي لا تنبت شيئاً ، ولا تنطوي في باطنها على معدن من معادن الخير» ص ١٠٨ .

هذا وقد اختتم الأستاذ الدكتور المؤلف كتابه بفهارس أربعة هي :  
(١) فهرس روايات أبي حديد . (٢) فهرس للكتب والمجلات . (٣) فهرس للأعلام . (٤) فهرس للمحتويات .

## الهوامش

- (١) ص ٧ من الكتاب موضوع البحث .
- (٢) أطلعني عليه الأستاذ عبد الفتاح قدرى زوج الأستاذة الدكتورة «ليلي فريد أبو حديد» .
- (٣) كان من أكبر المحدثين في العالم الإسلامي وتولى منصب الإفتاء في مصر وهو والد الأديب الشيخ عبد العزيز البشري ورواه حافظ إبراهيم شاعر النيل بقصيدة طويلة مطلعها :  
أبديري المسلمون بمن أصيبوا وقد وادوا مسلماً في السراب ؟
- (٤) ص ١٣١ .
- (٥) نال فريد أبو حديد جائزة الدولة في الإبداع الفني سنة ١٩٥١ م ، عن هذه الرواية ؟
- (٦) في الأصل من مجموعة مع الزمان لفريد أبي حديد .
- (٧) ص ٢٩١ من روايته زنوبيا .

غضب «جساس» وقبيلته من جوره وعسفه وصلفه ، وكذلك نجد في «زنوبيا» أن كبرياء «أذينة» ومزاجه الحاد يدفعان به إلى إهانة ابن أخيه .. ص ٧٨ وينتهي الدكتور الحازمي بمرحلة أخيرة «مختلطة» بمرحلة «ثورة» .

«إن حجر في رواية الملك الضليل وأذينة في رواية زنوبيا» ، وكليب في رواية المهلهل إنما تحطمهم أفعالهم ، ويقعون فريسة لغيرهم وظلمهم ، ص ٧٨ .



● أما المرحلة الثالثة فتشمل روايته «أنا الشعب» ١٩٥٤ م ، و«أزهار الشوك» ١٩٥٥ م ، ويمكن أن نضم إليها مجموعته القصصية «مع الزمان» ، وتبدأ هذه المرحلة من سنة ١٩٥٢ م ، وتنتهي بوفاته . ولم يكن هذا التقسيم من الدكتور المؤلف عشوائياً ، فقد رده إلى الواقع التاريخي الذي عاشه العالم العربي خلال هذه المراحل ، وقد بين فيها أن الفترة الأولى أوحى إلى «أبي حديد» بالبحث عن الحقيقة في الماضي ، وقد كان أبو حديد يرى : «أنه ما من خلجة من خلجات نفوسنا إلا وفيها عرق متصل بمنايا الإنسانية الأولى ..» ص ٣٣ (٦) .

أما الفترة الثانية فقد أوحى إليه أن يبحث عن الحقيقة في القصص الشعبي ، ففيه الكثير من تجارب الشعوب ، ويمكن تحت رداءه أن يقول ما يشاء نقداً وتوجيهاً . هذا بينما طغى الواقع المعاصر على تفكيره ، في الفترة الثالثة .

وهذه الفترات الثلاث - فيما أحسب أن المؤلف يراها مترابطة متداخلة لا انفصال بينها ، وإن كان كل منها له دوره في التكوين الفني والأدبي «محمد فريد أبي حديد» .



وقد عمد الأستاذ الدكتور «الحازمي» إلى هذه الروايات التي أجملناها ففصل بعضها ورد مضمون عدد منها إلى بعض المؤثرات الخارجية التي أثرت في إنتاج «أبي حديد» والتي منها اهتمام «أبي حديد» بالرواية الإنجليزي «ولتر سكوت» وتأثره بطريقته في الكتابة ، كما قارن المؤلف بين «أبي حديد» وقصاصي عصره من ناحية المنهج والأداء ، وبين كيف استطاع «أبو حديد» أن يتخلص من الأساليب الروائية السابقة عليه ، حيث كان «جرجي زيدان» - على سبيل المثال - يهتم بالأبناء والحوادث التاريخية والوصف التفصيلي للوقائع ، أو بعبارة أخرى كان طغيان التاريخ ناماً على أعماله الروائية ، وقد حاول «فرح أنطون» أن يخرج الرواية من قيد المنهج التاريخي ، فاتبع المنهج التحليلي ولكنه - في النهاية - وقع في قيد التفكير الفلسفي مما أبعد - إلى حد كبير - عن الفن الروائي ، وأصبحت رواياته مقالات لها طابع قصصي .

ثم أرجع المؤلف - بعد مقدمة موضحة - تخلص فريد أبي حديد النسبي من الوقوع في طرائق الذين كانوا قبله .. إلا أن أبا حديد كان قصاصاً بالسليقة .

ولقد لخص المؤلف الفاضل عدداً من روايات «أبي حديد» تلخيصاً يتراوح بين الضيق والسعة ، ولا يشع الغمام هنا - بطبيعة الحال - لتلخيص هذا التلخيص - ثم ناقش آراء بعض النقاد في تقديم بعض هذه الروايات وبخاصة آراء الدكتور «محمود شوكت» و«عز الدين إسماعيل» و«عبد القادر القط» وفي تقديمهم لرواية «أنا الشعب» بالذات .. وحاول المؤلف في رده عليهم أن يربط بين «أنا الشعب» ١٩٥٤ م ، وابنة المملوك ١٩٢٦ م ، وبين كيف كانت ثورة ١٩٥٢ م ، مؤثراً فعلاً في الأولى وثورة سنة ١٩١٩ م ، مؤثراً فعلاً في الثانية وقال : «إن الضجيج والهتاف والتأثر بالشعارات كل هذا ترك أثره في «أنا الشعب» ، حتى بدا بطلها أشبه بدون كيشوت ، حيث يضرب بسيفه الخشبي في كل اتجاه ... بينما رأينا أبا حديد في ابنة المملوك لا يعنى كثيراً بالنقد الاجتماعي أو إبراز الصراع الطبقي ، ذلك لأن ما حدث في مصر عام ١٩١٩ م ، لم يكن سوى عمل وطني ، يهدف في المقام الأول إلى إخراج الإنجليز من مصر ..» ص ٩٥ .  
وهذه النتيجة التي استخلصها الدكتور «الحازمي» من تحليله لرواية «ابنة المملوك» إنما كانت من اجتهاد الدكتور الحازمي وحده ، إذ إن الأستاذ أبا حديد قال إنه ألف هذه الرواية سنة ١٩١٨ م ، أي قبل اشتعال ثورة سنة ١٩١٩ م ، كما أوضحنا من



## دائرة المعارف

### اختزال :

طريقة للكتابة بالسرعة التي نتكلم بها ، وتوجد طرق كثيرة للاختزال ، وتستغرق كتابة الكلمة المختزلة جزءاً من الثانية في حين أن كتابتها بالطريقة العادية تستغرق نحو ١٠ ثوانين .

### برجوازية :

كلمة من أصل فرنسي كان يقصد بها طائفة العاملين في المدينة ، الذين كانوا يمثلون اجتماعياً طبقة وسطى بين الجماهير المصدمة وطبقة الأشراف ، وهي الطبقة التي تضم التجار وأصحاب المصانع والعاملين في المهن الحرة كالأطباء والمحامين والموظفين الحكوميين ، وهم الذين يتميزون بثقافتهم وخبراتهم الخاصة وأسلوب مشترك في حياتهم الاجتماعية .

### تخثر تاجي :

هو توقف جريان الدم في شريان يغزو عضلة القلب ، وينجم التخثر التاجي غالباً عن جلطة دموية تتكون في شريان فوق بقعة من بطانته قد أتلفتها الرواسب الشحمية ، والحالة المترتبة على ذلك تسمى بالنوبة القلبية ، وهي تصطبغ في شكلها الشديد بألم حاد وغثيان وفيء وقصر في النفس وهبوط وهذه الحالة تستلزم بصفة عاجلة عناية طبية فورية .

### ثابت بن قيس الأنصاري :

هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الخزرجي الأنصاري ، خطيب الأنصار الشهير ، شهد معركة أحد مع رسول الله ﷺ ، وما بعدها من المشاهد الحربية حتى استشهد في معركة اليمامة . وهو الذي قال للرسول الكريم أول مقدمه إلى المدينة : غنمك مما غنم منه أنفسنا وأولادنا فآلنا؟ فقال الرسول ( الجنة ) .

### جاذبية :

الجاذبية هي القوة التي تجعل الأجسام تتحرك نحو بعضها البعض ، وسقوط الأجسام دائماً نحو الأرض هو التجربة العملية لهذه الظاهرة ؛ ذلك لأن جاذبية الأرض وهي جسم كبير تجعل الأجسام الصغيرة تتحرك نحوها بسرعة كبيرة . وجاذبية الأرض هي التي تحول بين القمر وبين الانطلاق في الفضاء ، كما أن جاذبية الشمس هي التي تجعل الأرض والكواكب الأخرى لا تترك مدارها .

### حقنة :

الحقنة ادخال مادة سائلة إلى الجسم بواسطة حقنة أو جهاز متصل بإبرة جوفاء ، وتعطى جميع المواد المحصنة للجسم بالحقن ، كما أن الحقن هي الوسيلة الوحيدة للعلاج والتغذية في حالة الغيبوبة ، ويفضل الحقن على تناول الدواء بالفم ، إذا فقد هذا الدواء فعاليته بتأثير العصارات الهضمية أو خرج من الجسم دون أداء الغرض منه . وتستعمل الحقن أيضاً للامراع في أثر الدواء أو لتخفيف هياجته إذا أدخل الجسم بطريق آخر .

### خوذة :

هي غطاء لحماية الرأس ، وقد ظل الجنود يستعملون الخوذات أثناء القتال في المعارك إلى أن بطل استعمال السيوف في القتال فاستغني عنها لسنوات عديدة . فلما قامت الحرب العالمية الأولى ، كان الجنود يقاتلون في خنادق وبذلك كانت الرأس هي أكثر أجزاء الجسم تعرضاً لنيران العدو ، لذلك رُوي صنع خوذات مسطحة من صلب رقيق لكنه شديد الصلابة لوقاية الجنود من الإصابات ، وهذه الخوذات لا زال يلبسها الجنود في ميدان القتال .

### دحية الكلبي :

هو دحية بن خليفة الكلبي صحابي مشهور ، كانت أول مشاهدته مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق ، وكان جميل الصورة يضرب بوسامته المثل ، كما كان من أهل الرأي والشجاعة شهد معركة اليرموك ، وكان قائد إحدى الكتائب فيها ، عاش حتى خلافة معاوية .

### ذات النطاقين :

هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ولدت سنة ٢٧ قبل الهجرة وهي أكبر من أختها عائشة أم المؤمنين بعشر سنين . لقبت بذات النطاقين لأنها أخذت نطاقها فشقت شطرين ليلة خروج النبي ﷺ وأبي بكر إلى الغار ، فجعلت واحداً لسفرة الرسول والآخر عصاًم لقرنته . أسلمت بمكة المكرمة بعد إسلام سبعة عشر إنساناً وبايعت النبي ﷺ وأمنت به إيماناً قوياً ، عرفت برجاحة عقلها وعزة نفسها وقوة إرادتها ومضاء عزيمتها وشجاعته ، توفيت سنة ٧٣ هجرية بخلافة عبد الملك بن مروان ، عن مائة سنة .





### الزّايعر الثالث :

اسم يطلق على ألمانيا إبان الحكم النازي (١٩٣٣ - ١٩٤٥ م) بزعامة أدولف هتلر. والرايخ كلمة ألمانية تعني إمبراطورية، والمقصود بذلك أن هذه الفترة من تاريخ ألمانيا تمثل العصر الذهبي الثالث على أساس تقسيم الرايخ إلى ألمانيا الشرقية والأمم المتحدة. والأمم المتحدة هي التي تقسم ألمانيا إلى ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية. والثالث العهد الذي قام بعد الحرب العالمية الأولى.



زَنَكَ :

عنصر معدني شائع يعرف في كتب الكيمياء العربية بالخاوصين ، لونه أبيض ضارب إلى الزرقاء ، يصدأ عند تعرضه للهواء الرطب ويصبح لونه رماديا وهو قابل للسحب والطرق ويصبح هشاً في درجات الحرارة العالية ، ينصهر في درجة ٤١٩° . يوجد في الطبيعة على هيئة مركبات سليكات أو كربونات الخاوصين ، ويدخل في إنتاج كثير من أنواع السبائك .



~ معنویاتی .

السفوفية هي موسيقى تؤلف لتعزفها آلات الأوركسترا لا تعزف على الكمان أو البيانو وحدهما، وتتكون السفوفية عادة من أربع حركات، الحركة الأولى سريعة، والحركة الثانية وثيدة، والحركة الثالثة مرحة، والحركة الرابعة التي تختتم بها السفوفية سمفونية مشرقية.



شفرة:

لغة اصطلاحية تستخدم في نقل الرسائل في نطاق من السرية وذلك لمنع تسرب محتوياتها إلى الغير، ويوضع أساس هذه اللغة بالاتفاق بين المرسل والمرسل إليه ، وعلى هذا الأخير حل الرسالة إلى اللغة العادية لمعرفة مضمونها . وتستخدم هذه اللغات منذ أمد بعيد في ميادين عديدة منها السياسية والعسكرية والتجارية وبذلت جهود باذرة لتعجيز الغير عن حل طلاسمها .



صرع :

اضطراب في الجهاز العصبي أبرز أعراضه النوبات التشنجية ، ونوبة الصرع تترتب على اضطراب مؤقت في الدقات العصبية المنبثقة من الدماغ وهي تسمى أحياناً باختلال النظم الدماغي أي اضطراب نسقه التنظيمي السوي ، وفيما عدا ذلك الاستهداف لمعانة هذا الاضطراب المؤقت يغلب الا يكون في الدماغ علة ما ، من حيث كل ما يتعلق بالذكاء والمواظف .



صراطی .

رسوم إجبارية واجبة الاداء للخرانة على الأفراد أو الهيئات بتوافر شروط خاصة في تقريرها وتحصيلها . والضرائب من مصادر الدخل الرئيسية في الميزانية العامة للدولة وتعرف الضرائب باسماء مختلفة كالرسوم والعوائد والدفعات ، وجميعها تعني شيئاً واحداً هو مبلغ من المال تجبیه الدولة من الأفراد باشتراكات صدرت بشأنها قوانين ضريبية .



طورانية :

حركة تركية قومية تهدف إلى تترك الدولة العثمانية بما في ذلك العنصر غير التركية، اشتقت اسمها من **طوران** وهو الموطن الذي انتشرت فيه القبائل التركية بما في ذلك العثمانيون، وقد برزت هذه الحركة بصفة جادة بعد نجاح جمعية الاتحاد والترقي، وتولى المناصب الكبرى في الدولة بعد عام ١٩٠٩م، فأسست الجمعيات والنوادي ووضعت البرامج لبث الدعوة الطورانية. وبعد الحرب العالمية الأولى وبعد أن تفككت الدولة العثمانية، انحصرت أهداف هذه الحركة في توكيد الفكرة التركية بين الأتراك أنفسهم.



الظواهر ( أزمة ) :

هي الأزمة التي وقعت أولا بين السلطان محمد الخامس وبين المقيم الفرنسي الجنرال جوان عام ١٩٥١ م، ثم بينه وبين الجنرال جيوم عام ١٩٥٣ م، حين أنذر المقيم الفرنسي السلطان في ١٣ آب (أغسطس) بأن استمرار أرضته «سوف يعنى هذه المرة السليم (الظواهر)» كئي «صك سنوات عديدة دون اعتماد» (والتي كانت تتضمن اعتداء على استقلال المغرب) قد تكون سبباً في عزله عن العرش، وفي ٢٠ آب (أغسطس) حاصرت القوات الفرنسية قصر السلطان ثم حملته طائرة إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر. فعرفت هذه الأزمة بأزمة الظواهر.



العلمين :

موقع صحراوي يقوم إلى الغرب من مدينة الاسكندرية وعلى مسافة ٦٠ ميلاً منها ، ارتبط اسمه بالمعركة الفاصلة أثناء الحرب العالمية الثانية في شمالي إفريقيا، وهي المعركة التي امتدت جبهتها من ساحل البحر عند العلمين إلى منخفض القطارة في الجنوب ، وتمثل خطأ يبلغ طوله ٣٥ ميلاً ، وقفت على جانبيه قوات الحلفاء ممثلة بالجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتجمري والقوات الألمانية والىطالية بقيادة المارشال رومل . ابتدأت المعركة في ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٢ م ، وانتهت بالنصر للحلفاء في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ م .





## غازات سامة :

عناصر أو مشتقات أو مركبات غازية تستخدم في الحرب ضد القوى البشرية الحاربة ، بما تسببه هذه الغازات عن طريق الاستنشاق أو التعرض للجلد بإصابات وأضرار تعوق أو تشل المجهود الحربي . وتسبب مضاعفاتها عاهات مستديمة أو تنتهي بالموت .



## فيزوف :

هو بركان يقع بالقرب من مدينة نابولي في إيطاليا ، وقد ثار ثورة عنيفة في سنة ٧٩ ميلادية بعد هدوء دام عدة قرون ، وكانت بومبي إحدى المدن الثلاث التي دُمّرت . ولما زلزالاً مدمراً لا يزال يكتسب أهمية كبرى في التاريخ . وفي عام ١٦٣١ م ثار فيزوف مرة ثانية وتسبب في قتل ألوف من الناس ومنذ ذلك التاريخ والبركان لم يهدأ غمماً .



## قنفذ :

حيوان ثديي صغير جسمه مغطى بالأشواك ، وإذا واجهه خطر كور نفسه فلا يظهر منه إلا أشواكه الحادة مسددة في كل اتجاه ، وبذلك يدافع عن نفسه ، وتغشى معظم الحيوانات الاقتراب منه ، ويتغذى القنفذ بالفاكهة وجذور النباتات والحشرات مثل الصراصير والخنائس ، ومن عادته أن يتغذى جيداً قبل أن يبدأ رومعه الذي يستغرق فصلاً الشتاء كله .



## الكاشي :

هو غياث الدين بن مسعود بن محمد الكاشي ، ولد في أواخر القرن الثامن الهجري في مدينة كاشان ، وعاش معظم حياته في مدينة سمرقند . يعتبر الكاشي عملاق الرياضيات في القرن التاسع الهجري ، ولم يكن علمه مقصوراً على ذلك فحسب ، بل كان على علم تام بالنحو والصرف وحجة في الفقه على المذاهب الأربعة ، كما درس المنطق واستفاد من دراسته له بدراسة الرياضيات والتعمق فيها . بنى في سمرقند مرصداً ممتازاً بالدقة ، سماه (مرصد سمرقند) وابتكر الكسور العشرية لأول مرة ، حيث استعملها في كتابه (مفتاح الحساب) . توفي عام ٨٣٩ هـ .



## لوغارتمات :

اللوغارتمات هي أعداد خاصة استخرجت بعمليات حسابية من أعداد عادية وادرجت في جداول بجانب هذه الأعداد العادية ، وأهم استعمالها أنها تمدنا بطريقة سريعة لاجراء عمليات ضرب أعداد كبيرة جداً . وكذلك عمليات أخرى مختلفة ، ولضرب عددين كبيرين نستخرج لوغارتمات هذين العددين من الجداول وما علينا إلا أن نجمع هذه اللوغارتمات فنحصل على لوغارتم جديد . والعدد الموجود بجانب هذا اللوغارتم في الجدول هو حاصل الضرب المطلوب .



## مارية القبطية :

مارية بنت شمعون القبطية أم إبراهيم من سراري النبي ﷺ مصرية الأصل . أهداها المقوقس القبطي سنة ٧ هـ إلى النبي فولدت له إبراهيم ، فقال : أعنتها ولدها . ولما توفي النبي تولى الاتفاق عليها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، وماتت في خلافة عمر بالمدينة ودفنت بالبقيع .



## نجران :

مدينة في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية ، كانت مركزاً لحضارات قديمة ما زالت آثارها منقوشة على الصخور ، وهي مدينة الأخدود الذي ورد ذكرها في القرآن الكريم ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ حيث لا زالت الآثار باقية تدل على ذلك . وقد أصبحت مدينة نجران مدينة حديثة بحكم التطور السريع الذي تمر به مدن المملكة عموماً .



## وزارة ائتلافية :

هي هيئة وزارية مؤلفة من أعضاء ينتمون إلى أحزاب مختلفة كما تضم غيرهم من المستقلين الذين لا ينتمون إلى حزب بذاته ، والوزارة الائتلافية استثناء للقاعدة ، إذ الأصل في أعضاء الوزارة التجانس من حيث السياسة العامة للحكومة ووسائل تحقيقها . تقوم الوزارات الائتلافية لدواعي مختلفة أبرزها عدم حصول حزب من الأحزاب السياسية على أغلبية تؤهله للاضطلاع منفرداً بمسؤولية الحكم ، ومنها تأليف جبهة وطنية من عدة أحزاب لمواجهة حالة استثنائية قد تعرض الوطن للخطر أو أنها تشكل للتكاتف على رسم سياسة قومية تخرج الوطن من أزمة نازلة كحالة حرب أو كارثة اقتصادية .



## هانيبال :

قائد من قواد الجيش القرطاجي البارزين ، عاش بين عامي ٢٤٧ - ١٨٣ قبل الميلاد ، زحف بجيوشه لغزو روما من شمال إفريقيا ، واخترق إسبانيا ثم عبر جبال البرانس ونهر الرون ، ثم جبال الألب إلى أن وصل إلى روما ، وكان جيشه حين بدأ زحفه يتكون من ٩٠,٠٠٠ من الجنود المشاة و ١٢,٠٠٠ من الفرسان وأربعين فيلاً ، وقد انتصر على الرومان في عدة مواقع رغم فقدته أكثر من نصف جيشه أثناء زحفه .



## يرقان :

هو اصفرار الجلد والعينين نتيجة ازدياد نسبة خضاب الصفراء في الدم ، وأول ما يظهر اليرقان بالعينين وقد يخفى على غلطط المريض إذا ظهر تدريجياً بحيث تصعب عليهم ملاحظته . واليرقان عرض لعدد من أمراض الكبد والمرارة والدم ، كاحتباس الصفراء بقناة الصفراء التي تصل بين الكبد والأمعاء فتتراكم الصفراء في الدم وتسرّب منه إلى البول فيصبح داكناً ، وتعالج هذه الحالة بإزالة السدة جراحياً قبل أن تتلف الكبد .



## و تعليقات

### المسلمون في يوغسلافيا

ضمن البحث الذي نشره الأستاذ محمد إبراهيم في العدد (١٨) من مجلة (الفصل) الموقرة تحت عنوان (المسلمون داخل المجتمعات الأوروبية)، كتبت أسرة الفصل تعريفاً ببعض المسلمين في بعض البلدان الأوروبية ومنها تعريف بالمسلمين في يوغسلافيا، وحول المسلمين في يوغسلافيا أود أن أضيف بعض المعلومات إلى ما سجلته أسرة الفصل.

كما هو معروف فقد دخل الدين الإسلامي إلى بلاد البلقان في بداية القرن الخامس عشر على أثر الفتح العثماني. والبعض وقف في وجهه على أساس أن الإيمان برسالة الإسلام، يعني بالضرورة التخلي عن الدين النصراني، وآخرون من شعوب البلقان استجابوا لدعوة الإسلام وأبدوها وتخبطوا تحت لواء العثمانيين على أساس أن الشعار الذي رفعوه لدولتهم هو شعار الإسلام وكان بين تلك الشعوب الشعب الألباني حتى تبوأ بعض الألبانيين مناصب رفيعة في الدولة العثمانية وعين البعض منهم ولاة حتى غدت العلاقات بين الألبانيين والعثمانيين علاقة

تحالف غير مكتوب، وعندما ضعفت الدولة العثمانية للأسباب المعروفة في آخر أمرها استقلت (ألبانيا) عنها فنشأة بينها وبين جيرانها صراعات وحروب انتهت إلى سقوط إقليم (كوسوفا) بيد مملكة (صربيا) عام ١٩١٢م، واقتطعت بعض الأنامل الأخرى من البانيا حين سقطت بيد (اليونان) وحكومة (الجبل الأسود) المغازية للبحر الأدرياتيكي، وحين أنشئت عصبة الأمم اعترفت بالوضع الذي كان لألبانيا بعد التقسيم وبالتالي اعترفت بضم إقليم كوسوفا إلى يوغسلافيا التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى. وهكذا انفصل إقليم كوسوفا عن ألبانيا الأم،

ولما تشكلت هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، اعترفت تلقائياً بما اعترفت به عصبة الأمم ليوغسلافيا، ولما اعتمد النظام الفدرالي ليوغسلافيا الحديثة أعطي إقليم كوسوفا استقلالاً ذاتياً وسكان الإقليم في وقتنا الحالي هم قرابة (١٢٠٠,٠٠٠) نسمة جلهم من المسلمين والأكثية منهم ألبانيين، ومن ذلك الإقليم نزحت عائلتي عام (١٩٣١م) إلى دمشق هروباً من الظلم والإرهاب الذي مورس ضد المسلمين في ذلك الإقليم من قبل جنود الملك في ذلك الوقت. أما في

مدينة (سرايفو) عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك، فهناك مكتبة قديمة تحوي آلافاً من المخطوطات العربية في شتى العلوم وبعضها لا مثيل له في العالم. وفي نفس المدينة افتتحت في العام الماضي كلية الدراسات الإسلامية بدعم من الدول العربية والإسلامية.

### محمود الأرنؤوط

دمشق - سورية

### المسلمون في كوريا

وبعد فقد قرأت في العدد ١٨ من المجلة الصادر في ذي الحجة ١٩٩٨م - نوفمبر ٢٧٨م. في الصفحات ١٣٤ حتى ١٣٨. موضوعاً حول «المسلمون داخل المجتمعات الأوروبية» وقد أعجبتني المقال المذكور، إلا أن ما لفت نظري ما ورد في الصفحة ١٣٨ حول الإسلام في كوريا، وما ورد عن عدد المسلمين في كوريا الجنوبية.

لقد اطلعت على بعض المعلومات التي وردت في أحد كتب السياحة والإعلان الخاصة بالسفارات الكورية في الدول العربية، حيث قرأت أن دخول الإسلام إلى كوريا كان في عام ١٩٥٥م، عن طريق أحد الجنود الأتراك وكان عدد المسلمين في ذلك الوقت ما يقارب ٢٠٠ مسلم. وفي عام ١٩٦٦م، تكون اتحاد المسلمين الكوريين.

وفي عام ١٩٧٢م، أرسلت بعض الحكومات العربية وفوداً لتعليم اللغة العربية، حيث بدأ أعداد المسلمين في ازدياد وخاصة بعد افتتاح المركز الإسلامي والجامع المركزي فوصل عددهم حوالي ٧ آلاف مسلم.

### محمد احمد عبد الكريم

المحرق - البحرين

### وجهة نظر

أكتب هذه الكلمات القصيرة التي تعبر عن واقعنا الراهن. فبعد اطلاعي على مجلة الفصل عدد (١٧) حول أصل صلاح الدين فأقول:

لا أدري لماذا تقسم مجتمعاتنا إلى عربي وكرد وشركسي... ثم إلى سني وشيعي... ثم إلى سوري وسعودي وأردني... ثم نقوم بتعميق هذه الاختلافات إلى خلافات تصل بنا إلى الوقوع في شراك الأعداء. وبلايت الأمر يقف عند هذا الحد بل حتى إن الأقدمين لم يسلموا من هذا التقسيم فهذا ينسب صلاح إلى الأصل الكردي، وذاك يشك في ذلك وينسبه إلى الأصل العربي، وأنا أنسب ابن سينا إلى الأصل الفارسي، وأنت تنسبه إلى الأصل العربي، وهو ينسبه إلى التركي... وبلا للأسف لم يقف الأمر عند مجرد دراسة وتحليل بل يمارس من الناحية التطبيقية العملية فنزقي ثمارها التي ليست إلا أشواكاً تغرز في حناجرنا وبطوننا. وليكن معلوماً لدينا أن علماءنا الأقدمين لم يعملوا إلا تحت راية الإسلام ولم يكونوا يعتزون إلا بنسبهم إلى عالم المسلمين.

### محمود القو

سورية - حلب



## و تعليقات

مدينة إشبيلية

تلقيت بحمد الله وشكره عدد الفصيل ... العدد ٢٢ ... وهو كما عودتنا «الفصيل» دسم حافل بالثقافة الرفيعة الجادة الراقية .. وكان استطلاع هذا العدد عن (إشبيلية) .. وكاتبه هو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن زكي .. ورأيت بعد قراءة هذا الموضوع الرائع حقاً أن أمسك بقلمى وأعرض على سيادتكم هذه الملاحظات كي يكتمل هذا البحث القيم عن إشبيلية .. وهذه الملاحظات هي :

● أول هذه الملاحظات اسم إشبيلية نفسه .. فالاسم الحالي للمدينة هو (سبيليا أو سبيا Seville) وهو تحريف بسيط للاسم العربي (إشبيلية) .. وهذا الاسم العربي كان تعريباً للفظ (هيسباليا) الذي أطلقه الرومان على منطقة إشبيلية ، أما البلد نفسه فسموه (هسباليس) وهذا الأخير أصله البعيد فينيقي من كلمة (سبالوس) الفينيقية الأصل .. والفينيقيون عرب قدماء .. أي إن الأصل عربي والصورة الأخيرة للاسم عربية أيضاً .

● يقول أستاذنا تحت عنوان : (بنو عباد) : «انهز النصارى الفرصة - بعد انتصار يوسف بن تاشفين وعودته إلى المغرب - فاعتدوا على أملاك المسلمين فاضطر المعتد مرة أخرى إلى الاستعانة بالمرايطين فأجده يوسف ، لكن لم يرض وقت طويل حتى استولى بدوره على مملكته . في عام ٤٨٤ هـ سقطت إشبيلية وقرطبة والمرية ومرسية ودالية في أيدي المرايطين ونهب جنودهم البربر المدينة الجميلة وهدموا قصر بني عباد وأسروا المعتد ونفوه إلى مراكش حيث مات في مدينة أغفات عام ٤٨٨ هـ .

وللحقيقة أن الفونس الثالث أراد أن ينتقم من مملكة ابن عباد ، لأنه كان السبب في دخول المرايطين إلى الأندلس ووقوع غزوة الزلاقة .. فأخذ يهاجم إشبيلية من حصن لبيسط Calédo المتاخم لها .. وهنا أنجده يوسف الذي عندما وصل إلى الأندلس تلقاه ابن عباد وكتب إلى ملوك الأندلس يدعوه إلى الجهاد وقال لهم الموعد بيننا حصن لبيسط ، فلما وصل إليه ممن كتب إليهم إلا صاحب مرسية .. ثم وقع شتات بين ابن عباد وابن عبد العزيز صاحب مرسية .. وفي هذا يقول ابن خلدون : «وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .. فساء نظره فيهم وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت إليه بذلك فتاوى أهل المشرق الأعلام مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما ...» . هذا إلى توالي استنجد أهل الأندلس وطلبهم منه القاذهم مما هم فيه ..

فنازل طليطلة سنة ٤٨٣ هـ وحاصرها ، والفونس بها ، فهتكها وقطع ثمارها وخرب ناحيتها انتقاماً مما فعله جيش الفونس بالمسلمين .. ومع هذا .. كما يقرر أستاذنا عبد الله كنون .. لم يأت أحد من ملوك الأندلس ولا عرج عليه .. فلما شفى نفسه من طليطلة سار إلى غرناطة وكان صاحبها عبد الله بن بسلكين قد ظاهر الفونس على يوسف فأخذها من يده هي ومالقة التي كانت بيد أخيه .. وهنا طمع المعتد بن عباد في غرناطة فتجافى عنه يوسف ورجع إلى مراكش .. وقدم على الأندلس قائده سير بن أبي بكر اللتموني .. وفوض إليه يوسف في مصير الأندلس وإن لم يأمره في ابن عباد بشيء فسار نحو إشبيلية وهو يظن أن ابن عباد سيخرج إليه ويتلقاه بالضيافة ، فلما فعل وتحصن منه فراسله سير في أن يسلم إليه البلاد فامتنع المعتد فلم يكن بد من القتال .. وهكذا سقطت إشبيلية سنة ٤٨٤ هـ في يد المرايطين ونفى المعتد إلى المغرب .. وبعد ذلك سقطت العواصم الأندلسية في يد المرايطين ..

وهكذا انقلبت الأندلس من يد هؤلاء الزعماء والقادة الذين لم يكونوا يقدرين مسؤوليتهم قبل حدوث كارثة إنهاء السيادة الإسلامية على هذه البلاد .

● ونحت عنوان الجامع الكبير يصف لنا دكتورنا الفاضل مئذنة الجامع فيقول : «تقدر مساحة قاعدة المئذنة بثلاث وأربعين قدماً مربعة - ١٨٥ م - وسحك جدرانها سبع أقدام تتخللها نوافذ ...» . وأضيف أن ارتفاع المئذنة كان ٧٠ متراً ، وكان يرتفع فوق هذا الارتفاع المتبقى إلى الآن ، بناء دقيق ارتفاعه ١٢ متراً كان يحمل ثلاث كرات مغطاة بالذهب .. أرادهم الخليفة أبو يعقوب يوسف لكي تضاف إلى زينة المنارة ، وهذا البناء الأخير أزيل وبني فيليب الثاني عام ١٥٥٠ م مكانه أبراجاً للنواقيس ووضع فيها ٢٥ جرساً من أجراس الكنائس .. وفوق ذلك وضع الإسبان مثلاً بجعل مؤشراً للريح يدور مع الهواء .. هذا المؤشر هو الذي يسمى الخيرانديا La jirandilla ومنه جاء اسم الخيراندا للمنارة كلها .. والخيراندا أي الدوارة .

● بقيت لي ملاحظة أخيرة هي أن إشبيلية قد أنجبت رجالاً يكفي أن نذكر منهم ابن رشد وابن العربي والقاضي عياض بن موسى وغيرهم .. كما عاش فيها ابن عمار وابن حمديس وابن زيدون ومن إليهم . وأخيراً ففيها ولد كريستوف كولمبس وفيها دفن . وبعد أرجو أن أكون قد أضفت إضافة ... علنا نعي تاريخنا الذي نستمد منه واقعنا ..

مع تحياتي «الفصيل» بمزيد من التقدم والسيادة إن شاء الله رب العالمين .

عادل محمد علي النشار

طالب بطب القاهرة - السنة الثالثة



# مناقشات و تهليلات

سيرات: لا مدراء

أجريته مع العلامة الأستاذ عبد الله كنون، المنشور بمجلة - الفصيل - عدد ١٦ - شوال ١٣٩٨ هـ / سبتمبر - أكتوبر (أيلول - تشرين أول) ١٩٧٨ م - وأريد هنا أن أوضح للسيد عبد القادر الإدريسي أنني لم أتعمد خطأ لأجل الخطأ ولا داعي للانزعاج. ففي ما يخص الملاحظة الأولى: أقول إن اسم الكتاب كان اختصاراً فقط، لأنه كتاب مشهور متداول كثيراً سواء في المشرق أو في المغرب وعرف دائماً «النبوغ المغربي»... والقارئ النبیه وخصوصاً المهتم بالأدب يدرك أنه كتاب في الأدب العربي.

ويجدد لي هنا أن أذكر السيد عبد القادر الإدريسي بما جاء في مقدمة الكتاب الطبعة الثالثة ص ١٠، يقول طه حسين: «وأراني قد بعدت عن كتاب «النبوغ المغربي» فأعود إليه لأهدي إلى مؤلفه أصدق التحية وأعظم التهنية بكتابه الممتع الذي قلما نرى مثله».

ويقول الأستاذ عبد الله كنون في مقدمة الطبعة الثانية ص ١٤: «... وجمعت ذلك كله في كتاب «النبوغ» ودفعت به إلى المطبعة منذ بضع وعشرين سنة...». ويقول الدكتور محسن جمال الدين في نفس المقدمة ص ١٥: «والذي يدرس منا كتاب «النبوغ المغربي» فستدركه هذه الوفرة الزاخرة من أسماء الرجال والمؤلفات والنصوص...». ويقول الأستاذ العلامة عبد الله في نفس المقدمة ص ١٦: «... قد متحتني درجة دكتوراه شرف للأدب من جامعة مدريد بمناسبة صدور كتابي «النبوغ المغربي» في ترجمته الإسبانية... ويضيف قائلاً: «هذه قصة كتاب «النبوغ المغربي» باختصار...».

وجاء في ص ٢٣ «كتب أمير البيان الأمير شكيب أرسلان رحمه الله بمنحاً مستوفي عن كتاب «النبوغ المغربي»».

وجاء في ص ٢٦ «وقد أصاب الأستاذ صاحب (النبوغ المغربي)».

وجاء في ص ٣٠ «وقد ذكر صاحب (النبوغ المغربي)».

وجاء في ص ٣٣ «كان أول تقريري للنبوغ المغربي» الخ...

فما رأي السيد عبد القادر الإدريسي؟ هل ينزعج هذه الأخطاء الأساسية في حق الكتاب؟

أما الملاحظة الثانية عن موسوعة «ذكريات مشاهير رجال المغرب»... أوضح هنا أن هذه الموسوعة عبارة عن كتيبات صدرت متسلسلة أي لم تنزل الأسواق دفعة واحدة ولا داعي للتنقيد بعدد ما، وأما ذكرى للعدد (٣٠) ليس تجاهلاً ولا خطأ. فهل تعتبر الأستاذ عبد الله كنون مؤلف الموسوعة جاهلاً أو مخطئاً حيناً ذكر في كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي ص ٣٤٤: (٢٥) كتيباً. وماذا سيكون موقف السيد عبد القادر الإدريسي حين يصبح العدد غداً (١٠٠)؛ نكون معاً قد أخطأنا في العدد الصحيح!

وأخيراً أشكر رئيس تحرير مجلة الفصيل والسلام.

محمد القاضي/مراكش - المغرب

منذ صدور مجلتكم الغراء وأنا أتتبع باهتمام بالغ المقالات القيمة التي تنشر على صفحاتها، والتي يقضي القارئ حُظات ممتعة في مطالعتها... وقد كان من بين المواضيع التي استرعت انتباهي، موضوع منشور في العدد العاشر من السنة الأولى تحت عنوان «من هو المدير وما هي مهمته؟» للاستاذ محمد عبد الله الوابلي، وفيه ورد جمع مدراء ثلاث مرات، وهو جمع غريب لا يستند فيه إلى قاعدة أو قياس خصوصاً:

(١) أن المفرد من الجمع المذكور هو - أصلاً - اسم فاعل، وليس صفة.

(٢) أن وزن مدير مفعول، وهو مضموم الميم، مكسور العين لأنه من أدار، يدير... الرباعي المزيد بالهمزة.

(٣) أن صيغة فاعل لا تأتي إلا من الفعل الثلاثي اللازم الذي وزنه فعل، وهو مضموم العين كشرف شريف، وظرف ظرف... الخ.

وبناء على ما تقدم لا يكون جمع مفعول إلا جمع مذكر سالم: مفعولون (مدبرون) في حالة الرفع، ومفعولين (مدبرين) في حالة النصب والجر. أما جمع فاعل (كريم) فجمع تكسير لكثرة: فعلاء (كرواء)، وهو قياسي من الصفات الست المشهورة.

وأخيراً أنسأل إذا كان جمع مدير هو مدراء، فما هو جمع محسن ومؤمن إذن؟ هذه ملاحظة أرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار، وتساعد على الحد من شيوخ هذا الخطأ الفاحش.

وفتكم الله خدمة لغة الضاد.

عبد الرحمن القباج  
الدار البيضاء (المغرب)

● المجلة: شكراً للأخ عبد الرحمن القباج... ونحن معه فيما جاء به... وما حدث رغم تكراره جاء سهواً، مع أن «مدير» جمعت في أكثر من مكان في الموضوع نفسه صحيحاً على أساس «مدبرون» في حالة الرفع، و«مدبرين» في حالة النصب والجر، وهذا يؤكد أن ما حدث كان سهواً - وهو قليل - لاعتقاد الكثير من الكتاب على جمع مدير على أساس مدراء... خاصة كتاب الصحافة أو الذين تهتمهم الفكرة والموضوع، إلى جانب عدم رغبتهم في مخالفة الخطأ الشائع والمعروف الذي لا تؤيده المجلة بأي شكل من الأشكال.

رد على تعقيب

«عبد الله كنون»

سرني كثيراً أن يكون السيد عبد القادر الإدريسي رئيس تحرير مجلة «دعوة الحق» أول من يبدي بملاحظاته حول موضوع اللقاء الذي





### رحلة القلصادي

تأليف «أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي» دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان يتناول تاريخ الحركة الفكرية في مملكة غرناطة خلال المئة الهجرية التاسعة . كما يتحدث القلصادي في كتابه هذا عن المناطق التي رحل إليها - من الأندلس - عبر تلمسان وتونس وطرابلس الغرب والقاهرة والحرمين الشريفين . إصدار الشركة التونسية للتوزيع في تونس .

### تقرير سنوي

إعداد المكتب الرئيسي للرئاسة العامة للشباب بحائل عن العام ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هجرية ، يضم هذا التقرير معلومات وبيانات عن حائل ونشاط الشباب فيها مع تدعيم ذلك بالصور والبيانات والجداول التوضيحية . يقع في ١٥٤ صفحة ، وقد نشرته مطابع النصر الحديثة بالرياض .

### ديوان عبد الله الفاضل وقصة حياته

ديوان يضم أشعار الشاعر البدوي عبد الله الفاضل وما امتاز به من فروسية وكرم وخصال عربية أصيلة . كما يروي قصة مأساة وقعت أحداثها في منطقة وادي الفرات ويعري لحات من تاريخ دير الزور ، ويقع في ٧٨ صفحة من الحجم المتوسط .

### حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور

بحث أصدرته وزارة الإعلام العراقية «السلسلة الإعلامية (٧٩)» يتناول قصة حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، ويبحث الدور الذي لعبته جزيرة العرب في تكوين الحضارات السامية في ضوء ما تركته من تراث أصيل يعد من أهم عناصر التقدم في مسيرة التمدن البشري . يقع البحث في ٣١٦ صفحة من الحجم المتوسط .

### في التدريس الأصيل

صدر هذا الكتاب عن الشركة التونسية للتوزيع لمؤلفه : محمد الهاشمي زين العابدين ، يدور حول التدريس وأصوله والتعريف به وتبسيطه مع إلقاء بعض الضوء على التربية وفلسفتها . يقع الكتاب في ٤٩٥ صفحة من الحجم المتوسط .

### مصطلح السياسة عند العرب

هذا الكتاب «دراسات في مصطلح السياسة عند العرب» من تأليف أحمد عبد السلام نشرته الشركة التونسية للتوزيع ويقع في ١٦٨ صفحة من الحجم المتوسط . يتناول فيه المؤلف بحثا في المقارنة «مقدمة ابن خلدون» من ناحية وكتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» لخير الدين . و«تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» لابن أبي الضياف من ناحية ثانية .

### اختيارات من كتاب الأغاني

كتاب من تأليف الدكتور إحسان النص ، تناول فيه مؤلفه العصر الجاهلي ، وصنف فيه الشعراء وفق اتجاهاتهم ومنازعهم ، كما تناول الأحداث المشهورة والأخبار المتفرقة التي ذكرها أبو الفرج . يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات من الحجم المتوسط ، صدر عن مؤسسة الرسالة .

### الرحلة الحجازية

تأليف محمد السنوسي ، تحقيق علي الشنوفي يتضمن التعريف بمجموعة من الرجال والأعلام والمشاهير في العلم والحديث والأدب والسياسة والحرب والذين اجتمع بهم أثناء رحلته ، ويذكر مؤلفاتهم والإجازات العلمية التي حصل عليها كل منهم . يقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط . من مطبوعات الشركة التونسية للتوزيع في تونس .

### هات الحياة

ديوان شعر يسكب فيه الشاعر يوسف عز الدين أحاسيسه في مجموعه تمن القصائد الوطنية والغزلية ويفيض فيها وجدانه الشعاري في خيال مجنح رقيق . يقع في ١٠٥ صفحات من القطع الصغير . إصدار مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

### قصة صنعة الكتابة

كتاب من تأليف الدكتور مصطفى الرافعي والدكتور عبد الحميد جيدة يوضحان فيه كيف ارتقت اللغة بارتقاء قدرة النطق عند الإنسان وكيف تحولت إلى أداة عمل وإنتاج خلال مواجهة الإنسان للطبيعة . الكتاب صادر عن المكتبة الحديثة ، طرابلس ، شارع المكتبات - لبنان .

### قصص للأطفال

من إصدار الشركة التونسية للتوزيع . «قنطرة الصفصاف» ، «والراجون» ، تأليف محمد الحبيب بن سالم . «أغاني الطفولة» تأليف محيي الدين خريف ، «الجار الحسود» تأليف عمر عيد الباري . تدور هذه القصص حول رموز أوضاع مختلفة ، تولى جمعها إلى تغذية عقول الأطفال بمفاهيم تربوية عن طريق القصة المكتوبة بأسلوب قد يتناسب مع مستواهم .





مجلة اللسان العربي

المجلد الخامس عشر من مجلة «اللسان العربي»  
التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن  
العربي، بإشراف - المغرب - . وشيخ الفاضل شلالة  
أجزاء :

- الجزء الأول : أبحاث ودراسات .
- الجزء الثاني : معاجم .
- الجزء الثالث : عدد خاص عن مؤتمر التعريب الثالث .

مؤلفات للدكتور

میںر سلطان

من الكتب التي وردت إلينا ثلاثة كتب تأليف  
الدكتور منير سلطان هي :

- «المزياني والموشيح» .. ويقع في ٥٤٠ صفحة - الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
- «عجاز القرآن» .. بين المعزلة والأشاعة .. سلسلة كتب الدراسات القرآنية . الناشر منشأة المعارف - جلال حزي وشركاه - الإسكندرية .. يقع في ٢٦٧ صفحة .
- «أين سلام وطبقات الشعراء» .. الناشر منشأة المعارف - جلال حزي وشركاه - الإسكندرية .. يقع في ٣٣٦ صفحة .

## المؤتمر السادس للآثار

في البلاد العربية

كتاب يشتمل على توصيات المؤتمر السادس للآثار  
الذي عقد في طرابلس - ليبيا عام ١٩٧١ م. تنظمه  
الجامعة العربية إلى جانب مجموعة من البحوث التي  
قدمت إلى المؤتمر، والمحاضرات التي أُلقيت خلال  
اجتماعاته. . إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة  
والعلوم - طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية -  
القاهرة. . يقع في ٦٤٣ صفحة من القطع الكبير. .  
وفي نهاية الكتاب نص مشروع قانون الاتحاد العربي  
للآثار .

## الموجز في تاريخ

"الطَّبُّ وَالضَّيْقَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ"

كتاب تناول بالدراسة تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ومن مواضيعه الأمراض الباطنة ، أمراض القلب والدورة الدموية ، الجراحة عند العرب ، بياض العين ، سعال الحنجرية ، سعال الحنجرة ، والالتهاب ، ثم يورد تراجم قصيرة لبعض مشاهير الأطباء العرب .. إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - بإشراف الدكتور محمد كامل حسين .. يقع في ٤٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

## النساء والحب

مجموعة قصص قصيرة للقاص السعودي خليل إبراهيم الفزيع .. تعرض شرائح اجتماعية صاغها الكاتب: أمجد قصبي - غير مصفحة - ستارة المجموعة من ١٨ قصة .. الناشر مؤسسة العهد للصحافة والطباعة والنشر - الدوحة - قطر .

## التحفة المملوكية في الاداب السياسية

الكتاب منسوب للإمام أبي الحسن الماوردي المتوفى عام ٤٥٠هـ، وهو أحد كتب التراث، وضع الدكتور فؤاد عبد المنعم الذي حقق الكتاب مدخلاً ضافياً لتراث الفكر السياسي الإسلامي.. والكتاب من مخطوطة مكتبة محافظة الإسكندرية (المشهورة بمكتبة البلدية).. يقع في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط - الناشر مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - طبع مطابع جريدة السفير - الإسكندرية.

داود باشا

من تأليف الدكتور يوسف عز الدين . يتناول  
هذا الكتاب فترة من تاريخ العراق ويدور حول  
الوالي **داود باشا** ونهاية حكم المماليك في بلاد  
الرافدين . من منشورات **دار البصري** . يقع في  
أكثر من ٧٠ صفحة من الحجم المتوسط .

### الحضرات ضريرة

مجموعة قصص قصيرة يضمها كتاب صغير  
صادر عن دار الكتاب - الدار البيضاء .  
للمؤلف عبد السلام العريز . يقع في ٨٠ صفحة  
من القصص الصغيرة .

ثغور اقتصاد اسلامی

من الكتب التي تصدر ضمن سلسلة المكتبة الإسلامية . من تأليف الدكتور محمد شوقي الفنجري ، يتناول فيه بالدراسة أصل الاقتصاد الإسلامي وتطور دراساته . صدر الكتاب عن دار الزايد للطباعة والنشر . ويقع في ٦١ صفحة من القطع الصغير .

محمد ومكارم الأخلاق

من تأليف أحمد حامد ومن سلسلة المكتبة الإسلامية . شرح فيه المؤلف مكارم الأخلاق الحميدة عند النبي صلى الله عليه وسلم في عرض سريع . صدر الكتاب عن دار الزاوي للطباعة والنشر ويقع في ٨٣ صفحة من الحجم الصغير .

## حکایة محراث

قصة جاءت على لسان محراث قديم يتحدث فيها عما كان يؤديه من عمل عظيم قبل عصر النهضة. وكيف أنه أصبح الآن قطعة من تلك القطع المعروضة في زوايا المتاحف كنموذج تنعكس عليه حياة الإنسان في الماضي. القصة من تأليف محمد الحبيب بن سالم. صادرة عن الشركة التونسية للتوزيع.

## رسالة الألوان

للإمام ابن حزم الأندلسي . قام بتحقيق  
عدد من الباحثين . صدر عن النادي الأدبي  
باليرياض في سلسلة كتاب الشهر . يقع الكتاب في  
٧٠ صفحة من الحجم الصغير .

وكان لقاء

مجموعة قصص من تأليف رستم كيلافي ،  
يستمد أحداثها ومادتها من حياة المجتمع الذي  
يعيش فيه . من هذه القصص : « ليلة العرس » ،  
« زفاف مؤجل » ، « عم درويش » . صدرت  
المجموعة عن دار غريب للطباعة ، وتقع في  
١٣٢ صفحة من الحجم الصغير .

على ضفاف العقيق

ديوان شعر للشاعر محمد هاشم رشيد  
يضم مجموعة من القصائد الشعرية يستعرض فيها  
خواطره وذكرياته في وادي العقيق . طبع  
الديوان في دار الأصفهاني بمكة . يقع في أكثر  
من ١٢٠ صفحة من الحجم الصغير .

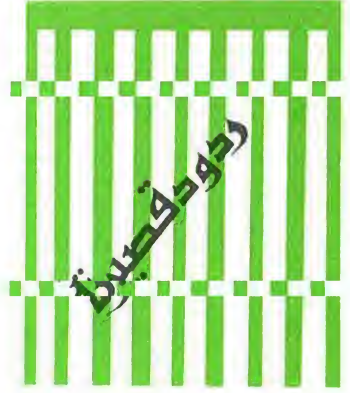
انادىك يا ملكى وحىيى

ديوان شعر صغير للشاعر محمد علي شمس الدين يضم مجموعة من القصائد الوطنية بأسلوب شعري حديث . صدر الديوان عن دار الآداب بقم في ٩٦ صفحة من الحجم الصغير .

في ظلال لواء الإسلام

كتاب صادر في سلسلة المكتبة الإسلامية  
يتضمن مجموعة من الأحاديث عن مصير الإنسان  
في النهاية في إطار من نور الآية الكريمة ﴿ومن  
ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ . صدر  
الكتاب عن دار الزايدي للطباعة والنشر  
ويقع في ٨٥ صفحة من القطع الصغير .





الصحافة بوزارة الإعلام  
- الرياض - فربما وجدت صلبك...  
لأنه لا توجد لدينا نسخة من هذا  
الكتاب .

● الأخوان (ليث وارهام  
أحمد - مراكش - المغرب) ،  
(رياض خالد - درب  
القرية - الدار البيضاء -  
المغرب)

شكراً لكما على المشاعر الطيبة  
نحو مجلة وأسرة تحريرها ونتمنى من  
الله أن يوفقنا دائماً لما فيه خير بلادنا  
وأمتنا وأن نكون عند حسن ظن  
الجميع .

● الأخ عقيل مطهر  
- فولوفانجان - قاغ ٤١/٢  
فرسي ، أندونيسيا .

شكراً لك على اهتمامك بالمجلة  
وتفحصك لما يكتب فيها ،  
وملاحظاتك عما نشر في العدد  
السابع عشر عن أبي الأسود  
الدؤلي يبرهن على ذلك مع أن  
للكتاب والنقاد فيما يكتبون  
مذاهب . أما عن المجلة فإنها لا  
ترسل إلى القراء إلا عن طريق  
الاشتراك . تمنياتنا .

● الأخ محمد السهلي  
- دمشق - سورية .

فصنتك باللهجة العامية ونحن  
لا نشجع اللهجات ويبدو من  
خلاها أن المشوار ما زال أمامك  
طويلاً . كما أن الكتابة للصحف  
والجالات يجب أن تكون بخط جيد  
وعلى وجه واحد من الورق الذي  
تسهل قراءة ما يكتب عليه . نتمنى  
لك التوفيق .

● الأخ محمد صالح جعرب  
- الحديدة - اليمن .  
عندما يوجد لدينا الموضوع

المناسب حول ما اقترحتة فلن نخل  
بنشره . وشكراً لك على مشاركتك  
الطيبة .

● الأخ عبد الملك عبد الله  
العولقي - صنعاء - اليمن .

شكراً لك على إعجابك بالمجلة  
وسوف نلبي دعوتك لأن زيارة  
المدن اليمنية جزء من خططنا الرامية  
إلى الكتابة عن كل المدن العربية  
والإسلامية . وبالنسبة للاشتراك  
ستجدون الإيضاح الكافي عنه في  
الصفحة ١٦٢ في كل عدد من  
أعداد المجلة . تمنياتنا الطيبة .

● الأخ يوسف أحمد سلطان  
- القاهرة - مصر .

نحن نؤمن معك بأن الوطن  
العربي يزخر بكفاءات شابة قادرة  
على أن تواكب التقنية وتتناغم مع  
العصر ، ونتمنى هذه الكفاءات أن  
تؤتي ثمارها فيما يعود على أمتنا بأخير  
كما نعتذر عن نشر قصتك التي  
تريد كتابتها في حلقات راجين لك  
التوفيق .

● الأخ زياد السواح  
- دمشق - سورية .

ملاحظتك التي ذكرت فيها أن  
الأعداد الأخيرة من المجلة تهتم  
بالجانب العلمي أكثر من الأدبي .  
نحيطك بأن عدداً كبيراً من رسائل  
القراء قد وصلت إلينا يذكر  
أصحابها بأن المجلة تهتم بالناحية  
الأدبية أكثر من الناحية العلمية .  
على أي حال نحن نعمل جاهدين  
على أن نحقق التوازن بين النواحي  
العلمية والأدبية . نتمنى  
الاهتمامات الثقافية .

● الأخ بسام خضر السلفيتي  
- جامعة البنجاب - باكستان .

نشكر لك مشاركتك الطيبة  
وإعجابك بالمجلة ونتمنى أن نقدم  
الأفضل دائماً . كما نعتذر عن نشر  
الموضوع المرفق برسالتك الرقيقة ،  
ونرجو أن تكون كتابتك في المرات  
القادمة على وجه واحد من  
الورقة . ولك تحياتنا .

● الأخ المطاعي نور الدين  
- القنيطرة - المغرب .

الكتب الإسلامية التي تريد  
تخصيص باب لما ينشر منها حديثاً  
فكرة جيدة لكننا للأسف الشديد  
لا نستطيع الإلمام بالأعداد الكبيرة  
من هذه الكتب التي تصدر في  
مختلف أنحاء العالم ، ومع ذلك فقد  
قدمنا بعضاً منها في باب « رحلة في  
كتاب » وباب « في دائرة الضوء » .  
تحياتنا ، وشكراً لاهتمامك .

● الأخ سليمان حسين  
- دمشق - سورية .

نشكرك على رسالتك المتضمنة  
مجموعة من الخواطر والمشاعر  
الإنسانية مع تمنياتنا لك بمستقبل  
زاهر في عالم الشعر والنثر .

● الأخت ياسمين علي الزعابي  
- الكويت .

حاولي أكثر من مرة قراءة  
الموضوع الذي صعب عليك  
فهمه ، فما كل موضوع يُفهم لأول  
مرة وخاصة المواضيع العلمية . أما  
زيارتنا فسوف تم ضمن خططنا التي  
تهدف إلى الكتابة عن كل أقطار  
العالم العربي بما في ذلك الكويت .

● الأخ أحمد حسن الشريف  
- السليوم - مصر .

نشكر لك ملاحظاتك التي  
وردت في رسالتك إلى هذه المجلة ،  
وسنحاول مستقبلاً عدم تكرار مثل  
ذلك ، والكمال لله وحده .

● الأخت إقبال عبد الرحمن  
- جامعة الكويت .

شكراً لك على مشاركتك نحو  
المجلة ، وبإمكانك أن تتعلمي أنواع  
الخط في مدارسه المتخصصة التي لا  
يخلو منها أي بلد . . وقد تناولت  
المجلة جوانب من الطب ، وكتب  
الطب عند العرب المسلمين ،  
رؤسوف تطاليع . المستقي  
مواضيع أخرى . . مع تحياتنا .

● الأخ خير الله عبد الدايم  
- حمص - شارع النيسابوري -  
سورية .

الفوز في المسابقة لا يحصل  
بعدد النقاط ، ولكن بالإجابة  
الصحيحة ، وإذا تعددت  
الإجابات السليمة تكون القرعة .  
تمنياتنا لك بالتوفيق ، وحظاً سعيداً  
في مسابقات قادمة .

● الأخت حسناء شامي  
- حلب - هورتيه .

بإمكانك الكتابة إلى مدير عام



# مسابقة مجلة الفيصل

## شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة ( ٥٠٠ ريال سعودي )

٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضعا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :

( الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . ( ٣ ) المسابقة ) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

## أسماء المشاركين في مسابقة العدد (٢٣)

★ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ثلاثة آلاف ريال سعودي ( ٣٠٠٠ ) الأخ إبراهيم جمال خان ، وعنوانه مكة المكرمة القشلة ، الهاتف الآلي ، بواسطة والده السيد جمال .

★ ومن الرياض - جامعة الرياض - كلية الآداب - قسم الإعلام ، فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ( ٢٠٠٠ ) ريال سعودي ، الأخ عبد صالح اليوسف .

★ ومن المغرب - ٦٩ رأس القليعة - باب الحمراء مدينة فاس ، فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ( ١٥٠٠ ) ريال سعودي ، الأخ المقيس حسن بن محمد الفيلاي .

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة ( ٥٠٠ ) ريال سعودي فاز ، بها كل من الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

★ من سورية بواسطة أسامة الجندي - مؤسسة الكهرياء المنطقة الوسطى - حمص - الأخ وفاء سري الجندي .

★ من السودان/ إدارة وقاية النباتات/ الخرطوم بحري

ص ب ١٤ ، الأخ عبد الحليم الفاتح أحمد .

★ من تونس / ١٤ شارع الحرية تونس / الأخ محمد بن حسين بن محمد خليل الطالب بكلية الشريعة وأصول الدين .

★ من مصر / بنك التنمية والأثبات الزراعي بالقزايق الأخت منى سمير عواد عطية بواسطة والدها السيد سمير عطية .

★ من سورية / دمشق نجم اليرموك / شارع طبريا جادة ٦ - منزل ١ / الأخ أحمد صالح الموعد .

★ من اليمن الشمالي / صنعاء / الإدارة العامة للصحافة ووزارة الإعلام والثقافة / الأخ إبراهيم عبد الحبيب عبد الفتاح .

★ من الأردن / الهاشمي الشمالي / جسر كرشيان مطعم الشعب لصاحبه أبو نضال / الأخ عبد الحليم عبد الله إسماعيل العملة .



### السؤال الأول :

من هم بناء المدن التالية :  
القاهرة - سامراء - القيروان - الفسطاط - الكوفة .

### السؤال الثاني :

كم من الدم يمر يومياً في الكليتين ؟

### السؤال الثالث :

من أول من اخترع بندول الساعة ؟

### السؤال الرابع :

ملكة كانت لها شهرة عظيمة ، تولت الحكم بعد أبيها وزوجها ، ذكرت المراجع الحبشية باسم (ماكدة) ، كما ذكرت المراجع الحميرية باسم (الفارعة) ، أما ابن خلدون فقد ذكر أنها كانت تسمى (بلقمة) .. من هي ؟

### السؤال الخامس :

أذكر اسم الخليفة الذي أوصى ابنه بهذه الوصية :  
« انظر إلى أهل الحجاز ، منهم أصلك وعزتك ، فمن أتاك منهم فآكرمه ، ومن قصر عنك فتعاهده ، وانظر إلى أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله ، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار » .

### السؤال السادس :

أذكر أسماء أمهات المؤمنين ؟

### السؤال السابع :

ما معنى الكلمات التالية :  
الغارب - السالفة - الزور .

### السؤال الثامن :

ما الفرق بين (الظهر) ، و (الظهيرة) ، و (الهجرة) ؟

### السؤال التاسع :

أين تقع بحيرة (بالكاش) ، وكم تبلغ مساحتها .. ومتوسط عمقها ، وما أهم الأنهار التي تصب فيها .. وهل مياه هذه البحيرة مالحة أم عذبة ؟

### السؤال العاشر :

ما لون علم الألعاب الأولمبية الحديثة .. وماذا يمثل شعار على هذا العلم ؟

تقسيمية  
مسابقة مجلة  
الفيصل

● العدد ٣٠ ●

الاسم : \_\_\_\_\_  
المهنة : \_\_\_\_\_  
العنوان : \_\_\_\_\_  
\_\_\_\_\_



## أجوبة مسابقة العدد الثالث والعشرين

- ١ ج لفتنص عند العرب - ويطلق عليه البيزة - مكانة هامة في التاريخ العربي والإسلامي . وأول من صاد بالصقر : الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة . وأول من صاد بالفهود : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
- ٢ ج اللغات الرسمية للبلدان الآتية هي :  
في أفغانستان : الأفغانية أو البشتوية .  
في سويسرا : الألمانية ، الفرنسية ، الإيطالية .  
في إسبانيا : الإسبانية ، القشتالية .  
في الحبشة : الأمهرية .  
في رومانيا : الرومانية وهي مشتقة من اللاتينية .
- ٣ ج تنبعث من أنثى الفرائش مواد عطرية خاصة تبدأ في إرسائها حتى وهي لا تزال عذراء داخل الشرنقة ثم تصل هذه الرائحة إلى قرون الاستشعار لدى الذكر ومن ثم تبدأ عملية المداعبة حيث يطير الذكر تتبعه الأنثى وتتسم المداعبة لدى بعض الأصناف بالنشاط الحاد كما فلا تكون الأرض هي مجال المداعبة بعضها الآخر فإذا استجابت الأنثى لمداعبة الذكر تمت عملية التلقيح . وتفضل ذكور بعض أنواع الفرائش أحياناً الانتظار بجوار العذراء فإذا ثم غوها وكانت أنثى بادر إلى تلقيحها بمجرد ظهورها .
- ٤ ج بلال بن رباح أول مؤذن في الإسلام .. كان مولى ثم اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه .. أذن عام الفتح .. اشترك مع أبي عبيدة في فتح الشام وتوفي فيها .
- ٥ ج رباعيات الخيام ترجمت شعراً ونثراً إلى اللغة العربية من اللغتين الإنجليزية والفارسية وفيما يلي أسماء الأدباء الذين نقلوها إلى العربية ..
- وديع البستاني ، محمد السباعي ، محمد الهاشمي : شعراً من الإنجليزية .
  - عبد الحق فاضل ، أحمد الصافي النجفي ، أحمد رامي ، الدكتور أحمد زكي أبو شادي : شعراً من الفارسية .
  - أما أحمد حامد الصراف فقد ترجمها نثراً .
- ٦ ج الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ م أول جريدة صدرت باللغة العربية .
- ٧ ج المناسبة التي تضرب فيها الأمثال الآتية هي :  
● سبق سيله مطره : يضرب هذا المثل لمن يسبق فعله تهديده .  
● ثار حابلهم على نابلهم : يضرب في فساد ذات البين وتوارث الشر في القوم .  
● تحكحكت العقرب بالأفعى : يضرب لمن ينازع من هو أقوى منه .  
● أتبع الدلو الرشاء : يضرب في استنهام الضيعة .  
● كالخادي وليس له بعير : يضرب لمن ينتفخ بما لا يملك أو لمن ينتحل ما لا يحسنه .
- ٨ ج سباق في العدو لمسافة طويلة .. ارتبط اسمه بقرية إغريقية .. ويروى أنه في عام ٤٩٠ ق . م ، عدا شاب من هذه القرية إلى مدينة أثينا لينقل نبأ انتصار الأثينيين على الفرس .. أدخل هذا السباق في الدورة الأولى للألعاب الأولمبية الحديثة عام ١٨٩٦ م ويقام هذا السباق في الولايات المتحدة سنوياً برعاية جمعية بوسطن للألعاب الرياضية .. يطلق على هذا السباق اسم - الماراتون - .
- ٩ ج في ١٣٧٩/٣/١٤ هـ ، الموافق ١٩٥٩/٩/١٧ م ، صدرت مجلة الروضة وهي أول مجلة أطفال في المملكة العربية السعودية .
- ١٠ ج أول من وضع أصول علم النحو : أبو الأسود الدؤلي .  
أول من وضع النقاط على الحروف : نصر بن عاصم .



